أمالي الإمام البخياوي «1»

رَوْضُ الإلهيات

مِن خلال مقاطع الجلالة في الآي البينات

مِن كلام

الإمام العلامة سيدي المصطفى البخياوي الحسني حفظ الله

مَدْخَلٌ إلى علم العقائد

انطلاقاً من مقطع الحمد وحيثيته من أم الكتاب وفاتحته

إعداد وتقديم

الحاج محمد قاسمي السجلماسي

منشورات البشير بنعطية

فاس - المغرب



روض الإلهيات

من خلال مقاطع الجلالة في الآي البينات

الطبعة الأولى
1442هـ - 2021م

جميع الحقوق محفوظة

لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو ترجمته أو نسخه بأي شكل من الأشكال سواء على شبكة الأنترنت، أو أي نظام الكتروني آخر دون إذن خطي من المؤلف والناشر

الإيداع القانوني 2021MO0025
ردمك 978-9920-974-1-6-5



منشورات البشير بنعطية
فاس - المغرب
زنقة بوغافر (حي نرجس) أ.
الرمز البريدي: 30070 - (فاس - المغرب).
هاتف: 00212668147439 - واتساب: 00212621920071
بريد إلكتروني: benatiabachir@gmail.com

أمالي الإمام البحياوي (1)

روض الإلهيات

من خلال مقاطع الجلالة في الآي البينات

مدخلٌ إلى علم العقائد

انطلاقًا من مقطع الحمد وحيثيته من أم الكتاب وفاتحته

للعلامة الأستاذ سيدي المصطفى البحياوي الحسني حفظه الله

إعداد وتقديم:

الحاج محمد قاسمي السجلماسي

منشورات البشير بنعطية

هذا الكتاب

في أصله عبارة عن بحث نال به الطالب محمد الحاج محمد قاسمي

شهادة الماستر في كلية أصول الدين بتطوان

برسم الموسم الجامعي 2017/ 2018م

تحت إشراف

الدكتور محمد التمسماني عميد الكلية

إهــداء على استحياء

بقنوت الولد المقصر في البر والطامع في الرضى بين يدي
من أنجب وولد، ومن علم وأرشد

أبي النبيل وأمي الفاضلة وشيخي الجليل

مع ما يجب لفضيلتكم من الاحترام والتقدير، ولحضرتكم من الإجلال والتوقير، يقف بين أيديكم ابنكم وخادمكم ليُهدي إليكم عملًا هو من بركات دعائكم وتعليمكم، فتقبّلوه مني أجزل الله لكم الثواب، ورفع مقامكم، وأدام عافيتكم، وأحسن العطاء في دار البقاء لوالديكم، وأقر أعينكم بأهلكم وذويكم ومن إليكم.

إهداء المحب ما يحب إلى من يحب

زوجتي وبناتي وإخوتي وعائلتي ومن إلي نسبًا وصهرًا

من علمني أو قرأت عليه،

أبناء الشيخ سيدي المصطفى وأهله وتلامذته ومحبوه
ورواد مجالسه ومن إليه

شكر وعرفان لمن ساهم وصاحب وأعان

الأستاذ الفاضل والأخ الكريم مولاي حفيظ بوليط.

والإخوة: عبد الله جلم، وأيوب الناصري، ويونس بقيان.

أحسن الله الجزاء للجميع بجاه النبي الشفيع ﷺ

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ سيدي المصطفى حفظه الله تحت عنوان:

«على أعتاب الروض البهي»

(العنوان والموضوع، النسبة والرتبة، المقصد والمنهج)

● تِي قُطُوفُ زَهْرِ روضٍ فاق في انتسابه، وتألق في بابه، روضٍ فسيحٍ مليح، امتدت ظلاله في سماء الحمد والتسبيح، الذي هو عنوان التوحيد الصحيح.

● ما أجمل أن يعرف الناس ربهم محمودًا بكل الكمالات التي تنبئ عنها آيات حمده، ومحبوبًا منهم بمقتضى كونه مُفيضًا للجود على كل قطاعات الوجود، ومستحقًا لسجود السجود بما أنه العلي الولي الودود.

● وكم هي رائعةٌ فاتحة الكتاب المُعرِّفة بمنزله بعنوان الحمد له، الذي هو عنوان كمالٍ في المحمود، وهو من حامده عربون محبة منه للمُسَبَّحِ بحمده.

● وما أجمل أن يكون التعريف بالله جل جلاله بآيات حمده، وهو ما أرشد إليه كتاب الختم، بقوله الأتمّ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ . ﴾ بعيدًا عن التعقيد المنهجي، وكثافة المصطلح، وكدر الخلاف المطَّرح.

● «روض الإلهيات» عنوان جديد شائق، لمبحث عتيد فائق، أصيل أثيل، جميل جليل، يمتد مجال النظر فيه من ذوي الاعتبار، ليشمل كل آيات الاستبصار، المرسلة والمنزلة، وكل الآثار العلية، والسُّمى الحسنى البهية.

● روضٌ مشوقٌ معشوقٌ، لا يكل طرف الناظر فيه بشرطه من إعادة النظر فيه، من أجل الاستمداد بحسب الاستعداد.

● روضٌ رائق النسبة، سابق الرتبة، سني الإضافة، فائق في كل ما أفاض فيه وتناوله من شؤون المسمى: «الله» جل جلاله، مشدود إلى سماء السماء، لأنه يؤم مقاطع الجلالة تعريفا بالاسم الأعظم ذي الوصف الأتم: «اللهم».

● روضٌ تَؤمُّ مقاطعه المختارة التعريف بجناب الله العلي جل جلاله في باب الكمال والجمال والجلال، ويَأتَمُّ الناظر فيه بسَنَن النبي السني صلى الله عليه وسلم، إقرارًا بالعجز التام عن إحصاء الثناء في قوله عليه السلام: (لا أحصي ثناء عليك)، مع الإرشاد إلى إحصاء الأسماء، الذي هو ميدان السباق، وسبيل الوصول إلى رحاب أهل الوفاق؛ (من أحصاها دخل الجنة).

● روضٌ بين يديه مقطع الحمد الأجلّ، الذي صُدِّر به الوحي المنزل، وهو فاتحة الكتاب، وفيها منهج التعريف بالله المحمود، وهذا إقرارٌ بالكمال من الحامد، وبالله المعبود، وهذا باب التكميل للعابد، وبالله المُسْتَهْدى، وهذا سند الرافد المطَّرد.

● روضٌ قطب أقطاب مباحثه هو الإله جل في علاه، وهو جذرها وأساسها، لأن كل موضوعات علم العقائد ينسحب عليها وصف الإلهية، فالنبوءة اصطفاء منه للاصطفاء بها، والرسالة خطاب الله، والقدر فعل الله، والملائكة جنود الله، والمعاد لقاء الله للجزاء.

● وكان من رأينا اعتماد هذه المقاطع الجلالية المصدرة بالاسم الأعظم: «الله» جل جلاله، في دراسة موضوعات الفقه الأكبر، لكونها أوفى المقاطع بمقام التعريف بالله العلي اللطيف.

● «روض الإلهيات» كان في أصله مبثوثٌ شفوي في لقاءات نظمت بإحدى المنتديات الإسلامية، ثم قيض الله له من قام بتنزيله من خطاب مسموع إلى كتاب مطبوع، رغم ما بينهما من تفاوت في الخصائص والمقتضيات، ذلك أن الأول أداته الفم ومجلاه السمع، والثاني أداته القلم ومجلاه النظر، وهو أبقى للأثر لقوله صلى الله عليه وسلم: (قيدوا العلم بالكتاب)، في انتظار أن تصبح الكتابة الصوتية بديلًا مغنيًا عن الكتابة الخطية.

● ولا أكتم القارئ سرًا، فما كنت أظن أن هذا النظر مني، والإملاء الذي صدر عني، في تلكم المجالس، سيحظى بما حظي به من الاعتناء والاحتفاء، لكني تذكرت شرف النسبة وكرم الموضوع، وأن المُتَحدَّثَ عنه فتاح كريم، يعطي في مقابل اليسير الكثير، ويجازي على القليل بالجليل، ويمنح الهبات السنيات، سترًا للعيب، وسدًا للخلل، وتكميلًا للنقص، ويقابل المنتسب والمقترب برفع شأنه، وضمان أمنه. ومن عَرَفَ الله وُصِل، ومن خَدَمَ الله أُعين وفُضِّل.

● وإذ نقدم لهذا العمل المنجز، والمحاولة الجديدة الرائدة من محب مُتَوَلِّه، يرتشف منه ويغترف، فإني لأقدر الجهد المقدم والاستماتة فيه، إذ لولا ذلك ما كان ليتم له ما قصد، لأن الأداء الذي مجلاه السمع، يَنِدُّ عن أن يَطُوعَ للقلم على الصفحات ليكون مجلاه النظر، ومع ذلك فإن هذه البادرة كانت بحمد الله موفقة، خصوصا في المقاربة التي اعتمدتها في صياغة النص مع الاحتفاظ ما أمكن بما جاء في الأصل المسموع، مع السماح ببعض التصرف فيه في حدود ما يقتضيه تحويل الكلام من مسموع إلى مطبوع، وكذلك الجهد المبذول في التبويب والترتيب، والتوثيق والتقريب.

● أُثمِّن العمل وأتمنى للقائمين عليه -وفيهم من يؤثر الاستتار- أن تشملهم عناية صاحب الروض؛ الله (جل جلاله)، وذلك بأن يحقق لهم المبتغى، ويفتح لهم الباب لإتمام العمل على نفس الخطى، ويصونهم من الزلل والخطا.

● هذا، وقد يتيح لنا هذا اللون من الاشتغال، الفرصة لاستجماع النظر، لغاية استجلاء معالم تجديدٍ منهجيٍّ يهمُّ البحث في الإلهيات كما نراه.

إمضاء بدعاء

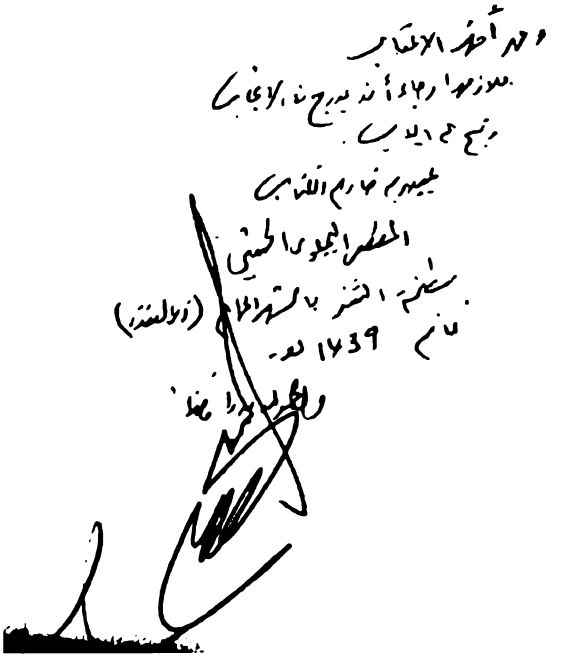
حقق الله الرجاء، وبلغ المأمول، وصان المنتسب وبارك عليه، ورد المغترب إلى أفياء ظل الروض البهي، لسلوك سبيل أولي الألباب، ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وصلى الله وسلم على العارف بالله، والقارئ باسمه، والمسبح بحمده، ما خُطَّ كتاب، وارتفع سحاب، ورُفع حجاب، وعلى آله وصحبه الأنجاب، والتابعين لهم إلى يوم المآب.

اعْـــرِفْ أحِـــبَّ وَحِّـــدِ تلـــك أصـــول المفـــردِ
ومُبْتَـــغِ الوصـــول مـــنَ غيـــر ســـبيلها فُـــتِنْ
وكـــانَ كالـــذي يـــروم الـــرَّيَ مـــن حَـــرِّ الســـموم

وحرر أحرف الأعتاب ملازمها، رجاء أن يدرج في الأنجاب، ويفتح له الباب، عبيد ربه خادم الكتاب، المصطفى البحياوي الحسني، بطنجة الثغر، بالشهر الحرام (ذي القعدة) عام 1439 من هجرة المصطفى عليه السلام.

والحمد لله بدأ وختما.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[استهلال وابتهال][1]

اللهم يا ذا المنِّ الذي لا يكافى امتنانه، والطول الذي لا يجازى إنعامه وإحسانه، نسألك بك ولا نسألك بأحد غيرك، أن تطلق ألسنتنا عند السؤال، وتوفقنا لصالح الأعمال، وتجعلنا من الآمنين يوم الرجف والزلزال، يا ذا العزة والجلال، أسألك يا نور النور، قبل الأزمنة والدهور، أنت الباقي بلا زوال، الغني بلا مثال، القدوس الطاهر، العلي القاهر، الذي لا يحيط به مكان، ولا يشتمل عليه زمان، أسألك بأسمائك الحسنى كلها، وبأعظم أسمائك إليك، وأشرفها عندك منزلة، وأجزلها عندك ثوابا، وأسرعها منك إجابة، وباسمك المخزون المكنون، الجليل الأجل، الكبير الأكبر، العظيم الأعظم، الذي تحبه وترضى عمن دعاك به وتستجيب له دعاءه، أسألك اللهم بلا إله إلا الله الحنان المنان، بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، وأسألك باسمك العظيم الأعظم، الذي إذا دعيت به أجبت، وإذا سئلت به أعطيت،

---

(1) هذا دعاءٌ ختم به الإمام الجزولي رحمه الله ورضي عنه كتابه الفائق الرائق، «دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار ﷺ»، وجعلته في مستهل هذا الكتاب توسلًا وتبركًا، لعل الله أن يشمل بالإجابة من قرأه ويصلنا من بركاته، آمين.

وأسألك باسمك الذي يذِلَّ لعظمته العظماء والملوك والسباع والهوام، وكل شيء خلقته يا الله، يا رب استجب دعوتي، يا من له العزة والجبروت، يا ذا الملك والملكوت، يا من هو حي لا يموت، سبحانك ربي ما أعظم شانك، وأرفع مكانك، أنت ربي يا متقدِّسًا في جبروته، إليك أرغب، وإياك أرهب، يا عظيمُ يا كبيرُ يا جبارُ يا قادرُ يا قوي، تباركت يا عظيم، تعاليت يا عليم، سبحانك يا عظيم، سبحانك يا جليل، أسألك باسمك العظيم التام الكبير، أن لا تسلط علينا جبارًا عنيدًا، ولا شيطانا مريدا، ولا إنسانا حسودا، ولا ضعيفا من خلقك ولا شديدا، ولا بارا ولا فاجرا ولا عبيدا ولا عنيدا.

اللهم إني أسألك فإني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله أنت الواحد الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤا أحد، يا هو يا من لا هو إلا هو، يا من لا إله إلا هو، يا أزلي يا دهري يا ديمومي، يا من هو الحي الذي لا يموت، يا إلهنا وإله كل شيء إلها واحدا، لا إله إلا أنت.

اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة الرحمان الرحيم، الحي القيوم الديان الحنان المنان، الباعث الوارث، ذا الجلال والإكرام، قلوب الخلائق بيدك، نواصيهم إليك، فأنت تزرع الخير في قلوبهم، وتمحو الشر إذا شئت منهم، فأسألك اللهم أن تمحو من قلبي كل شيء تكرهه، وأن تحشو قلبي من خشيتك ومعرفتك، ورهبتك والرغبة فيما عندك، والأمن والعافية، واعطف علينا بالرحمة والبركة منك، وألهمنا الصواب والحكمة، فنسألك اللهم علم الخائفين، وإنابة المخبتين، وإخلاص الموقنين، وشكر الصابرين، وتوبة الصديقين.

ونسألك اللهم بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك، أن تزرع في قلبي معرفتك حتى أعرفك حق معرفتك، كما ينبغي أن تعرف به، وصَلَّى اللهُ على سيدنا محمد خاتم النبيين، وإمام المرسلين، وعلى آله وصحبه وسَلَّمَ تسليما، والحمد لله رب العالمين، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[1].

* * * *

(1) دلائل الخيرات، ص116-120.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والاخرين، ورضي الله عن ساداتنا آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد؛ فمن المعلوم لدى جميع أهل العلم والنظر، أن شرف العلم تابع لشرف موضوعه، ولذلك كان علم التوحيد أجل العلوم بإطلاق. وأفضلها باتفاق، ذلك لأن موضوعه أجل موضوع وأعظمه، وهو التعريف بالله جل وعلا، سواء ما تعلق بذاته العلية، أو صفاته السنية، أو أفعاله الحكيمة، وتحت هذه الثلاث تندرج جميع موضوعات علم الاعتقاد، وهو ما جعل علماء الأمة تنصرف عنايتهم للاهتمام بهذا العلم الشريف، وتشييد صرحه المنيف، يشهد بذلك الجم الغفير من علماء العقيدة والكلام، الذين كانوا نجومًا سواطع في سماء مجد أمتنا، وذلكم الكم الهائل من المؤلفات، مختصرات وجوامع، مما جادت به الأفئدة الصادقة، والعقول المدققة، وسطرته يراعات المحققين، وشهد به وعليه الجميع من موافقين ومفارقين.

ولم يكن هذا الاهتمام خاصًّا بعصر دون غيره، ولا بقُطر دون نظيره، وإنما عَمَّ ذلك جميع الفترات، وساد في جميع المناطق والبيئات، ومنها بلاد الغرب الإسلامي التي كانت عناية أهل العلم فيها بعلم التوحيد فائقة،

وإنتاجاتهم في ميادينه متألقة، حيث نجد علماء أسَّسوا له فوضعوا أصوله، وآخرين درّسوه وبينوا مسائله وفصوله، واستمر ذلك إلى يومنا هذا مع جِلَّة من العلماء النبهاء، الذين ساهموا في بناء صرح الدرس العقدي المغربي المعاصر، ومنهم العَلَم الفذ النبراس، سليل الدوحة النبوية الشريفة، وخريج المدرسة القرآنية المنيفة، خادم الكتاب، ومعلم الطلاب، سيدي ومولاي المصطفى البحياوي نفعنا الله بحبه، وأدام علينا نعمة صحبته وقربه، ولا حرمنا من بركاته وحدبه، حيث كان له اهتمام بالغ بدرس العقيدة في إشارات واضحة ضمن دروس التفسير والحديث والسيرة، أو ضمن أعمال علمية متخصصة، منها العمل الفخم الموسوم بـ «**روض الإلهيات من خلال مقاطع الجلالة في الآي البينات**» وهو عبارة عن سلسلة دروس ألقاها الشيخ حفظه الله في دورة الفقه الأكبر التي نظمها المنتدى الإسلامي بالشارقة سنة 1431 من هجرة المصطفى عليه السلام.

وقد كانت عندي رغبة كبيرة منذ مدة طويلة في أن أقوم بتنزيل ما استطعت من التراث العلمي الفائق في بابه للشيخ سيدي المصطفى حفظه الله، من الخطاب الشفوي إلى نصوص مكتوبة، وذلك لتعم الفائدة والنفع بها إن شاء الله تعالى، فبدأت بشرحه لكتاب الشمائل المحمدية للإمام الترمذي رحمه الله، وشرحه لكتاب الرسالة للإمام الشافعي رحمه الله، وشرحه الفائق لحكم ابن عطاء الله السكندري، ومجموعة من الخطب المنبرية، ولكنني في كل ذلك أتوقف في المرحلة الأولى ولا أستكمل العمل لسبب أو لآخر.

فلما تجددت صلتي بالجامعة بالتسجيل في سلك الماستر بكلية أصول الدين العامرة، قررت أن أستأنف ما كنت بدأته، وبعد أن استشرت مع الأستاذ الفاضل الدكتور سيدي محمد الفقير التمسماني -عميد الكلية- حفظه الله في أن يكون موضوع البحث لنيل شهادة الماستر بإشرافه هو نص «روض الإلهيات» وذلك بتنزيله من خطاب ألقي على مسامع أهل العلم وطلبته، إلى كتاب يسهل الرجوع إليه ويشكل مادة علمية يستفيد منها طالبها، رحَّب بالفكرة جزاه الله خيرًا، وساهم بتوجيهاته النَّيرة ونصائحه القيمة في تيسير إنجازه، فله مني جزيل الشكر وكبير الامتنان.

دوافع الاختيار

من أهم محاور «ماستر العقيدة والفكر في الغرب الإسلامي» محور «أعلام العقيدة في الغرب الإسلامي»، وبما أن الشيخ سيدي المصطفى البحياوي من جِلَّةِ العلماء المعاصرين، وهو من بلاد المغرب، وهو إلى جانب كونه إمامًا في القرآن وعلومه (حفظًا، وأداءً، ورسمًا، وفهمًا)، وكذلك في السنة والحديث (إسنادًا ودراية وفقهًا...)، فإن له باعًا طويلًا في علوم التوحيد والكلام واللغة وغيرها من العلوم.

كما أن الشيخ حفظه الله جمع إلى أصالة التكوين في العلوم الشرعية، التمكن من ناصية المناهج المعاصرة، سواء على مستوى منهج عرض القضايا والمباحث، أو على مستوى الأسلوب ولغة البيان، وبعد أن تمت مناقشة البحث بحمد الله في الكلية بدا لي أن أبادر إلى طبعه في كتاب

يكون بإذن الله باكورة أستهل بها مشروع تزويد المكتبة الإسلامية بدرر فائقة في علوم مختلفة، جادت بها قريحة الشيخ الجليل، وذلك رجاء أن أدرج فيمن كتب لهم شرف خدمة علم هذا العَلَمِ، فأحظى بما وُعِدوا به من كريم الشفاعة[1]، والله يتولى التوفيق والسداد، وهو الهادي إلى سبيل الهداية والرشاد.

لماذا روض الإلهيات؟

من المعلوم لدى كل من له أدنى صلة بالإنتاج العلمي الغزير للشيخ سيدي المصطفى البحياوي حفظه الله – المكتوب منه والمسموع – أن مباحث العقيدة منثورة في مواطن مختلفة، منها على سبيل المثال:

- شرح كتاب الإيمان من صحيح البخاري رضي الله عنه،
- نظم العقيدة الطحاوية الموسوم بـ«منحة المهدي بنظم عقيدة الأزدي».
- كما أن درسه في التفسير حافل بالمسائل ذات الصلة بعلم التوحيد والكلام.

---

(1) يقول الله عز وجل يوم القيامة في حق العلماء: «هم عندي كأنبيائي، اشفعوا فيمن تشاءون»، فيشفع العالم في أهل بيته وجيرانه وإخوته، ويأمر كل واحد منهم ملكًا ينادي في الناس: ألا إن فلانا العالم قد أمره الله أن يشفع فيمن قضى له حاجة أو أطعمه لقمة، أو سقاه شربة ماء حين عطش، فيقوم إليه من فعل معه شيئا من ذلك فيشفع له، وفي الصحيح أن أول من يشفع المرسلون ثم النبيون ثم العلماء، ويعقد لهم راية بيضاء تجعل في يد إبراهيم عليه السلام. (الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، (ص:73).

- في غالب خطبه المنبرية يركز حفظه الله على مسألة العقيدة وأنها معقد الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة.

إلا أن مجالس «**روض الإلهيات من خلال مقاطع الجلالة في الآي البينات**» تمحضت للفقه الأكبر، ورغبة مني في الاستفادة منها وبيان موضوعها وجوانب التميز والتجديد فيها، وكذلك الإضافات النوعية التي حفلت بها تلك الدروس، عزمت على العناية بها وإخراجها في كتاب يستفيد منه أهل العلم وطلبته.

الدراسات السابقة

بخصوص تحرير التراث العلمي للعلامة سيدي المصطفى البحياوي حفظه الله، سمعت عن الكثير من المحاولات في الباب، لكنها في حدود ما أعلم يلاحظ فيها أمرين:

الأمر الأوَّل: وهو أنه في الغالب تبقى في المراحل الأولى، وتكون عبارة عن انفعال عاطفي يولد رغبة لكن سرعان ما تنطفئ جِذْوتها، ولا تبلغ لتكون عملًا كاملًا يبلغ به صاحبه إلى ما ينبغي الوصول إليه. كتلك التي قمت بها بخصوص مجالس شرح الشمائل المحمدية للترمذي، وشرح الحكم لابن عطاء الله السكندري، وشرح رسالة الشافعي.

وهناك من قال بأنه حرر تفسير سورة الفاتحة الذي أملاه الشيخ ضمن دروس الكراسي العلمية، وهي ست وسبعون حلقة، لكن لحد الآن وفي حدود علمي لم يتم عرضه على الشيخ ولم يطبع بعد.

الأمر الثاني: أنّها في الغالب تقتصر على بعض المنظومات والنُّصوص كتلك التي حررها الأستاذ مولاي حفيظ بوليط، إما بطلب من الشيخ أو بمبادرة منه، وتلك التي قام بها الدكتور نزار حمادي، كالنفح العنبري بنظم حكم السكندري، ونظم مجالس الموطأ الذي اعتنى به الأستاذ سهيل بن محمد اليندوزي.

وجدير بالذكر في هذا المقام أن الدكتور عبد الرحيم بنغاشي من كلية الأمير عبد القادر بالقسطنطينة في الجزائر، كتب شرح الشيخ سيدي المصطفى لكتاب المرافق على الموافق للشيخ أبي المودة، وقد وصل فيه إلى مراحل جد متقدمة نسأل الله أن يوفقه لإكماله.

ومن بين الجهود في خدمة علم الشيخ مولاي المصطفى البحياوي، البحث الذي قام به الطالب البشير اندمين تحت عنوان: «منهج الشيخ مولاي المصطفى البحياوي في التفسير: تفسير سورة الفاتحة نموذجًا» وهو رسالة لنيل شهادة الماستر من جامعة ابن زهر برسم الموسم الجامعي 2015/2016 تحت إشراف الدكتور حسن حميتو.

كما أن الطالب النجيب محمد ابن إدريس العلمي جمع في رسالة صغيرة مجموعة من الديباجات والحكم وبعض الخطب الرمضانية في تدبر قصار المفصل، وقدم لها بمقدمات مختصرة وسمى رسالته «مسالك الاهتداء».

غير أنه يبقى كل ذلك غير كاف إذا ما قورن بما يجب على الأمة تجاه علمائها، نسأل الله العلي الأعلى أن يوفق من أهل العلم من يسد هذا المسدّ، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

فصل في التعريف
بصاحب «روض الإلهيات»
وأثره العلمي والدعوي والتربوي

وذلك في مبحثين مختصرين بعد تقدمة فيها ذكر كيف تعرفت عليه

المبحث الأول: ترجمة مختصرة للعلامة سيدي المصطفى البحياوي

المبحث الثاني: الأثر العلمي والدعوي والتربوي للشيخ سيدي المصطفى حفظه الله

تقدمة بين يدي هذا الفصل

وفيها ذكر كيف تعرفت على سيدي المصطفى البحياوي حفظه الله:

في سنة 1423هـ، وأنا طالب بكلية الآداب في سلك الإجازة شعبة الدراسات الإسلامية، بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بمدينة فاس، تعرفت على السيد الفاضل سيدي الحبيب الشرقاوي[1]، وكان أن توطدت العلاقة معه بسبب مجالسات ومذاكرات، فلما علم بأنني أتردد إلى مدينة طنجة بسبب استقرار الأسرة بها، قال لي: إن فيها عالم كبير، ورجل فاضل أصيل، فإذا ذهبت إليها فزره، وقل له: الحبيب الشرقاوي يقرئك السلام ويسألك الدعاء، وأوصاني بملازمته قائلا: إنه سيفيدك في مسارك الدراسي والعلمي، وكان يتوسم فيَّ الخير ويصارحني بذلك جزاه الله خير الجزاء، فلما قدمت إلى طنجة، سألت عن الشيخ بعض معارفي بها، فقالوا لي بأنه أشهر من أن يسأل عنه، وعلمت أنه يسكن بحي الإدريسية ويصلي في مسجد العمرة القريب من داره، وأنه يلقي خطبة الجمعة في مسجد الإمام الشاطبي بحي مسترخوش بمدينة طنجة.

حضرت يوم الجمعة مبكرا، وكان الغرض عندي هو التعرف على الشيخ حتى يتسنى لي أن أكلمه في مسجد العمرة، لأنني قدَّرت أن

---

(1) من مواليد (1368هـ الموافق ل 1949م) بمراكش، درس بها الابتدائي والثانوي، واشتغل موظفا بوزارة التخطيط، تعرف على الشيخ منذ الصبا بمسجد كليز. يقول الحبيب حفظه الله: كان مولاي المصطفى محترما في مراكش منذ صغره عند الكبير والصغير. وكان لي أخا ومربيا وشيخا، إنه منة من الله علي، كان يهدي إليه الكتب من حين لآخر، وتعلمت من سيرته الصبر والأدب، والكرم وحب القرآن والمعرفة، جزاه الله خير الجزاء.

الحديث معه بعد صلاة الجمعة ربما يكون غير مناسب أو غير ممكن، دخلت المسجد مباشرة بعد آذان الظهر وصليت تحية المسجد وقرأت ما تيسر من كتاب الله، حتى إذا حان وقت صلاة الجمعة، وفُتِح الباب الذي على يسار المحراب، فإذا بسيدي المصطفى بطلعته البهية يخطو بوقار لم يسبق لي أن رأيته، وارتقى المنبر، وسلم على الناس، وجلس في سكينة ووقار وإجلال، فلما فرغ المؤذن قام وقال:

[بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونشكره، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70-71].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهُدىَ هُدَى محمدٍ رسول الله ﷺ وعلى أله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، نعوذ بالله من غضبه و عقابه.

معاشر الصالحين]:

لما بدأ الشيخ سيدي المصطفى حفظه الله في الخطبة، قلت في نفسي: هذا مثل الغزالي أو ابن تيمية...، وقد كنا نردد مقولة قلتها في نفسي: «هذا صحابي تأخر به الزمان»، هذا ما أحسست به والله شهيد على ما أقول.

وفي عصر أحد الأيام الموالية صَلَّيتُ بمسجد العمرة بحي الإدريسية، فلما سلَّم الإمام قمت أنتظر سيدي المصطفى في باب المسجد، فلما خرج تقدمت نحوه والحياء يلفني، وسلمت عليه فرد ببشرٍ يبعث على الاطمئنان، لأنه يفيض من ينبوع الاستنان بنبي الأمان ﷺ، وقدمت له نفسي ومن أرسلني فربَّتَ على كتفي بيده المباركة، ورحب بي، وأخذني إلى بائع المثلجات بجوار المسجد، واشترى لي بعضها وأجلسني بجانبه، فقلت له بأنني طالب في شعبة الدراسات الإسلامية وأنني مقبل على إنجاز بحث الإجازة، فأرشدني إلى موضوع التصرفات النبوية تحت عنوان «جهات تصرفات الرسول ﷺ: ضوابط ومميزات» وقال لي بأن الإمام القرافي له كتاب في الباب تحت عنوان «الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام»، وبعد ذلك بدأت أتردد عليه وتعرف حفظه الله على دار الوالد بحي بنكيران بمدينة طنجة.

وفي أحد الأيام ولما رجعت من العمل -إذ كنت أشتغل في كل عطلة في مجال البناء لتوفير ما به أستعين على الدراسة- وجدت السرور والبهجة يغمران الدار، أبي وأمي وأخوتي، الكل يحفه البشر وتعلو قسمات وجهه السعادة، فأخبروني بأن رجلا جليلا مباركا قد جاء إليهم ومعه نسخة

من كتاب «الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام» للقرافي رحمه الله، وقال لهم أعطوه لمحمد حينما يأتي...

بكيت من الفرح، واغتبطت أيَّما اغتباط، واختلطت علي المشاعر، فمن جهة أرى عدم الاستحقاق لما أنا متيقن منه من ذنوبي وضعف همتي، ومن جهة أخرى ما حباني به الله تعالى من حسن الحظ وجميل التوفيق، وأن يسر لي سبيل التعرف على الشيخ والقرب منه. فقررت حينها السكنى بمدينة طنجة بعد أن كنت أُعِدّ للاستقرار في مدينة فاس.

أول جلوس مع الشيخ في «الزاوية»

جاء ذات يوم إلى مدينة طنجة الحبيب الشرقاوي، والتقى بالشيخ سيدي المصطفى فاتصل بي وقال لي: التحق بنا للغداء مباشرة بعد صلاة الظهر بالمحل المقابل للمسجد، صليت بمسجد العمرة فلما خرجنا من الصلاة رحت أبحث عن المحل الذي وصفه لي فلم أهتد إليه، ولحسن حظي وجدت سيدي عطاء ابن الشيخ مع بعض أصدقاءه قرب المسجد، فعرفته لشبهه بوالده، اقتربت منه وسلمت عليه وقلت له: إذا سمحت فإنني أبحث عن المحل الذي يجلس فيه الوالد، و شرحت له أن الأخ الحبيب اتصل بي وقال لي أن آتي بعد الظهر، فأرشدني - أرشده الله لكل خير- إلى محل الأخ الفاضل سيدي مصطفى الأشهب[1] بحي كاسباراطا، التحقت

---

(1) هذا رجل نذر حياته لخدمة الشيخ سيدي المصطفى ، لا يصدر إلا عن أمره ، ولا يتصرف إلا بإذنه ، تعرف عليه سنة (1415هـ 1994م) فصار كالابن له بشهادة الشيخ ، جزاه الله خيرًا ، والمتصل بالنور له منه نصيب بحسب درجة الوصل .

بهم ودخلت أول مرة إلى مجلس الشيخ «الزاوية» وأكرمني -أكرمه الله- بحسن الاستقبال، وجميل المقال، ولا تسل حينها عن فرحتي وسروري، ومنذ ذلك الحين وأنا في كنف رعايته وتوجيهه، أغيب فيسأل عني، وأدعوه فيجيب دعوتي... وأخطئ فيتجاوز عني، ويرشدني إلى سبل الخير، ويوصيني بمعاقد البر، والعمل في السر، ويقول: عليك بالصدق والرفق.

أعتبره أبي، وأستاذي، وشيخي، ومعلمي، ... أجزل الله له الثواب، ولقَّاهُ النظر إلى وجهه الكريم يوم المآب، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

❊ ❊ ❊ ❊

المبحث الأول:

ترجمة مختصرة للعلامة سيدي المصطفى البحياوي[1]

المطلب الأول: اسمه ونسبه ونشأته:

هو فضيلة الشيخ العلامة سيدي المصطفى بن أحمد بن عبد الرحمن ابن سيدي علي بن الحاج بن عمر بن طه بن طلحة بن سيدي أبي بكر بن سيدي سعيد اللحياني بن سيدي أبي بكر بن سيدي محمد بن سيدي عبد الله بن سيدي منصور بن سيدي أبي زيد عبد الرحمان الملقب بيعلى دفين حومة الطالعة بفاس بن إسحاق المكنى بعبد العلي دفين حومة مصمودة بفاس بن مولاي أحمد- دفين روضة الأشراف الأدارسة بجراوة من مدينة فاس- بن سيدي محمد بن المولى إدريس الأزهر بن المولى إدريس الأول بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت سيدنا رسول الله ﷺ[2]، ولقب البحياوي (نسبة إلى أبي يحيى البصير دفين الحدرة بمنطقة دكالة) فهو الإدريسي الحسني نسبًا، والمراكشي مولدًا ونشأة وتعلمًا وتعليمًا، والطنجي دارًا واستقرارًا.

---

(1) هذه الترجمة أملا بعضها الشيخ حفظه الله وبعد التصرف فيها والإضافة عرضتها عليه ثم ضمنتها ما تفضل به من تعديلات وتصويبات.

(2) هذا النسب الشريف موجود عند الشيخ في مصحفه، أورده البشير اندمين في «منهج التفسير عند سيدي مصطفى» (ص12- 13).

ولد حفظه الله تعالى في مراكش في سبعينيات القرن الرابع عشر الهجري (حوالي 1374هـ) الموافق لخمسينات القرن العشرين الميلادي (حوالي 1954م)، وحفظ القرآن الكريم في صغره على يد والده رحمه الله بروايتي قالون وورش، وأخذ عنه مبادئ العلوم من عربية وفقه وتفسير وأداء.

كان والده رحمه الله إماما وخطيبا وصاحب مقرأة قرآنية بمسجد أبي عمرو القسطلي[1] بمراكش، وكان الشيخ يشرف عليها في حياته، وعند وفاته رحمه الله جلس مجلسه للإقراء فيها، وفي الوقت نفسه كان يدرس في المدارس القرآنية بمراكش.

* * * *

(1) أبو عمرو القسطلي (912 هـ - 974 هـ) مؤسس الزاوية البوعمرية وإليه تنسب (حومة سيدي بوعمر) برياض العروس، وهو من رجالات مراكش وأوليائها، ترجم له الدكتور حسن جلاب في رسالة مفردة بعنوان: «أضواء على الزاوية البوعمرية» طبعت سنة 1996م.

المطلب الثاني: بعض شيوخه:

نشأ الشيخ في بيئة تحتفي بالعلم والعلماء، إذ كان بيت والده رحمه الله بمثابة منتدى يتردد عليه ثلة من العلماء والقراء وطلاب العلم، فتهيأ للشيخ بفضل ذلك مجالسة كبار علماء مراكش، والأخذ عنهم، والاستفادة من مناظراتهم العلمية والأدبية، وحضور دروسهم الخاصة والعامة.

ومن أولئك الأعلام الذين أخذ عنهم الشيخ وتأثر بهم في مرحلة الطلب الأولى على سبيل الذكر لا الحصر:

- أولهم في الذكر والده المرحوم الحاج أحمد بن عبد الرحمان البحياوي رحمه الله.
- فضيلة الشيخ الفقيه السباعي مولاي أحمد الطاهر الكنتاوي، قرأ عليه أسهل المسالك في الفقه المالكي، وهو أحد ملثمين في مشيخته.
- فضيلة الشيخ المقرئ محمد بن إسماعيل، قرأ عليه مبادئ علم التجويد، ودرس عليه الجزرية ونظم ابن بري المسمى «الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع».
- فضيلة الشيخ اسميج الضرير، قرأ عليه «نظم السلم» للأخضري في المنطق، ونظم «إضاءة الدجنة» للمقَّري في العقيدة. وهو أحد الضريرين في مشيخة الأستاذ البحياوي، والأخر هو سعد العبد الله الحموي.
- فضيلة العلامة المحدث الفاروقي الرحالي، حضر له مجالس الجامع الصحيح إلى كتاب المغازي، وقد ارتبط الشيخ به وتأثر كثيرًا بأسلوبه ومنهجه.

- فضيلة الشيخ عبد السلام المسفيوي قرأ عليه السيرة النبوية في مجالس متكررة في شرحَيْه «للهمزية» و«البردة».
- فضيلة الشيخ أحمد أملاح، قرأ عليه النحو والعربية، وأبوابا من «حاشية مختصر خليل» في الفقه المالكي في مسجد أبي العباس السبتي بمراكش.
- فضيلة العلامة المفسر الحاج الهاشمي المراكشي السرغيني، حضر له مجالس التفسير، وتأثر به كثيرًا، وكان يذكر من مناقبه أنه كان قوّاما للّيل مواظبا على إمامة التراويح على كبره رحمه الله.
- فضيلة الشيخ عبد العزيز الزمراني، الفقيه وقاضي القضاة في الجنوب، درس عليه «متن العاصمية» في الفقه المالكي، وهو ثاني ملثمين في مشيخة سيدي المصطفى.
- فضيلة الشيخ الكنسوسي، درس عليه السيرة النبوية.
- فضيلة الشيخ بن حليمة المراكشي، حضر له أبوابا من كتاب إحياء علوم الدين وقد كان يستحضره (يعني الإحياء) وكان ينعته الشيخ حينما يذكره في مجالسه بعاشق الإحياء.
- فضيلة الشيخ الفقيه بلخير، درس عليه علم التفسير ومناهج المفسرين، ومما يذكر الشيخ من مناقبه أنه كان لا ينقطع عن ذكر الله عز وجل.
- فضيلة الشيخ اللغوي أحمد الشرقاوي درس عليه اللغة والأدب وبعض معاجم اللغة، كـ«معجم المقاييس» لابن فارس.

كما حضر مجالس سرد البخاري للفقيه الورزازي وغيرهم من العلماء الأفاضل الذين تأثر بهم الشيخ في شبابه وبداية الطلب في مراكش، وأسهموا في إبراز نبوغه وتفوقه على أقرانه.

ومن شيوخه في القراءات:

- الشيخ المقرئ عبد الفتاح القاضي أخذ عنه شرحه الوافي للشاطبية.
- الشيخ السيد عبد الفتاح المرصفي، أخذ عنه «هداية القاري إلى تجويد كلام الباري».
- والشيخ المقرئ عبد الحكيم عبد اللطيف، عرض عليه الثلاث من «الدرة»[1].
- والشيخ سعيد بن عبد الله المحمد العبد الله الحموي الضرير، قرأ عليه للسبعة من «الحرز».

ومن شيوخه في الحديث:

- الشيخ المحدث سيدي عبد العزيز بن الصديق الغماري.
- والشيخ المحدث سيدي عبد الله بن الصديق الغماري.

* * * *

(1) القراءات الثلاث المكملة للعشر.

المطلب الثالث: سيرة ومسار:

توفي والد الشيخ رحمه الله وهو في مرحلة البكالوريا من التعليم النظامي، فتولى الإمامة والخطابة من بعده، وجلس مجلسه للإقراء بمراكش، ولما اجتاز البكالوريا، التحق بمدرسة المعلمين، وتخرج الأول على دفعته، إلا أنه تم تعيينه بعيدًا في منطقة نائية على جبال الأطلس تسمى أكلموس. وأمضى هناك ما يزيد على ثلاث سنوات كان خلالها يزاول مهامه الوظيفية، وحال فراغه منها كان ينزل إلى البلدة المجاورة يُدَرِّس الطلبة، فتخرج على يديه أول الأفواج من الحفظة وطلاب العلم في المنطقة.

بعد ذلك التحق بالمركز الجهوي للدراسات اللغوية والأدبية بمراكش بعد أن نجح في مباراة القبول، فكان ذلك سببًا في انتقاله مرة أخرى إلى مراكش. وبالموازاة مع ذلك التحق الشيخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في الرباط ليتابع دراسته الجامعية عن بعد في شعبة الفلسفة، فكان يجمع بين التدريس في دار القرآن، والإقراء في مقرأة الوالد رحمه الله، والوظيفة، والدراسة في المركز الجهوي للدراسات اللغوية، ويحضر المحاضرات في كلية الفلسفة، ويسافر في فترة الامتحانات إلى الرباط لاجتياز الاختبارات. وخلال تلك السنوات حضر دروسًا لكل من رشدي فكار، وسامي النشار، وطه عبد الرحمن.

ولما تخرج في المركز الجهوي بعد سنتين، عُيِّن أستاذًا للغة العربية في مؤسستي ابن عبدون وعمر بن الخطاب في مدينة واد زم ومدينة خريبكة. ولما حصل على الإجازة في الفلسفة عين أستاذًا للفكر الإسلامي

والتربية الإسلامية في ثانوية يوسف بن تاشفين، والتي درس فيها حوالي سبع سنوات، كان خلالها يحاضر في جامعة مراكش حول العقيدة وحوار الأديان ويتصدى بكل نشاطه للفكر الماركسي الذي كان سائدًا آنذاك. كما كان مستمرًا في إشرافه على المقرأة القرآنية وتدريس مادة القراءات والعلوم الشرعية الأخرى في دار القرآن، ويتولى الخطابة والوعظ في مسجد والده رحمه الله وغيره من مساجد مراكش.

وكان بحث تخرجه تحت عنوان: «العلة في القياس الفقهي والحد الأوسط الأرسطي» واعتمد فيه على «الجواهر المنطقية» للفاسي و«معيار العلم» للغزالي و«مِحك النظر» لابن حزم.

في هذه الفترة من بداية الثمانينات تقدم الشيخ إلى مباراة وطنية لاختيار المفتشين في التعليم، فتم قبوله واحدًا من بين عشرة من كل المغرب للالتحاق بالمعهد الوطني بالرباط لمدة سنتين، فانتقل بموجب ذلك إلى الرباط، وكعادته كان يجمع بين عمله الوظيفي، والتدريس والدعوة الى الله، فساهم في فتح مدرسة قرآنية تخرج منها العديد من طلاب العلم، وكان له مجلسان للتدريس في منطقة «باب الحد» يرتادهما العديد من الفضلاء وطلاب العلم. وخلال تلك السنتين حصل الشيخ على الماستر «دبلوم الدراسات العليا» في الدراسات القرآنية من خلال بحثين؛ الأول تحت عنوان: «المسك الأذفر فيما خالف فيه نافع أبا جعفر» والثاني «مناهج دراسة النص القرآني». وتقدم ببحث دكتوراه في تحقيق الجميلة «جميلة أرباب المراصد شرح عقيلة أتراب القصائد للجعبري» لكنه قوبل بالعراقيل فصرف الشيخ عنه نظره.

وحال تخرجه من المعهد الوطني تم تعيينه مفتشًا عامًّا على جهة الشمال، ومشرفًا على التّعليم الأصيل واللغة العربية في كل من طنجة وشفشاون وتطوان لمدة ثلاث سنوات، إلى أن استقر به الأمر في طنجة حيث يقيم إلى الآن. فأسس معهد الإمام الشاطبي للقرآن الكريم وعلومه الذي يديره إلى الآن، والذي خرّج ولازال الأفواج من الحفظة والأئمة وطلاب العلم.

كما درّس في معهد الموحدين العقيدة الطحاوية، وأشرف على العديد من دور القرآن وكانت له مجالس للعموم في التفسير وصحيح البخاري والسيرة النبوية، وله إلى الآن مجالس خاصة مع الطلبة في القراءات وعلوم القرآن والأصول واللغة، ويلقي خطبة الجمعة في مسجد الإمام الشاطبي؛ وهو أستاذ كرسي الإمام ابن عطية في التفسير في إطار الكراسي العلمية التي تبنّتها القناة السادسة المغربية، وأستاذ بمعهد محمد السادس للقراءات والدراسات القرآنية بالرباط.

وفي السنوات الأخيرة، تردّد على إمارة الشارقة في دولة الإمارات العربية المتحدة، بدعوة من منتداها الإسلامي وبضيافة من أميرها للمشاركة في الدورات العلمية التي ينظمها المنتدى مرتين في كل عام، ألقى خلالها دروسًا في التفسير، وصحيح البخاري، وعلوم القرآن، والسيرة النبوية، والشمائل المحمدية، والعقيدة، والتاريخ، والسلوك، والأصول والمقاصد.

والشيخ حفظه الله عالم قراءات متقن، وفتح الله عليه في فنون عديدة، يتمتع بخصال حميدة وطباع نبيلة، وقد شهد بفضله وعلمه الكثير من أهل العلم وتخرج على يديه ثلة من القراء والمشايخ والدعاة وطلبة العلم والفضلاء في مراكش وطنجة وغيرهما من المغرب وخارجه.

❊ ❊ ❊ ❊

المطلب الرابع: مكانة الشيخ العلامة سيدي مصطفي البحياوي:

لا يخفى على أحد ما يحظى به العلامة سيدي المصطفى البحياوي حفظه الله من تقدير واحترام في أوساط العلماء والطلبة وعموم من عرفه، وذلك لما خصه الله به من كريم الخصال وجميل الخلال، مع تمكن وضبط، وإتقان وحفظ، وهو ما يبدو من خلال هذه النماذج من الشهادات في حقه:

شهادة الدكتور محمد جميل مبارك[1]:

«... ومن الإنصاف في حقه أن أقول مستيقنا: إنه من قادة الفكر والثقافة والعلم الشرعي في بلادنا... في حديثه إمتاع وإقناع، إمتاع في الصوغ والعبارة، وإقناع في التعبير والإشارة، قبستُ من صحبته قبسات من علم وسمت، والصحبة هنا صحبة علم، ومقامها مقام التلمذة مع المشيخة، فليست صحبة الأقران، ولكنها صحبة التلاميذ للأساتيذ... فما كنت أجالسُه إلا بنية الاقتباس من علمه... نلقي عليه إشارات في قضايا تشكل علينا فيجيبنا بمهارة... ونصيبه من القرآن موفور، فإن استمعت إلى تلاوته بصوته الخافت الهادئ، خشعت لها، لأنه يتلو بلسانه ويتذوق بقلبه، وإن حاورته في رسم القرآن وضبطه، وعد آيه وأصول قراءاته وفرشها، استمتعت بقوة استحضاره، وغزارة محفوظه.

---

(1) رئيس المجلس العلمي بمدينة أكادير ويشغل أستاذ كرسي ابن رشد، وخطيب جمعة بالمدينة نفسها.

إن مجلسه مجلس العلماء، بل هو مَجالس العلماء... وإذا استمعت إلى تفسيره كما في كرسي ابن عطية، رأيت قدرة فائقة على ظفر ذوائب المعنى، وعلى تجميع خيوط دلالات الآية القرآنية... وإن طرحت عليه مسألة فقهية بادرك بتحليلات مؤصَّلة، مجلا غاية الإجلال للإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، وكان ينافح عن مذهبه بعلم، مع يقين بأن إليه وراثة علم الصحابة الكرام والتابعين الأعلام من أهل المدينة المشرفة، على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام....

ثم إنّ الشيخ حفظه الله – مع كل هذا – يتمتع بخلال يجدر بأهل العلم من الأساتذة والطلبة والباحثين أن يقفوا عندها موقف المتبع المحب: عزةُ نفس، وشموخُ أنف، وسلامة صدر، وحسن رعاية عهد، ومصافاة صحبة، وصدق في الحديث، ونفوذ بصيرة، وحدة بصر، وحضور نكتة، وملاحة دعابة، ووضاءة وجه تعلو قسماته ابتسامة وقار، لا تكتحل عيناك بطلعته حتى ترى فيه بقية من سمت السلف»[1].

شهادة الدكتور سيدي محمد التمسماني حفظه الله عميد كلية أصول الدين وعضو المجلس العلمي لطنجة[2]:

قال في حق الشيخ: إنه أمة في العلم والعمل، عَلَمٌ من أعلام المغرب المعاصرين، اجتمع فيه شرف النسب، وكرم الحسب، ورسوخ العلم، وكمال الأدب، والمشاركة في جميع العلوم، وتحرير المنطوق منها والمفهوم، إنه فارس حلبة علم التفسير، المشهود له فيه بالإجادة والسبق،

---

(1) منهج الشيخ مولاي المصطفى البحياوي في التفسير للبشير انديمن ص 15، 16.
(2) «علماء في ضيافة المجلس العلمي» (ص128).

عاش للقرآن وعلومه من رسم وضبط وقراءة، ففتح الله عليه فيها، ووفَّقه إلى هذا العطاء السخي غير المسبوق، فاستحق الريادة في فنونه، وتبوأ منزلة المرجعية فيه، حتى أصبحت دروسه منهجا متميزا ومدرسة مستقلة، ولا أعلم أحدا أجمع لفنون التفسير منه في مغربنا المعاصر، ونال بفضل شرف خدمة القرآن أسمى المراتب وأسنى الرُّتَب.

عُرف مجلسه في الدرس بأنه مجلس علم ووعظ ونصيحة وإرشاد، تغشاه السكينة وتحفه البركة والرحمة، حافظ على المدرسة المغربية بخصائصها، وحرص على تقريب العلوم الشرعية للناس في صورة واضحة جلية، له إسهام واضح جلي في مجال العناية بالمصطلحات والمفاهيم العلمية تجديدا لصياغتها وتأصيلا لمضامينها، أسس منهجا يقوم على حجج عقلية تقف سدا منيعا أمام كل انحراف وزيغ وضلال.

شهادة الأستاذ سيدي المختار محمد التمسماني حفظه الله أستاذ باحث بطنجة[1]:

قال في حقه: رجل يمتع سامعه بشهي الفوائد ونخبها، وَطَلِيِّ النوادر وفرائدها، بعلمه المعتق الذي تَمَهَّرَ فيه وَتَبَسَّقْ، رجل يجمع بين طرافة المبادهة ورفاهة الذوق، وبين كياسة القول وتلهب الذكاء، وبين ملاحة المداعبة وسمو الهمة.

يقول سيدي المختار: أقول واللهم نعم: إنه موهبة نادرة من نوادر علماء هذا العصر وآحاده ومفارده، الذين غزُرت ركاياهم واتَّرعت ففاضت زُلَالًا غدقا، فما نسمعه – سواء في محاضراته أو دروسه أو خطبه – يطرق

(1) «علماء في ضيافة المجلس العلمي» (ص133).

بابا من أبواب العلم المأثور التي وعاها صدره وعرف منابتها ومغارسها، إلا وجوَّد في أساليب عرضه بترتيب ذهني بارع... وقاده إلى مسارب الفكر أبلغ مقاد وأحكمه، فيُقابَل بالرضا والإعجاب، لأنه يعانق فحوى الصواب... عمَّره الله بالعافية، ومتعه بتمام نعمه، وحرسه بعين ولائه، وزاده مددًا وتوفيقا.

شهادة الدكتور عدنان أجانة أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي بتطوان[1]:

قال في كلمته بمناسبة استضافة المجلس العلمي بطنجة لفضيلة الشيخ: أنار بدروسه حوالك كانت مظلمة، وأنهج بدروسه القول في الكتب الكبار التي يتحاشاها الناس، فاستيقظ لها وهم نيام، وورد حماها وهم حيام[2]، كرسالة الشافعي ومقدمة ابن خلدون ومقاصد الشاطبي وانتصار الباقلاني وحكم السكندري...

فأحيا بذلك مواتا، واستدرك فواتا، وأبان بمنهجه في هذه الكتب عن كيفية التعامل مع هذا التراث العظيم، ونبه على علو كعب الأئمة، وسمو عباراتهم، وسبل فهمها واستيعابها، وعرّف الناس على ما فيها من درر ونفائس، فكانت دروسه فيها أبواب من المعرفة وضروب من العلم، ما يملأ السامع علما وفهما، وحكمة وحكما، بحيث يسلمك حسن منطقه إلى جميل عرضه، وتناسق أفكاره إلى صدق حديثه، ونفوذ معانيه إلى شفوف

---

(1) نفسه ص138-139. والدكتور عدنان أجانة من مواليد مدينة طنجة وهو من طلبة الشيخ سيدي مصطفى.

(2) قال صاحب القاموس المحيط: حام فلان على الأمر حوما وحؤوما وحَوَمانا، رامه فهو حائم. حرف الحاء ص425.

فهمه، وكلامه في مجالسه العلمية يتدفق العلم فيه تدفقا، بحيث يتحقق فيه قول الشاعر:

إذا قلت شارفنا أواخر علمه تفجر حتى قلت هذي أوائله[1]

ومن استمع إلى دروسه وخطبه، وكلامه في المسائل العلمية، وتحريره لما أشكل منها، وترجيحه للخلافيات، وانتصاره للأدلة، وتعظيمه للسادة من الصحابة والتابعين، والأئمة المتقدمين، والتزام حدود الأدب معهم، والترحم على علماء الأمة والإكبار بهم، علم أنه درة مُغفلة، وخزانة على كل علم مقفلة.

شهادة الدكتور هشام اغبالو[2] حفظه الله:

... إن أهم معالم شخصيته العلمية، اتساع قاعدته في العلوم، فقد بارك الله في طاقته، فتمكن من أخذ العلوم أخذ الراسخين المحققين، فجمع بين العلوم الأصول، وعلوم الألة والوسائل، مع علوم المناهج وفقه العلم، وقد علا كعبه فيها كلها علو المتخصص لا المشارك، وتبوأ منها منزلة الناقد لا الناقل، واعظم ما فتح الله عليه فيها ما كان عن حقائق كلام

---

(1) البيت ذكره صاحب نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص: 209 · وهو من قصيدة لليشكري أثنى فيها على أبي عمر الزاهد. منها:

أبو عمر أوتي من العلم مرتقى يزل مساميه ويردى مطاوله
فلو أنني أقسمت ما كنت كاذبًا بأن لم ير الراؤون حبرًا يعادله
إذا قلت شارفنا أواخر علمه تفجر حتى قلت هذا أوائله

(2) من تلامذة الشيخ سيدي مصطفى وهو الذي يخلفه في منبر الجمعة في حال سفره أو تعذر حضوره.

الله ورسوله كاشفا ولهما خادما، كعلوم القرآن وخاصة علم التفسير والقراءآت، وعلوم الحديث، رواية ودراية وفقها، وعلم العقائد والفقه مذهبا وخلافا....

وكل من أخذ عن الشيخ يدرك أنه يستخدم علوما آلية دقيقة تظهر في النقد والتحليل، كمناهج العلوم وفقه الفلسفة، وتاريخ العلم، والمنطق و... مما يجعله يرتقي من مرتبة الجمع والأخذ والتلقي، إلى مرحلة النقد والتفنن والإبداع.

وعموما فإن سيدي المصطفى يمتاز بسعة الاطلاع مع التفنن والإبداع، وعند عرضه يتميز بقوة البيان والإقناع، مع جودة الشرح وحسن التلخيص، ما يجعله بحق موضع ثقة وأمانة أن يبلغ عن الله ورسوله، ويبين مرادهما، شهد بهذا الجلَّة من أهل الرسوخ في العلم والفضل والدين[1].

قصيدة للشاعر فيصل البقالي[2] في مدح الشيخ سيدي المصطفى حفظه الله:

أحار فما أدري إلى أين أذهب ... وأسأل هل لي من عتابك مهرب
وإنك لم تنبس ولكن مهجتي ... وعت منك قولا في فؤادي يصخب

---

(1) علماء في ضيافة المجلس، ص141 - 146.

(2) من مواليد 1976 بطنجة، مهتم بالثقافة والفكر الإسلامي، صدر له: «تراتيل إلى غزة» (مجموعة شعرية)، وقصائد أخرى في وصف مجالس الشيخ سيدي مصطفى. وكتاب «القومية العربية نظرات في الفكر والمسار» الصادر عن مركز نماء للبحوث والدراسات، وكتاب «من أجل رؤية فكرية جديدة» الصادر عن مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث.

وإنـــي لا أدري أآتيـــك أم تـــرى ... أبـين وهـذا مـا أخـاف وأرقـب
ففـي البـين آلام وفـي النـزح غربـة ... وذاك لمثلـي فـي النـوازل معطـب
فســقيا لأيــام الوصــال بمجلــس ... تبــدى كــركب للعلــى يتأهــب
توسـطت قلـب العاشـقين لـدركها ... وخضـت بهـم لجاتهـا فتوثبـوا
وأروغ منـي لـم أر الـدهر قاصـدا ... يريـد أمـورا دونهـا الـنجم أقـرب
يبيـت هنيئـا ضـاحكا متغـافلا ... علـى جنبـه يقضـي الـدجى يتقلـب
إذا جـاء داع للهـدى صـد وانـزوى ... وإن جـاء داع للغوايـة يركـب
فيـا ويـح مثلـي والركـاب معـدة ... يخـالف ميعـاد الكـرام ويلعـب
كـأن ثعـابين الفـلاة تلفنـي ... وتعصـرني إن سـرت نحـوك أرغـب
وترخـي زمـامي كلمـا صـرت طيعـا ... تنـاولني سـما فـي الـدهاق فأشـرب
وتظهـر ألـوان الفتـون تزلفـا ... بـأن مـذاق اليـوم مِلأمـس أعـذب
ومـا هـو بالعـذب الـزلال شـرابها ... ولكنـه قلبـي عليـل معـذب
ولي قـدم فـي الوحـل غاصـت وكلمـا ... تململت راحت بي إلى القاع تقرب
وذنـب كبيـت العنكبـوت نسـجته ... به واهـن مـن بعـض نفسيَ يعصـب
وهـل يرتمـي فـي حضـنه غيـر واهـن ... وغيـر غريـر شـارد فيـه يسـحب
وكـف إلـى رب السـماء مـددتها ... ولـي أمـل فـي الله دومـا سأصـحب
وعين تطوف الأفق تبحث في المدى ... وتلقـي رجـاء نحـو قلبـي وتسـلب
فتحيـي مـواتي بارقـات أشـيمها ... وتقتلنـي لمـا تغـيم وتغـرب
ولمـا أتتنـي بارقاتـك سـيدي ... حلفـت يمينـا لا أخيـب وأعـزب
فأنضيت مجذافي وشمرت ساعدي ... ورحـت بمـوج للمطـامح أضـرب
تـداعبني الهبـات أحسـبها الجـدى ... وتغشـانيَ الغمـرات ظنـي تُكَـذب

إليك إليك الحب يزجي مراكبي ... وزفر فؤاد عنده الوجد يُلهب
ومنك إلي العزم يأتي مؤازرا ... ويضرم نخوات ويقري ويدئب
سأذكر ما دق الفؤاد دفوفه ... بأنك من روى الحشى منه صيب
وأنك من أذكى الحرائق في دمي ... فأشجى خليا كان يشدو ويطرب
فأعجب بك المشفي بما هو مضرم ... وأبدع بك المذكي بما هو مسكب
رأيتك محمولا على سرر العلى ... وحولك نجم كاللآلئ تخلب
ولحت ترش الحب في باحة الهدى ... وتسقي زهورا نشرها منك طيب
ترد على الأنفاس حلو عبيرها ... وتغرس في جدب القلوب فتخصب
كأني بمن عنفت غير معنف ... ومن حاز مدحا بالسلامة يرغب
فهذا لحلم منك بات مكرما ... وذاك لفهم عنك رأيا يقلب
كأني بهم في مطرق ومحملق ... لحاظا صبي أنت عندهما الأب
يُرى مُعربٌ في شمس نحوك أعجما ... ومن فيضه علج غدا وهو يعرب
وآي كتاب الله لاقت حروفها ... عليما بأسرار يقول فيسهب
كأن لدى التأويل حبر هواشم ... بأذنك يملي أو مجاهد يخطب
كأنك تتلو في الوجوه صحائفا ... ووجهك مرآة عليها ترتب
فيعجب أعشى من نصاعة ما يرى ... وكان إذا رام التحقق ينصب
هي الخود تختار النسيب لحسنها ... تميط فلا تلوي ولا تتهرب
ولست بروّام من المدح غاية ... ولكنها الأفعال تعلو وترسب
أعاف ثناءات بها خص خامد ... وأكره شعرا في السفاهة يطنب

علمت بأني فيك واجد بغيتي ... وهذا مقالي فيك عفوا يهذب
ولو شئت لم أسكت ولا قلت ياءها ... كأني لدى يائي لبائي أجرب
لعقد مضى مازلت أنظم فكرتي ... وهل ينظم البحر الخضم المسبسب
ببحرك يا هذا العميق مطوفا ... مضيت وفي إثري سنوني تنهب
أسائل عن مجد تليد وُعِدتُه ... وأحزن من خلف إلي يصوَّب
أرى هانئا بالعيش هانت شجونه ... ولولا الحجى كنتُ المهانة أطلب
وكيف لمن صُبت مواعظُكم به ... يهون وإن ينسى أحينا وينضب
بذور الهدى والنور دوما مواعد ... وحب المعالي للكمالات مجلب
فدتك نفوس قد تهدل حبلها ... بطول أسى يستاف ما يتحلب
وحاجة ملتاع تحز بصدره ... يريد مقالا ليس ما فيه مغرب
لقد ضاع قول حظه أودع الورى ... وخُلِّدَ قول حظه كان يكتب
فما بال أقلام بريت وما روت ... من الحبر والأوراق تظمى وتسغب
أغر خسيس العلم زهدك فيهما ... فأولغ واستعلى ولا من يؤدب
يقينا إذا ناوشت بالحبر فكرة ... تهافتت الأوهام حيث تكبكب

❊ ❊ ❊ ❊

المبحث الثاني: الأثر العلمي والدعوي والتربوي للشيخ سيدي المصطفى حفظه الله

الشيخ سيدي المصطفى حفظه الله عالم معطاء، لم يتوقف عن البذل مما أتاه الله منذ بداية نشأته، وذلك في ميادين العلم المختلفة: القرآن والحديث، والعقيدة والتفسير، والتزكية... فقد بداء حفظه الله مسيرته العلمية والدعوية والتربوية منذ وقت مبكر جدًّا، حيث جلس للإقراء بمقرأة والده الحاج أحمد البحياوي رحمه الله وهو لم يتجاوز السابعة عشر من عمره، كما أنه تولى الخطابة بمسجد بوكار (بترقيق الكاف والراء) بمدينة مراكش، وكانت له دروس ومحاضرات ومجالس للعموم والخصوص، وكان حفظه الله يؤم بالناس صلاة التراويح في مراكش والرباط وطنجة، غير أنه مع الأسف لم يحفظ من ذلك إلا القليل جدا، بل إن مجالسه التي كان يعقدها بمدينة طنجة والتي كان لها أثر كبير في توجيه التدين، وإرساء دعائم الوسطية والاعتدال، لم تسلم من الضياع إلا ما كان من تسجيلات بعض الطلاب والمحبين.

ويمكن إجمال الإشارة إلى الإنتاج العلمي للشيخ سيدي المصطفى حفظه الله كما يلي:

* * * *

المطلب الأول: درس العقيدة:

من الجمل المجنسة للأستاذ سيدي المصطفى قوله: (العقائد معاقد، وعليها تؤسس العوائد)، نعم، لأن العمل لا يعتبر إلا بحسب الباعث عليه والمقصد منه، ولذلك حظي الدرس العقدي باهتمام كبير منه، حيث درّس العقيدة الطحاوية لطلبة العلوم الشرعية بمدرسة الموحدين بمدينة طنجة، وقبلها في وقت متقدم درس العقيدة في مساجد مراكش.

كما أنه لا يخلو درس من دروس التفسير أو الحديث من مسائل كلامية وعقدية، وشرحه لكتاب «الإيمان» من الجامع الصحيح للبخاري رحمه الله، فصَّل فيه القول في جل موضوعات علم الإيمان ونظم أبوابه وأبواب كتاب التوحيد من الجامع الصحيح، وهذا نظم أبواب كتاب الإيمان، من صحيح البخاري:

نظم تراجم كتاب الإيمان من صحيح البخاري[1]:

وخُذْ تراجم كتاب الإيمانْ ... وَفْقَ الذي في جامعٍ بإيقانْ

بناءُ أمرِ المسلم المفضَّلِ ... إطعامٌ حبُّ إخوةٍ والمرسلِ

حلاوةٌ علامةُ الفرارِ عن ... علمٍ بِكُرْهِ عَوْدِ كفرٍ فَضِّلْنَ

حياءُ ثوبٍ عملٌ ليس على ... حقيقةٍ سلامَ كُفرٍ جَهِّلا

وآيةُ اقتتالٍ ظلمٍ ونفاقْ ... قُمْ لجهادٍ وتطوُّعٍ سباقْ

صَومٌ بِيسْرٍ وصلاةٍ حسُنَتْ ... دامَتْ وزادت لزكاةٍ حصلتْ

---

(1) أدرجت هذا النظم كنموذج ولكونه له صلة بموضوع روض الإلهيات، وهو علم التوحيد والإيمان.

مع اتِّبَاعٍ خَوْفَ سُؤْلٍ وبراءْ ... مع أداءِ نيةٍ نُصْح انْتِهَاءْ
تِي أربعونَ مِن تراجمَ أتتْ ... مُرتَّباتٍ وبِنظم اتَّسقتْ
رحم ربي من بِنطقه جَرَتْ ... فَوعَى أدَّى وبِصَدْرٍ وَقَرَتْ

نظم تراجم كتاب التوحيد من صحيح الإمام البخاري رضي الله عنه:

تَلْبيةً لِطِلْبَةٍ من خِلِّ ... في نَظْمِ خَتْمٍ لإمامِ الكُلِّ
أَعْني بِهِ خَتْمَ الصحيح المُخْتَصَرْ ... تفاؤلًا بالختم بالعقد الأَبَرّ
بأنَّ لا إله إلا الله ... محمدٌ أرسله الإله
وتحت تَيْنِ الجُملتينِ تَدْخُلُ ... عقائد اليقين لا تبَدَّلُ
وخُتِمَتْ كُتْبُ الصحيحِ فَانْتَبِهْ ... بما إليه المُنْتَهى والختمُ بِهْ
وها خُذِي المِلاكَ من أبوابهْ ... مُرَتَّبًا وُرودُها بِحَسَبِهْ
إذْ عَسُر النَّصُ بالاسْتِقْراء ... وفي المعاقد غنىً للرَّائِي
فاقَتْ وراقَتْ صَدَّقَتْ من قال إنّ ... أسرارَهُ في نَظْمِ أبوابٍ تَعِنْ
دُونَكَها فاعتَبِرِ المَعاقِدْ ... فيها غَنىً وغنية للعاقِدْ[1]
عن نظم ما من مسرد المسائلْ ... وفي الذي انْتُجِي شفاء السائل:
دعا إلى التوحيد ثم كثَّرا ... أسماءه معرفا بأشْهَرا
سؤالنا بها تعلقٌ سَما ... تمييزُ ذاتٍ ونعوتٍ وسُمى
وصف علو باستوا ثم العروج ... إليه ثم نظر يوم الخروج
ختم بوصف الفعل ثمت الكلام ... بما قُرآنٍ وسواه في الختام
مَقْرُوُّهُ غَيْرُ قراءةٍ وهي ... موصوفة بما صفات المنتهي[2]

---

(1) العاقد هنا بمعنى المعتقد.

(2) قراءة القارئ غير القرآن، لأن القرآن كلام الله القديم موصوف بصفاته، =

حَـرِّكْ بِـهِ يَقُـومُ بَلِّـغْ يُتْلَـى ... يَمْهُـرُ زَيِّنُـوا بِلَـوْحٍ أَعْلَـى
مُـوالي الأبـواب لاسـتدلال ... ختمًـا ببـاب الـوزن لِلأعمـال
وضِـمْنَهُ حـديث وزن كِلْمَتَـيْ ... تسـبيحنا بحمـده بجملَتَـيْ
سـبحان ربـي وبحمـده الوجـود ... سـبحانه معظمـا بـلا حـدود
فـي ختمـه الختـم بِلُـبٍّ لِلُّبَـابْ ... في كِلْمَتَيْ تسبيحِنا سرُّ الكتاب
أبوابه جملتها (نُطْ)[1] فـي نسقْ ... فاحـت فباحـت بمعـانٍ كـالفلقْ
براعـةُ الختـم بحمـدٍ مُؤذِنَـهْ ... بمـا تمـام الصـالحات الصَّـيِّنَهْ
والحمـد لله الَـذي بنعمتـه ... يبلـغ ذو القصـد كمـال بُغْيَتِـهْ

نظم عقيدة الإمام الطحاوي:

كما نظم عقيدة الإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى:321 هـ)، وسماه «منحة المهدي في نظم عقيدة الأزدي».

وفيما يلي نصها:

منحة المهدي في نظم عقيدة الأزدي

قـال عبيـد ربـه البحيـاوي ... فـي نظمـه عقيـدة الطحـاوي

= والقراءة فعل القارئ موصوفة بصفاته ومنها الحدوث. وهو ما أرشد إليه الشيخ بقوله: حرك به في إشارة إلى قوله تعالى:﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ ﴾، وقوله ﷺ: «زينوا أصواتكم بالقرآن»، وهو مضمن الذي قال فيه:

حـرك بـه يقـوم بلـغ يتلـى ... يمهـر زينـوا بلـوح أعلـى

(1) نط بمعنى علق من ناط ينوط أي علق ومنه المناط، وهو رمز لعدة أبواب الكتاب أي تسعة وخمسون بابا، النون خمسون والطاء تسعة.

غمـــرهُ الله بمحـــض رحمتـــه وعمنـــا معْـــه بفـــيض مِنّتـــه

منتحيـــا ألفاظـــه فـــي الـــذكر إلا اذا ضـــاق نطـــاق الشـــعر

فصل في أن التوحيد لله:

تسبيح وتحميد وتقديس وتمجيد إذ مرده إلى:

إثبات الكمال لله المتعال ونفي ما يضاد كماله بكل حال

نقـــول فـــي توحيـــدنا للـــرب مـــع اعتقـــاده بصـــفو القلـــب

الله ربنـــــا إلـــــه واحـــــدْ قُـــدُّس عـــن شـــرك ووُلْـــد والـــد

لـــيس لـــه مِثْـــل ولا معـــاجِزْ تقـــدير ذا لـــيس بـــأمر جـــائز

وجـــوده الأول مـــن غيـــر ابتـــدا وهُـــو بـــاق آخـــرٌ بـــلا مـــدى

فلـــيس يفنـــى لا ولا يبيـــدُ ولا يكـــون غيـــرُ مـــا يريـــدُ

لا تبلـــغ الأوهـــام كنهـــه ولا تدركـــه الأفهـــام جـــل وعـــلا

لـــيس لـــه مـــن شـــبَه إلـــى الـــورى شـــتان مـــا بـــين الإلـــه والثـــرى

حـــي وقيـــوم تعـــالى عـــن مِثـــال قـــام بـــه الكُـــلُّ ذواتٌ وظـــلال

وهـــو خـــالق بـــلا احتيـــاج ورازق مـــن غيـــر مـــا انزعـــاج

يميـــتُ مَـــن...ولا يخـــاف عقْبـــى بعـــثُهم لديـــه لـــيس صـــعبا

مـازال بالوصـف القـديم قَبْـلَ أَنْ ولـم يـزل جـل بـه مِـن بَعْـدِ أَنْ

لـم يتسـمَّ باريـا حـين بـرى بـل كـان خالقـا ولاشـيء يُـرى

أي ثبتـت لـه معـاني مـا سُـمِي بـه ثبـوتَ مُسـتحِقٍّ فـاعلم

مـن قبـل أن يُنمَـى لهـا مـن أثـرِ كـالخلق والـرزق والإحيـا فـاذكرِ

ذاك بأنـه علـى الكـلّ قـديرْ وكـل شـيء قـل إلـى الـرب فقيرْ

وكـل أمـر يبْتغِـي يسـيرُ لـيس كمثلـه وهُـو البصـير

خلـق خلقـه بعلمـه وقـد دَر لهـم أقـدارهم جـلّ بحـد

وضـرب الآجـال كيمـا ينتهـي كـل إليهـا بالكتـاب فافقـهِ

أحـاط علمُـه بكـل مـا خلـق مـن قبـل خلقـه لهـم لمـا سـبق

أمـر قـل بالطاعـة المكلفـين كـذا نهـاهم عـن خـلاف بيقـين

وكـل شـيء قـد جـرى بقـدره والعبـد عـاجز لـدرء خطـره

مشـيئة الـرب تمامـا نفَـذَتْ إذ مـا يشـا يكـن وإلا امتنعـت

يهـدي ويعصـم يعـافي فضـلا يُضِـلُّ يخـذُل ويبلـو عـدلا

إذ يتقلبـون فـي مشـيئته مـا بـين عدلـه وبـين منَّتِـهْ

وهُـوَ فـي عزَّتـه قـل متعـال عـن نِـدٍّ أو ضـدٍ وعـن كـل مثـال

فـلا معقِّـب لحكمـه ولا لمـا قضـى رد ولا غالـب ولا

العقائد الكبرى في الوحي والنبوة الخاتمة وبعض ما خصت به من صور الاجتباء: كالحوض المورود ومعراج الصعود

ثم اعتقد جزما بأن المصطفى ... من خلقه محمدا به احتفى
نبيُّه الذي اجتباه وارتضى ... وهْو رسوله بختمه قضى
إمام كل متَّق وسيد ... للرُّسْلِ حِب ربنا الممجد
وكل دعوى للنبوءة أتت ... من بعده فَدَجَلٌ غيّ نبت
لقوله فيما رواه مسلمُ ... لا من نبي بعدُ وصفي الخاتمُ
وبعثَه اعتقد إلى كل الورى ... من جن أو انس وغيره ذرا
أنزل وحيه عليه ذكرا ... منه بدا من غير كيفٍ أمْرَا
فليس قوله بخلق منه ... تأملَ آية ﴿ألا﴾ تُبِنْهُ
ثم احذر الوعيد في المدثر ... لمن طغى وقال قول البشر
فَذَمَّهُ الحق وأصلاه سقر ... فكل من زعم زعمه كفر
إذ وصفَ اللهَ بوصف الفاني ... وهوَّ قد جل عظيم الشانِ
نحن بكل ذاك مُؤمنونا ... وأن كُلًا منه قل يقينا
ثم اعتقد معراج سيد الورى ... بشخصه يقظة ليل السُّرى
حيث ارتقى من السما إلى الذُّرى ... أوحى إليه ورأى ما لا يرى
وحوضه الموعود غيث أمته ... حق وما ادُّخِر من شفاعته

ميثاق التوحيد

المأخوذ في الأزل والمقادير فيما مضى وما لم يزل

ميثاق ربنا العليِّ قد أتى ... في سورة الأعراف حقٌّ ثبتا

وقد تضمن اعترافا في بلى ... بأنه ربنا جل وعلا

وهو تعالى يعلم الذي يفي ... ومخلفا لوعده لم ينصف

وليس يعرو علمه نقص ولا ... زيادة كمًّا وكيفا مسجلا

قد يسَّر الكل لما خُلق له ... من شقوة ورحمة ما أعدله

واعتبِرِ الأعمال قل بالخاتمة ... من صدق أو خُلفه فهْي لازمة

إذ السَّعيد أمره مضى قضا ... كذا الشَّقِي فلا تكن معترضا

قَدَرُ ربي سره المجلَّل ... فهوّ لا يُسأل عما يفعل

فقد طوى أسراره عمن خلقْ ... وسُدَّت الطرق إليه بالغَلَقْ

سيّان في ذا ملك مقرب ... ومرسل مكرم محبب

فمن يرد أن يكشف الذي طوى ... من سره عن الورى فقد غوى

لأجل ذا صح إِذَا مَا الْقَدَرُ ... ذُكر أمسكوا عن الخوض احذروا

والعلم علمان فعلم قد وجد ... وآخر مغيب قد افتقد

فالأول المطلوب وهو الأصوب ... والثانِ لا يدرى كذا لا يطلب

إيماننا يقضي بكسب الأول وثانيا دعه ولا تعلّل
لَوْحُ القضا بما مضى مما سطر بقلم الأقدار حق فاعتبر
جف بما هُوْ كائن إلى الأبد ليس له من ناقض ولا يردّ
ما أخطأ العبد فلن يصيبه وما أصاب فاعتقد نصيبه
إذ أمره بما جرى مقدور ومن يخاصم ربه مغرور

العرش والكرسي مربوبان لله جل جلاجه

والعرش مربوب كذا الكرسي والله جل عنهما غني
قد حُملا معا بمحض قدرته وهو المحيط إذ علا في عزته
علما وسلطانا فليس يلحق والعجز عن إدراكه محقق
كلَّم موسى من وراء الجَبَلِ واتخذ الحنيف خِلًا فاقبلِ
وآمِنَنْ برُسْلِهِ وكُتْبِه والملإ الأعلا تكن من حِزْبِه

مسائل تتصل بالإيمان والكفر وأن لكل منهما أصلا تصح به التسمية وغاية هي معقد التنويه أو التدسية

ولا تُفكِّرن بْذَات الباري ولا تجادلن ولا تماري
في وحي ربنا الذي به نزل روح الأمين مرْسَلا لِمن كَمَلْ

نَعتُـه فـي أم الكتـابِ قـدْ عَـلا فليس من عدل له قل مسجلا
سَـمِّ الـذي يصـلي مسـلما متـى يُصَـدِّقِ الـذي بـه النبـي أتـى
ولا تُكَفِّـــر مســـلما بِجُـــرم إلا إذا اســـتحله بعلـــم
أو جـا بمـا وُسِـم شـركا أكبـرا فكفِّـــرَنْ إلا بتأويـــل جـــرى
و لا تقـل كمرجـيء لـيس يضـر إيمانَنَـا الـذنبُ يَجِّـلّ أو صـغر
نرجو ولا نأمن ونخشى الخاتمه ولا نُقَـنِّط مـن أسـا أن يرحمـه

رؤيـة الله في دار كرامتـه ثابتـة بالـنص المنـزل
الذي عليه المعول في درك حقائق الغيب فلا تتَـأول

ورؤيـــة الله بـــدار الخلـــد حـق أتـت فـي الـوحي دون حـد
لقولـه جـل وجـوه ناضـرة وهْـيَ إلـى ربهـا حقـا نـاظرة
تفسـير ذا علـى الـذي أراده مـن غيـر نقـص لا ولا زيـاده
فـدع تـأولا بـرأي فسـدا كـذا توهُّمًـا تجنـب الـردى
فإنـه لـم يـنْجُ فـي تدينـه إلا الـذي رد المشـبه انتبـه
إلـى الـذي بعلمِـه قطعـا أحـاط بالغيـب والشـهود فـالزم الصـراط
لا يثبـت القـدَم فـي الإسـلام إلا علـى جسـور الاستسـلام
فالراسـخون قـدَمًا قـد أعلنـوا إيمـانهم بِكُلِّـهِ وأذعنـوا

فظفروا بخالص التوحيد وسَلِموا من شُبَهِ التفنيد
وسوسة تيه وشك وجحود تَذَبْذُبٍ عمىً نكوصٍ وصدود
صح الفؤاد منهمُ وأشرقت بصائر التوحيد فيه وارتقت
فلا توهُّمَ يشَبّهُ الصفات ولا تأول بتجريد لذات
من قد تعالى عن حدود وجهات بل عن سماتِ وصفات المحدثات
بذَا أصابوا جوهَر التنزيه وبرئوا من نفي أو تشبيه
وأثبتوا لربهم جل علا مثَلَهُ الأعلى والاسماء العلا
فالأمْن والإياس ينقلان عن ملَّة الإسلام والإيمان
كذا جحود ما به قد دخَلا في الملَّة الغَرّا مما تأصَّلا
وأصل الاِيمان بيانٌ باللسان موافقا لما استقر بالجَنان
وهُو في ذا واحد لا يختلف وأهله فيه سوا فلا تحِفْ
والأصل لا يقبل نقْصًا فاحذرِ تبعيضه فَهُوَّ كفْر قد دُرِي
تفاضل الرتب في الإيمان بنحوِ زُهدٍ خشية الرحمن
ونقصه بنقص ذي الأعمال تعلقت بظاهر أو حال

الولاية والكرامة وشروط قبولها

والمؤمنون أولياء الله أكرَمُهم أطْوعُهُم لله

فـلا تفضـل أحـدا مـنهم علـى مُنَبَّـإٍ أو مرْسـلٍ مُفَضَّـلا

كرامـة الـولي صَـدِّق إن تجـي صـحيحة النقـل ولا تحَـرَّجِ

تحرير ما يتصل بالتبديع والتكفير

ولتعْتَقِـد فـي صـاحب الكبـائر لا مُشْـركٍ أنـه غيـر صـائر

إلـى جحـيم خالـد ولـو لَقِـي ربـه غيـر تائـب فلتتـق

فـالله لا يغفـر أن يشـرك بـه ومـا سـواه إن يشـأ يعـف انتبـه

وأمـره لربـه إن شـاء عفـا وإن يَجْـزِ فمـا أسـاء

ثُمَّـتَ يشـفع بمحـض منتـه يُخـرِجهم يبعـثهم لجنتـه

فلـيس عنـد ربنـا سـيان أهْـلُ جحـود وذوو إيمـان

لا تحْكُمَـنْ بجنـة ولا بنـار لأحـد مُعينـا تُكْـفَ البـوار

إلا إذا عيَّنـه مـن يعْلَـمُ مصـائر الخلـق الإلـه الأعْلـمُ

ذَرِ السـرائر لمـن بهـا أحـاط ولْتَكْتَفِـي بظـاهر فهـو المنـاط

فـلا تكفـر أو تفَسِّـقْ أو تُحَـدْ إلا إذا لاح بـلا خُلـفٍ يُـرَدْ

العقائد في الإمامة الكبرى والصغرى والجماعة والمتابعة

وصـلِّ خلـف مـن يـؤم بـرًّا وفـاجرًا لكـن سـواهُ أحـرى

فقـد أتـى أن الأئمـة عـدول وهـو مـلاك مـن تحلـى بـالقبول

إن تنعقد إمامة لمن رُضِي ... فبايعنه وانْبذَنَّ وارْفُضِ

نزْع يد من طاعة كذا الخروج ... عليهمُ إلا إذا كفر يروج

ولتلزم الطاعة في الذي عُرِف ... وإن على نُكْرٍ تُراد فانصرف

وَلْتَدعون لهم لا عليهمُ ... بالرشد والصلاح فهو أسلم

والحج والجهاد ماضيان ... معهم بَرِّهم والجاني

ووافق السنة والأسلافا ... واجتنب الشذوذ والخلافا

وحِبَّ أهْلَ العدل والأمانة ... وابغض أُهَيْلَ الجور والخيانة

ولتعلَنَنْ ربيَ أعلم بما ... يخفى وما شُبِّهَ أو ما انْبَهما

سمعيات يجب الإيمان بها غيبا

ولْتُؤْمِنَنَّ بالكرام الكاتبين ... وكونهم علينا حقا حافظين

وملك الموت الذي قد وُكّلا ... بقبض الأنفس فكن مُؤَهَّلا

وبعذاب القبر والمساءلة ... عن ربنا ودينه والمرسله

والقبر روضة من الجنان ... أو حفرة من حفر النيران

والبعث حق للجزاء والحساب ... والعرض والوزن الوُرُودِ والثواب

والنار والجنة جزما خُلِقا ... دار خلود أبدي صدِّقا

كلاهما قد ذرأ الإله له ... من خلقه أُهيْلَه بالمعدله

والخير والشر معا قد قدِرا ... على العباد ولأمر سطرا

أفعال العباد من خلقه وتكليفهم من أمره ورفقه، وهو في الأمر والخلق قائم بالقسط والحق جل في علاه

كلف ربي النفس وسعها وذا ... مناط تحميل وتحصيل خُذَا

فَأَوَّلٌ صح به شرع الخليل ... وثانيا بغَيره العقلُ يُحيل[1]

أفعالنا مخلوقة لله ... إذ ليْس خالق سِوى الإله

وهي من كسبهم به يدين ... رب العباد خلقه فلتستبينْ

فلا تحول عن العصيان ... إلا بعون الله ذي الإحسان

ولسْتَ تقدر على فعل البرور ... إلا بتوفيق من الله الغفور

تلخيص ذا في قولنا لا حول لا ... قوة إلا بالإله إذ علا

دعاؤنا لربنا عباده ... وسبب لجلب ما أراده

فَهْو القريب والمجيب بيقين ... وفقرنا بادٍ لرب العالمين

نرجو الرضى منه ونحذر الغضب ... بالسبق للبر وأسباب القُرَبْ

عدالة صحب رسول الله ﷺ وخلفائه وأهل البشارة والسلف من أئمة الفقه وأصحاب الأثارة

من ثبتت صحبته للمرسل ... نبينا محمد فعدّل

---

(1) أي: يحكم باستحالة أن يحصل التكليف بغيره.

حُبَّــهُ أوجِــبْ والثنــاءَ فاعْلُــلِ ... ومــا جــرى بيــنهم فــأول

والخُلَفــا بعــد رســول الله ... صــدّيقهم فعمــرٌ ذو الجــاه

ثمت عثمان الرضى ذو النورين ... ثم علي صهره أبو الحسين

ترتيبهم في الفضل كالخلافه ... فأثْبِتنْــه وانبــذَن خلافــه

وهم وباقي العشرة الأماجد ... مبشــرون بــالنعيم الخالــد

طلحة والزبير سعد وسعيد ... أبو عبيده وابن عوف الرشيد

ولتحسن القول في صحب المصطفى ... أزواجــه ونســله ذوي الوفــا

وسلف الأمة من أهل الأثر ... أئمــة الفقــه وأربــاب النظــر

لتَبــرأَنْ مــن النفــاق والعقــوق ... وفتنة المحيا وأسباب المروق

أشراط الساعة وخصائص الدين الخاتم

وآمِــنَنْ بِشَــرَطِ القيامــه ... كبرى وصغرى واسأل السلامه

من ذا خروج دابَّة الأرض نزول ... عيسى طلوع شمسنا من الأفول

ظهــور دجّــال نعــوذ بالإلــه ... من دركه وفتنة المحيا المماه

ولا تصــدق كاهنــا عرافــا ... والمــدَّعِي لِلْمُنْــزل الخلافــا

كذا الذي يبغي عن الجماعه ... شذوذا أو نزع يد من طاعه

لدين مولانا الذي قد اصطفاه ... إسلامنا الذي ارتضاه واجتباه

فمـــن يـــرمْ تـــدينا بمـــا عـــاداه رُدَّ عليـــه ســـعيه يـــا حســـرتاه

ديـــن الحنيفيـــة قـــد جـــاء وســـط بـــين غلـــو وجفـــاء لا شـــطط

فهـــو مـــا بـــين قنـــوط وأمـــان قَـــدَر جَبْـــر نَفـــي تشـــبيهٍ يصـــان

دليـــل ذا كـــذاك قـــد جعلنـــا كُـــم أناسًـــا وســـطا أعِنّـــا

يـــا ربَّنـــا علـــى لزومـــه إلـــى نهايـــة العمـــر يـــا مـــن لـــه العـــلا

خـاتمـة وابتهـال

وفـي الختـام نسـأل الله الثبـات على الهدى وعصمة إلى الممات

مـن الهـوى المُـرْدي ورأي فسـدا فـأورث الزيـغ وسـا معتقـدا

إذْ خـالف السـنة والجماعـة ثـم انتحـى غيـر سـبيل الطاعـة

هـذا تمـام نظمـي المسـمى بمنحـة المهـدي لمـا قـد ضـما

مـن شـذرات عِقـد عَقـد السـلفِ دونكهـا مـن يَـدِ خِـلٍّ مُنصِـفِ

ألفـت بـين فقـر ألفيتهـا شَـتّا ومـن مقحمهـا أخليتهـا

ليَيسُـر الحفـظ علـى الطـلاب لشـذراتها بـلا غـلاب

وإننـي لأرتجـي ختمـا بـلا إلـه إلا الله جـل وعـلا

شـهادة مـع القبـول والرضـى يكفـر الله بهـا مـا قـد مضـى

أمـين آمـين وأمنـا للـذي قد أصلح الخرق برفق فاحتذي

المطلب الثاني: درس التفسير:

بدأ الشيخ سيدي المصطفى حفظه الله بإملاء دروس تفسير القرآن الكريم بمسجد العمرة بمدينة طنجة سنة 1412هـ/ 1992م، حيث افتتحها بتفسير سور المفصل «سورة الحجرات» وذلك لما جاء فيه من فضائل، نذكر منها اثنتين:

الفضيلة الأولى: أنه فُضِّل به المصطفى عليه السلام وفيه حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن واثلة بن الأسقع، أن النبي ﷺ قال: «أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل»[1].

الفضيلة الثانية: أنه لباب القرآن: وفي ذلك قال الإمام السيوطي رحمه الله في كتابه «الإتقان في علوم القرآن» قال: «ما ورد في المفصل: أخرج الدارمي عن ابن مسعود موقوفا: إن لكل شيء لبابا، ولباب القرآن المفصل»[2]. وأخرجه أيضا الطبراني رحمه الله عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «لكل شيء سنام، وسنام القرآن البقرة، وإن لكل شيء لبابا، ولباب القرآن المفصل، وإن الشياطين لتخرج من البيت الذي يُقرأ فيه سورة البقرة، وإن أصغر البيوت لَلْجَوْفُ الذي ليس فيه من كتاب الله شيء»[3].

كما أنه من حيثيات هذا الاختيار، كون عموم محفوظ الناس من هذا الجزء من القرآن الكريم، وكون جل سوره بل كلها فيها حديث عن

---

(1) مسند الإمام أحمد رقم 16982.

(2) الإتقان في علوم القرآن: (111/4).

(3) المعجم الكبير للطبراني: برقم 8644، (138/9).

المصطفى وما خص به ﷺ، بالإضافة إلى أمور أخرى ذكرها في مقدمة الدروس وهي مما هو مسجل من دروسه.

ثم بعدما ختم المفصل كله إلى «سورة الناس»، انتقل حفظه الله إلى سورة الشعراء[1] ووصل في التفسير والتدبر إلى سورة فاطر[2].

كما أنه مند انطلاق مشروع الكراسي العلمية وهو حفظه الله يلقي دروسه في تفسير القرآن الكريم (كرسي الإمام ابن عطية) من غير توقف، وقد وصل إلى قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: 176].

وقد نظم منهجه في التفسير في الأبيات التالية تحت عنوان:

«نظم بطاقات التعريف بسور المصحف الشريف»[3]:

---

(1) من حيثيات هذا الاختيار أن سورة الشعراء هي أول المثاني الذي أوتيه رسول الله ﷺ مكان الإنجيل كما في الحديث الذي سبق ذكره.

(2) يقتصر الشيخ سيدي المصطفى في السنوات الأخيرة على مجالس التفسير والحديث التي يعقدها في شهر رمضان من كل سنة بمسجد الإمام الشاطبي بمدينة طنجة. يومي الجمعة والأحد بعد صلاة العصر.

(3) اتَّبَعَ نهج الشريف سيدي مصطفى في هذه البطائق الدكتور محمود مرتضى حامد، إمام وخطيب بوزارة الأوقاف بالكويت، وذلك في منظومة سماها: ألفية التعريف المسماة: «بطائق التعريف بالمصحف الشريف»، وقال في مقدمتها (ص 05): اتبعت في نظمي هذه الأبيات المنهج الرائد في دراسة البطائق والذي أشار إليه شيخنا العلامة سيدي المصطفى البحياوي الإدريسي الحسني المغربي، وذلك في نظم موجز فائق، والذي مطلعه: =

بطاقة التصنيف

وَإِنْ تُـرِدْ بَطَائِـقَ التَّعْـرِيفِ بِسُـوَرٍ لِلْمُصْحَـفِ الشَّـرِيف
فَهْيِ ثلاثٌ رتبت كما يلي تصنيف توصيف وتوظيف جلي
مندرجُ الأولىِ اسمها والنسبُ عددها ترتيبها والسببُ
ووجه نظمها في مَجْلَيِ الكتاب مطلعها مقطعها فضل يصاب
خصائصٌ ان وجدت فواصلْ صلة ذي بما لطائف تَجِلّ

بطاقة التوصيف

وَوَصِّفَنْ بمقصد موضوع ومنهج في عرضه متبوع
ولتعتني بما به استهلال ترجمة ومقطع تنال

بطاقة التوظيف

وَوَظِّفَنْ مستفادَ الأرصدة خيارها مرتِّبا معاقده
في كل ما يرجع للدلالةِ إفرادٍ تركيبٍ ونظمٍ مثبتِ
قراءة ومعجم نحو بيان ذي امهات ما به قد يستعان
ولتقتصر منه على ذي الصلةِ بغرض التفسير دفعا بالتي

= وإن ترد بطائق التعريف بسور للمصحف الشريف
فهي ثلاث رتبت كما يلي تصنيف توصيف وتوظيف جلي

واقتصر هو (محمود مرتضى) في نظمه على بطاقة التصنيف وضمنها الجوانب العشرة التي ذكرها الشيخ في تصنيف سور القرآن الكريم، وقال في خاتمة منظومته: (ص131).

وأدخلنا جنان الخلد وأرضا وعمن دلنا فضلا ترضا
ومنهم شيخنا المرضي دينا هو البحياوي فاحفظه أمينا

لكل ما لا يخدم المعاني وربما فاتت به المثاني
ولتنظرن في كل ما قد أُثرَ إن صح أو قارب كن معتبرَا
وفي الذي استنبط من إمام على رجا التخصيص بالإفهام
مدده مما مضى وَرِفْدُهْ من الذي أَذكرهُ أُحدِّدُهْ
فَرِفدُهُ من العلوم الآتية تاريخُ كونٍ نظمٌ سياسيةٌ
أديانهم فلسفة أخلاق لأنه أنزله الخلاق
بعلمه المحيط بالأسرار فهو بذا مُجَمَّعُ الأنوار
لو مدد البحر مداد ما نفد كلام ربي الحكيم المنفرد
ولتسألِ المنزل فتحا ومدد لكي تلاقي الفيض من رب صمد

❊ ❊ ❊ ❊

المطلب الثالث: درس القراءات:

منذ بداية جهاده العلمي والدعوي، اهتم الشيخ غاية الاهتمام بالقرآن حفظا وأداء وتفسيرًا، ولذلك عني بتدريس علمي القراءات والتجويد، وقد تخرج عليه طلبةٌ كُثر، سواء في مدينة مراكش، أو في مدينة طنجة في معهد الإمام الشاطبي وغيره، ويتوافد عليه الطلبة من شتى أقطار العالم، كما أنه في السنوات الأخيرة يدرس حرز الأماني في معهد محمد السادس للقراءات والدراسات القرآنية، وقد ختمه مع الطلبة.

وقد أثمرت عنايته بدرس القراءات مجموعة من الإنتاجات العلمية في الباب، منها «الدليل الأوفق إلى رواية ورش من طريق الأزرق»[1]، بالاشتراك مع أساتذة آخرين كما أن له نظم سماه «قصر البرِّية على الرواية الورشية»[2]، و«تقريب لذيل مورد الظمآن[3] في فن ضبط القرآن»[4].

* * * *

(1) طبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية سنة 1430هـ.

(2) المقصود بالبرية: منظومة ابن بري المشهورة وعنوانها: الدرر اللوامع في أصل مقراء نافع.

(3) منظومة مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن ومتن الذيل في الضبط من نظم الإمام المقرئ: محمد بن محمد بن إبراهيم الشريشي الخراز (ت : 718 هـ)، ونظم تكملته بعنوان «الإعلان بتكميل مورد الظمآن» الإمام المقرئ عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر (ت1040هـ).

(4) طبعته مؤسسة محمد السادس لنشر المصحف الشريف سنة 1434 من هجرة المصطفى ﷺ.

المطلب الرابع: درس الحديث:

بدأ الشيخ درس الحديث في نفس السنة التي بداء فيها درس التفسير، وفيه يشرح صحيح البخاري بمنهجه المتفرد، حيث يجمع بين العناية بالأحكام، والنظر في المناسبات، والفوائد الإسنادية، وتراجم الرجال، وغيرها من العلوم، وذلك غير خفي بل ظاهر جلي.

بداء في شرح الصحيح من أوله وكان درسه راتبا كل يوم أحد بمسجد الإمام الشاطبي طيلة السنة، إلا أنه في الفترة الأخيرة اقتصر على مجالس رمضان، حيث يعقد كل أحد مجلسه بعد صلاة العصر ويستمر إلى أن يحين أذان المغرب، وقد وصل في شرحه للصحيح إلى كتاب الأذان، «باب من قال ليؤذن في السفر مؤذن واحد»[1]، كما أنه عقد مجالس لإملاء موطأ الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه في المنتدى الإسلامي بالشارقة.

والشيخ كعادته حفظه الله يهتم غاية الاهتمام بنظم المعارف، حيث أنه في ختام كل باب ينظم تراجمه.

وهذا نموذج منها نظم فيه أبواب كتاب العلم من صحيح الإمام البخاري رحمه الله ورضي عنه[2]: قال رضي الله عنه:

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الآذان، باب من قال ليؤذن في السفر مؤذن واحد، وأورد فيه حديثًا واحدًا لمالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ في نفر من قومي، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رحيما رفيقا، فلما رأى شوقنا إلى أهالينا، قال: ارجعوا فكونوا فيهم، وعلموهم، وصلوا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم.

(2) عند ختم كل كتاب من كتب الصحيح يُملي الشيخ على الطلبة نظم أبوابه =

نظم تراجم كتاب العلم من صحيح البخاري رحمه الله:

[وذي تراجم كتاب العلم ... قد أخذت منه بمحض الفهم
عدتها ثلاث مع خمسينا ... قد نظمت دُرًّا أتى ثمينا
فضل سؤال في اشتغال وجهار ... قول محدث ثنا طرح اختبار
قراءة والعرض قل مناوله ... قعود حيث ينتهي سُدْ خَلَلَهْ
رب مُبلَّغٍ وعلمٌ قد سبق ... تخول جعل أيام للأحق
الفقه خير مع فهم غبطة ... ذهاب موسى ودُعًا ببسطة
صحح سماعا واخرجن لطلبة ... لفضل علم رفعة بفضلة
فتيا ركوبا مع جواب بإيماء ... احرص على الحفظ ارحلن للقاء
ناوب وغاضب من تعلم وابرك ... أعد حديثا علِّم أهلا واسلك
لعظة النسا احرصن أن يقبضا ... فاجعل لهم يوم سماع مفرضا
بلغ ولا تأثم وللعلم اكتب ... بالليل و اسمرن لحفظ تنجب
واترك للاختيار خص من عقل ... حيي مسجد أجاب من سأل
أنصت وكِلْ عِلْمًا لعالم وسل ... لدى قيام وجمار علما قل
وصل يا رب على المختار ... صلاتك الكاملة المقدار
وآله وصحبه الكرام ... والحمد لله على الختام]

= وإحصاء الأحاديث الواردة فيه ويبين عن أسرار النظم وفقه التراجم، والعزم معقود بإذن الله على جمعها كلها مع ما يتحصل لنا من نُظُمٍ أخرى، ليتم إصدارها في كتاب مستقلٍّ بحول الله.

المطلب الخامس: درس السيرة:

في رمضان من سنة 1412 من هجرة المصطفى عليه السلام، شرع سيدي مصطفي في دروس السيرة النبوية، وقد كان كتاب عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس اليعمري[1] هو المتن الذي يُعنى بشرحه، وذلك في مجالس رمضانية في مسجد بدر بمدينة طنجة، حيث وصل إلى أخر فصل إرهاصات النبوة.

وفي إحدى دورات المنتدى الإسلامي بالشارقة، شرح كتاب الشمائل المحمدية للإمام الترمذي رحمه الله[2]، فكان عمله هذا في نظري جوهرة كمال توسطت تاج المعارف التي يحفل بها تراثه الغني الثري، ومقدمتها تنبئ عن فحواها في براعة استهلال بلغت التمام، ونصها كما يلي:

[بسم الله الرحمان الرحيم، الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض بالحق، وأرسل رسله بالدين الصدق، وجعل مسك ختامهم سيدنَا محمدًا بدر التمام، المبعوث بشريعة الختام، ومنهج القوام نبي المرحمة والملحمة، من أقسم الله تبارك وتعالى بعمره، تنويها بقدره، وتنبيها على جليل أمره، فقال تعالى: «لعمرك»[3] فأكرم بعمر كل أطواره أنوار، تغشّتْها

---

(1) أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري، له بالإضافة إلى عيون الأثر: بشرى اللبيب بذكرى الحبيب، وتحصيل الإصابة في تفضيل الصحابة، والكرامات العلية في كرامات الصحابة الجلية، وغيرها، (ت 734 هـ). ترجمته في: الوافي بالوفيات (219/1) والدرر الكامنة، برقم1920 (476/5).

(2) وسيصدر إن شاء الله هذا الشرح بعنوان: شرح الشمائل المحمدية لإبراز نورالدلائل النبوية.

(3) وذلك في قول الله تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (الحجر: 72).

أسرار، عمر جهاد وتضحية، وجلاد وتزكية، من أجل كشف الظلماء، وإزاحة الغماء، وتنوير الأفئدة، بالأنوار المسعدة، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، فَصَلِّ اللهم وسلم على صاحب هذا العمر العامر، والنور الظاهر، والسر الباهر، صلاة وسلاما يرفعانه إلى مقام الوسيلة، ويكونان لنا بفضلك يا مولانا من موجبات الشفاعة في يوم لا ينفع فيه مال ولا حيلة، يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين][1].

كما شرح كتاب الشفا في التعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض رحمه الله تعالى في اثني عشر مجلسا بالشارقة وهو موجود في الموقع الرسمي للمنتدى الإسلامي وموقع الشيخ سيدي المصطفى على شبكة الأنترنت.

* * * *

(1) يعتني الشيخ سيدي مصطفى بهذه الطوالع ويضمنها خلاصة المستفاد من الدروس في براعة استهلال غاية في الحسن، والمتتبع لذلك يجده مضطردا في جميع دروسه.

المطلب السادس: درس الأصول:

من العطاء العلمي للشيخ سيدي المصطفى البحياوي حفظه الله في علم أصول الفقه، وهو عنده مناهج النظر في فقه الاستنباط، شرحه لكتاب «الرسالة» للإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه، ومقاصد الإمام الشاطبي رحمه الله، وذلك من خلال شرحه للمرافق على الموافق للشيخ أبي المودة الشريف ماء العينين[1]، فكان أن أبان على أن هذا العلم (علم أصول الفقه) يمثل أحد أعظم مفاخر الأمة في باب علوم الشريعة.

وهذا نص الديباجة التي يفتتح بها دروس شرح الرسالة:

[بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله الذي أثنى على نفسه العلية بنعت الحكيم فقال جل في علاه ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 62] ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [التحريم:2]، في نظائر لها، كما نوه بالمنزل منه كتابا بذات النعت، وذلك غاية التوسيم، فقال جل وعلا في صدر سورة يَسٓ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ يَسٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس: 1] وأشاد بالحائز من هذا الوصف بحسب اللطف، لطف الله الكريم الوهاب، فقال في الكتاب: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ

---

(1) نظم الشيخ أبو المودة ماء العينين موافقات الإمام الشاطبي وشرحها وسمى الشرح: المرافق على الموافق وقد طبعته دار ابن القيم مع دار ابن عفان بتحقيق مشهور بن حسن آل سليمان، والشيخ سيدي مصطفى في المنتدى الإسلامي شرح الجزء المتعلق بمقاصد الشريعة منه، سنة 1429 هـ/ 2008م.

﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [البقرة: 268]، ذلك، وما كثره العظيم فقد أوفى على الغاية في الباب.

وصلاة ربي وسلامه على الناطق بالحكمة، والمسدد بالعصمة، والمبعوث رحمة، ﷺ وعلى آله، القائل فيما صح عنه: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»[1] ومن جعله الله مثالا للربانيين، وعنون برنامجه الإصلاحي في التزكية بقوله تعالى: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران: 78]، والربانيون هم العلماء الحكماء الحلماء، والعلم شرط الحكمة، إذ لا يُدخل للحكمة من باب الجهل، والحلم زينتها، إذ لا يُدخل إليها من باب الخرق والسفاهة والجهالة.

وقد جعل الحق تبارك وتعالى من وظائف النبي ﷺ: تعليم الحكمة، وامتنَّ علينا بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [الجمعة: 2]، وبمقتضى ذلك كان ﷺ أول المستنبطين، وأعظم المتدبرين لهذا الكتاب، فقد اجتهد ﷺ في البيان كما وكل إليه ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44]. اجتهد ﷺ وهو المعصوم، واجتهد الصحابة رضي الله عنهم بحضرته، فأقر وأشاد، وصحح وأفاد، حتى استوى منهاج الاجتهاد بين يديه على تمام المراد، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته، ومن لف لفهم وانتحى صفهم إلى يوم المعاد].

---

(1) رواه مالك في الموطأ: كتاب الجامع، باب جامع ما جاء في القدر، رقم 1878، (2/71).

المطلب السابع: درس التزكية:

خلال مدة معرفتي بالشيخ سيدي المصطفى حفظه الله، وما حضرته له من دروس، وما استمعت إليه من محاضرات، أكاد أجزم بأن التزكية هي أجل مقاصد جهاده العلمي والدعوي، وكيف لا يكون ذلك كذلك، ومنه تعلمنا أن أعظم وظائف النبي ﷺ هي تزكية أنفس تابعيه، والقرآن الكريم يُجَلِّي ذلك في أطول قَسَم فيه في سورة «الشمس» حيث أناط الفلاح بالتزكية والخيبة بالتدسية، فقال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿1﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿2﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿3﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿4﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿5﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿6﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿7﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿8﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿9﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿10﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَا ﴿11﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿12﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿13﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿14﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الشمس: 1-15].

ولذلك عني الإمام سيدي المصطفى بموضوع التزكية في جانبين:

1- باب الأصول (أصول فقه التزكية): وذلك في شرحه لكتاب الرقاق من صحيح البخاري في مسجد الإمام نافع بمدينة طنجة، وفي الشارقة حيث شرحه كاملا ونظم أبوابه وتراجمه.

2- باب نُطْق العَارف: حيث شرح حكم ابن عطاء الله السكندري ونظمها في منظومة سماها النفح العنبري بنظم حكم السكندري، ونص ديباجة التقديم لدروس شرح الحكم كما يلي:

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب والحكمة، ليزكِّيَ بهما من شاء ويرقيه إلى مقام الحفظ والعصمة، وأُثني عليه الخير كله، وهو أهل الثناء والمجد، إذ أناط الفلاح بمن تزكى وتطهَّر، وذكر اسم ربه فصلى وتَنَوَّر، وعقَّب فاخبر بأن هذه الحقيقة مقررة في صحف الأنبياء، ورسائل السماء، قال تعالى: ﴿ قَدَ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿14﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿15﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿16﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿17﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿18﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [الأعلى: 14-19] وزاد سبحانه فأقسم بأطول قسم في الكتاب، تنبيها لأولي الألباب، بما يرفع الارتياب، على أن المتزكي مفلح فائز، والمتدسيِّ خاسر غير حايز، وذلك بقوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿1﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿2﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿3﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿4﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿5﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿6﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿7﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿8﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿9﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس:1-10].

وصلاة ربي وسلامه على من زكى الله منه اللسان والفؤاد، وزكى جملته ومسلكه بما أفاد، مقسما على ذلك بالنجم في تألقه في علاه، بما لمحمد ﷺ من فائقية في سماه، قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿1﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿2﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿3﴾ ﴾[النجم: 1- 3]، ﷺ وعلى آله، ومن ثم نصبه للزكاة مثلا أعلى، وأقسم على ذلك بأدوات المعرفة فقال تعالى: ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿1﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ [القلم: 1 ـ 2]

والجنون اختلال في الفكر، ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القلم: 3]، أي أنت موصول منا بالعطاء وبالمدد، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]. وهذا القسم يحيل على أن إدراك الكمال الأحمدي مِثالا للزكاة، متوقف على أدوات المعرفة، فخصوم القلم خصوم للعلم الحقيقي، لا يعرفون محمدا ﷺ وعلى آله. ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ براءة رسول الله مصونة من الاختلال، ومعرفته متوقفة على الدخول من الباب، إذ لا يعرف الشبيه إلا شبيهًا أيها البحر لسنا سواء[1]، وبين سبحانه انه كلَّف هذا المثل الذي نصبه ليتزكى به الناس، فجعل من مهامِّه الكبرى تصديه لتربيتهم، ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [الجمعة: 2]، ليكونوا ربانيين، وكلمة الربانية توحي بالترقية عن طريق التربية، إذ أن الرب هو المربي، والرب: المصلح، وهذا من جلائل خصائصه، الرِّبِّي هو المتربِّي لكن في غير سياق نعت إله، فلذلك خولف في اللفظ بين «الرباني» المنسوب إلى الرب، بزيادة في البنية تدل على زيادة في النسبة، لبيان علو المقام (تسمى التغيير للنسبة) والرِّبي المصلح، والرباني العالم ﴿كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: 78]، حكماء علماء حلماء.

---

(1) تضمين للبيت الشعري من قصيدة خواطر الغروب للشاعر إبراهيم ناجي والتي مطلعها:

قلت للبحر إذ وقفت مساء ... كم أطلت الوقوف والإصغاء

إلى أن قال:

إنما يفهم الشبيه شبيها ... أيها البحر لسنا سواء

ديوان إبراهيم ناجي، ص: 52.

هذه الكمالات منه ﷺ، هو مربيهم، وهو مزكيهم بشهادة الكتاب، وهو على الصراط المستقيم، ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: 49-50].

اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامي بركاتك على سيدنا رسول الله، جوهرة الكمال، وعلى قرابته وصحابته ذوي الجاه الأعلى، ومن لف لفهم، وانتحى صفهم إلى يوم القيام.

❊ ❊ ❊ ❊

المطلب الثامن: نهج سيدي المصطفى في خطبة الجمعة:

فُرضت خطبة الجمعة للذكر، لأن الله تعالى يقول في خاتمة السورة التي تحمل عنوانها في المصحف الشريف: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ﴾ [الجمعة: 9]،

ولذلك ينبغي ألا يقحِم الخطيب نفسه في غير ما جُعل له المنبر، خوضا في اليومي، والتعاطي الصِّحافي مع قضايا الراهن، فيخرج عن المقصد الواضح والثابت الذي حددته الآية المتقدمة، وأرسته السنة المحكمة، والسيرة المتمِّمَة، لسيدنا رسول الله ﷺ[1]، وعلى ذلك المنوال سار الشيخ سيدي

---

(1) من المعلوم أن النبي ﷺ كان يخطب بالسورة من القرآن كسورة ﴿ق﴾ وغيرها، وكان موضوع خطبه الشريفة التذكير بالله والمعاد، وما به صلاح المؤمنين، كالحض على مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال، وذلك محفوظ في سيرته عليه السلام، ومن ذلك أول خطبة له لما وصل المدينة المنورة مهاجرا على ما جاء في سيرة ابن هشام (2/ 146-147) قال:

وكانت أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ، فيما بلغني عن أبي سلمة بن عبد الرحمن - نعوذ بالله أن نقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل - أنه قام فيهم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، أيها الناس، فقدموا لأنفسكم. تَعْلَمُنَّ والله ليُصعقنَّ أحدكم، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع، ثم ليقولن له ربه، وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه: ألم يأتك رسولي فبلغك، وآتيتك مالا وأفضلت عليك؟ فما قدمت لنفسك؟ فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيئا، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم. فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق من تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها، إلى سبع مائة ضعف، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. =

المصطفى حفظه الله في خطبه، فلا تجده إلا مذكرا بالله، ومعرفا برسول الله ﷺ، وناصحا للمؤمنين، أو معرفا بأصول الدين، كل ذلك من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية.

نموذج من الخطب الجُمْعية بعنوان: مقصد العبادة والمعرفة من خلال الآيات المُعرِّفة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الحاجة:

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونشكره، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن

= ثم أورد رحمه الله خطبة أخرى فقال: خطب رسول الله ﷺ الناس مرة أخرى، فقال: إن الحمد لله، أحمده وأستعينه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. إن أحسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى، قد أفلح من زينه الله في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد الكفر، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس، إنه أحسن الحديث وأبلغه، أحبوا ما أحب الله، أحبوا الله من كل قلوبكم، ولا تملوا كلام الله وذكره، ولا تقسُ عنه قلوبكم، فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفي، قد سماه الله خيرته من الأعمال، ومصطفاه من العباد، والصالح من الحديث، ومن كل ما أوتي الناس الحلال والحرام، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، واتقوه حق تقاته، واصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم، وتحابوا بروح الله بينكم، إن الله يغضب أن ينكث عهده، والسلام عليكم.

(1) من حيثيات الاختيار لهذه الخطبة أن صلتها بموضوع العقائد وثيقة، وسيأتي بيان ذلك عندما نصل إلى العقائد المستخلصة من قول الله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 102].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: 1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿70﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: 70].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد وعلى أله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، نعوذ بالله من غضبه وعقابه[1].

الخطبة الأولى:

إخوة الإيمان: من بصائر الكتاب المذكرة، وبيِّناته المبصِّرة، ما قررته آية الذاريات بأسلوب القصر، من أن الغاية من خلق الإنسان، هي عبادة الرحمان تبارك وتعالى. قال جل وعلا: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ

---

(1) هذه خطبة الحاجة، والسيد البحياوي يفتتح بها في جميع خطبه بما فيها خطبتي العيدين. وقد أفرد لها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله رسالة سماها: خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه طبعتها دار المعارف سنة 1421 هـ/ 2000 م.

﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿56﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿57﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: 56 ـ 58]، والعبادة ثمرة المعرفة الكاملة. إذ لا يتصور أن يَعْبُدَ مَن لا يَعْرِف. ما دامت العبادة حُبّا وطاعة، وثناء وولاء.

ولذلك فسر حبر الأمة وترجمان القرآن ـ سيدنا عبد الله بن عباس ـ العبادة في هذه الآية بالمعرفة، فقال: ليعبدون أي ليعرفون. وذلك تشبيها منه رضي الله عنه على شرط العبادة، ومقدماتها التي هي المعرفة. وقد جاء ذلك صريحا في قول ربنا تبارك وتعالى، مبينا لنا مراده من خلق الخلق وتنزل الآمر. قال جل وعلا: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: 12].

فخلق العالم العلوي بسماواته، وخلق العالم السفلي ببحاره وقاراته، وتنزل الأمر، سواء كان أمر قدرٍ أم أمر ذكرٍ. كل ذلك كان لحكمة وغاية عليا، هي أن يعرف الناس ربهم قديرا عليما. أي أن يعرفوه بشمول القدرة وإحاطة العلم. فهمُ المقصود من خلق الكون العظيم. ويرحم الله القائل وهو ينبه أحد الذين أعرضوا عن مهمتهم:

لقد رشحوك لأمر لو فطنت له ... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل[1]

نعم هذا الإنسان على صغر حجمه، وضآلة جرمه وجسمه، وقصر عمره، هو المراد من خلق الكون الكبير.

---

(1) البيت لأبي إسماعيل الحسن بن على الطغرائي (ت 515 هـ) في ديوانه، تحقيق علي جواد الطاهر ود يحيى الجبوري، ص309.

إن الإنسان بالنسبة لكون الله شيء متناه في الصغر، إنه هباءة أو ذرة من غبار إذا ما قورن بأجرام الكون الفسيح، فنحن الآن نعيش في جزء من قارة، والقارة جزء من الكرة المعلقة المسماة أرضا، والأرض جزء صغير من مجموعتنا الشمسية، وهي بدورها جزء بسيط من المجرة المدعوة بطريق التبانة، وذلك لأن النجوم تتناثر فيها تناثر التبن في طريق حملته، أعداد لا حصر لها من النجوم، فيها نجوم بلغت أحجامها أضعاف أرضنا بآلاف المرات، وهذه المجرة على سعتها، هي إحدى ملايين المجرات التي تمثل هذا الكون السابح والمسبح بحمد الله جل وعلا، وصدق ربنا إذ يقول: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: 56].

وفي الكون العظيم الذي لا يعلم مداه وحدوده إلا خالقه ومدبره، والقائم به جل وعلا، لا يزال - أي هذا الكون العظيم - لا يزال يمتد ويتسع وينبسط، وإلى هذا يشير قول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: 47]. ولذلك كان من ثناء رسول الله ﷺ على ربه جل وعلا عندما يعتدل من ركوعه: «اللهم ربنا ولك الحمد ملء السماوات وملءالأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد». أي: بعد السماوات والأرض وبعد هذا الكون العظيم. فما لا ندركه مما هو وراء عالم السماوات والأرض، وما لا نبصره وما لا يحيط به علمنا القاصر، أعظم وأجل مما بلغته مداركنا الموسومة والموصوفة بسمة ضعفنا وعجزنا وضآلتنا، وصدق ربنا إذ يقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: 254]. وقوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿38﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الحاقة: 38-39].

فالإنسان إذًا لا يكاد يكون شيئا مذكورا، إذا ما قورن جرمه بأجرام الكون الذي يسكن فيه، فضلا عن الكون الكبير المحيط بكونه، وهو أيضا – أي الإنسان – من حيث زمن الوجود أزلًا وأبدًا، مخلوقٌ غايةٌ في الضآلة. فكم هو عمر الإنسان؟ كم يعيش؟ إن مدى ما يبلغه أن يعمَّر مائة أو تزيد قليلا، لقد قال النبي الكريم ﷺ: «أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين، وقليلهم – أي وأقلهم – من يجوز ذلك»[1].

وهب إن الإنسان عمَّرَ عُمُرَ نوح عليه السلام، فعند موته يتلاشى كل شيء، ويصبح العمر عندها لحظات في خيال صاحبه. ويرحم الله القائل:

إذا كان آخر العمر موتا فسواء قصيره والطويل

فالإنسان من حيث عمره ذرة في محيط الزمن. الزمن السابق أزلا والزمن اللاحق أبدا. إنه ضئيل في الزمان، ضحل فيه ضحالته في المكان أو أشد. وهو (أي الإنسان) من حيث ذاته وجسده، لا شأن له إطلاقا. إنه حفنة من تراب الأرض، الذي يطؤه بقدمه، ولو حلل إلى عناصره ومكوناته لما ساوت قيمته دراهم معدودات، ثم إنه بعد ذلك يتحلل بالموت، ليستحيل إلى عفن فتراب. الله أكبر كبيرا.

فليس الإنسان إذًا ببنيته وذاته شيئا مذكورا، ولا قيمة له بهذا الاعتبار، إن قيمة هذا الكائن الضئيل الصغير الضعيف، هي في ما أودع الله فيه من نفخته. ما أودع الله فيه من سر اللطيفة الربانية. والجوهرة الروحانية.

---

(1) أخرجه الترمذي في السنن من أبواب الزهد، باب ما جاء في فناء أعمار هذه الأمة ما بين الستين والسبعين، عن أبي هريرة رضي الله عنه رقم:2331، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب الأمل والأجل، رقم 4236.

إن سره يكمن في ذلك، وبه استوجب واستحق أن تسجد له ملائكة الرحمان تكريما، وتخدمه تعظيما. قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧٠﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [ص: ٧٠ -٧١]. إذًا لماذا سجدوا؟ إنهم سجدوا تقديرًا لهذه النفخة من روح الله، التي أودعها في هذا الجسد الضعيف النحيف.

وهذا هو السر الذي جعل للإنسان مكانة أَيَّةُ مكانة؛ وإلا لو كان الأمر يدور حول طين وتراب وحمإ مسنون، لما اعتبر الإنسان شيئا يستحق أن يكون. وبهذه النفخة كان الإنسان إنسانا. وبهذا استوجب أن يُستخْلَف وأن يُكلَّف، وأن تتطلع الملائكة لما رشح له من منصب الوراثة. قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٩]. وعقد الحق تبارك وتعالى امتحانا لآدم والملائكة، فظهر في هذا الامتحان فضل هذا الكائن على ضعفه وقصره وضآلته، وظهرت أهليته لما رشحه له القدر الأعلى، والسر كله يرجع إلى قوله تبارك وتعالى ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ [الحجر: ٢٩]. هذا سر الإنسان، وتلكم حقيقته، وليست حقيقته في هذا الغلاف الترابي، وفي هذا الجسد المكون من لحم وعظام، أنه لو كان الأمر أمر جسم، لكانت مخلوقات عجماء من عالم الحيوان أجدر بمكانة الإنسان وأحق بسلطانه، ولكن السر في الروح الذي يسري بين جنبيه، وبه صار عظيما في ملكوت السماوت، وبه صار عظيما عند ربه.

ومن هنا سخر الله للإنسان ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، وجعل الكون جميعا في خدمته، مسخرا لمنفعته، فالشمس تضيء له، والنجوم تهديه، والبحار والأنهار تحت تصرفه، والأرض مُذَلَّلَة تحت وطئه وقدمه، يمشي في مناكبها ويأكل من رزق ربه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (34) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (35) وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[إبراهيم:34-36].

وانتبه أخي المؤمن متدبرا إلى تكرار كلمة لكم في هذه الآية لتشعرك بأنك أنت المراد، وأن الكون كله في خدمتك، وطوع إمرتك، ولكن ألا تتساءل لمن خلقت أنت؟ إذا كان الكون خلق لك، فلمن خلقت أنت؟ لقد خلقت لربك، لتعبده وتوحده، وبذلك يستقيم نظام الوجود، الذي بني على ذلك، فالنظر البسيط يهدينا في مراتب الوجود إلى هذه الحقيقة، إننا نجد كل كائن يخدم الأعلى منه رتبة، فالجماد يخدم النبات والجماد والنبات معا يخدمان الحيوان، وهذه كلها في خدمة الإنسان.

إن الأرض تخرج نباتها، ويعمل الماء والمطر والشمس لإحياء النبات، وإمداده بالغذاء حتى يزهر ويثمر، ثم يجيء الحيوان فيغتدي به، قال تعالى: ﴿ وَأَبًّا (31) مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ [عبس: 31-32]. وهذا الحيوان الذي خدمه النبات، هو مسخر للإنسان، قال تبارك وتعالى: ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [النحل: 5].

أما أنت أيها الإنسان، ففي خدمة من؟. إنك خُلِقتَ للأعلى شأنا، وهو الله تبارك وتعالى، الذي انتهى إليه الكمال في الوجود. قال تعالى في محكم آياته: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: 41]. ولهذا كانت الوثنية، وعبادة غير الله بشتى مظاهرها، كانت أخطر انحراف عرفه الوجود، وكانت أفظع شذوذ وُلِد في عالم الناس، وجاء لقلب الحقائق ولإفساد النظام، وذلك حين صيَّرَ الإنسانَ عبدًا لمن دونه، صيرهُ متعبدا ومسخرا وذليلا للأدنى منه، فعبد الإنسانُ الطبيعة بأشجارها وأحجارها، بأبقارها وأنهارها، بل تذلل ذُلًّا لا ذُلَّ بعده، فعبد الكلاب وعبد الخنافس وانطرح على بطنه لعبادة أهوائه، وليس وراء ذلك من هوان وذلٍّ، وصدق ربنا إذ يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: 18]، وانتبهوا معاشر الصالحين إلى هذا المقطع الأخير من الآية[1].

جعلني وإياكم ممن ذكر فنفعته الذكرى، وأخلص لله عمله سرًّا وجهرا، آمين آمين، والحمد لله رب العالمين.

---

(1) قال تعالى بأن الكون كله يسجد لله، وعبَّر بصيغة العموم والاستغراق، بينما في الناس قال: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾، وكثير أيضًا حق عليه العذاب، وسمّى عدم السجود لله هوانًا فَقَدَ صاحبُه سبيل الإكرام، فكان بذلك السجودُ لله عنوان الكرامة والعزة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله العلي الكبير، العليم الخبير، المدبر القدير، له المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم.

وصلاة ربي وسلامه على سيد العارفين، وإمام المُنصِفين، وعلى آله وصحابته، أهل محبته ومتابعته، ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

معاشر الصالحين:

لقد خلق الله الإنسان ليكون له، خلقه ليعرفه، خلقه ليعبده ويوحده، ليعرفه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وبأنه القادر الذي لا يُعْجِزُه شيء، والعالم الذي لا يغيب عن علمه شيء، وبهذه العقيدة الحَقَّة تطمئن النفس، وتستقيم الخطى، وتنتظم الحياة، ولا سبيل إلى معرفة الله تبارك وتعالى بحقيقة ذاته، وكنه صفاته لقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: 104]. وفي قوله ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: 107]. إننا أعجز من أن ندرك حقيقة أنفسنا. قال تبارك وتعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ - أي حقيقتها - ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ - أي من اختصاصه - ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85]. إنه العجز عن إدراك الروح وهي متصلة بالإنسان، فضلا عن كنه الوجود وحقيقته.

إذا فالسبيل إلى معرفة الله تعالى هي معرفة آثاره في أنفسنا وفي الآفاق ومن حولنا، وإلى هذا يرشدنا قول الرسول ﷺ: «تفكروا في آلاء الله، ولا تتفكروا في ذات الله -أي كنهه- فإنكم لن تقدروه قدره»[1]. وإليه

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، رقم 6319، وأبو الشيخ الأصبهاني في كتابه «العظمة» في باب الأمر بالتفكر في آيات الله عز وجل وقدرته =

ينبه قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: 52]. ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ - أي الباحثين عن الحق - ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21-21]. وكثيرة هي الآيات المصدرة بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾. والعلم اليوم يوقفنا على عظيم آثار الله المتجلية في النظام الدقيق. في العالم الفوقي وعالم الأرض، وعالم الأنفس، في ذلكم الإحكام البديع الذي يسود الوجود بكل قطاعاته، حيث لا يملك القلب السليم والعقل الراشد أمام هذا الكون العظيم، إلا أن يعلن بقوة: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: 191]. إنه الله سبحانه وتعالى، تراه أخي المؤمن في كل شيء، بعين قلبك وبصيرتك، لا بعين رأسك وبصرك، فأبصارنا أقل من أن ترى الله في هذه الدنيا الدنية، إننا حقا سنرى الله في رحاب النعيم إن شاء الله[1]، حيث الكافرون عن ربهم محجوبون، وحيث المؤمنون على الأرائك ينظرون، قال الله تعالى:

= وملكه وسلطانه وعظمته ووحدانيته بلفظ: تفكروا في الخلق، ولا تفكروا في الخالق، فإنكم لن تقدروه قدره. رقم 15.

(1) في هذا تقرير لرؤية الله تعالى في الآخرة، وهي من مسائل الاعتقاد التي يقررها الأشاعرة وجمهور أهل السنة، وأنكر الرؤية طوائف أخرى كالمعتزلة، وسيأتي تفصيل القول في المسالة أن شاء الله عند تفسير قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾. وهو ما قرره سيدي المصطفى في منحة المهدي بقوله:

ورؤية الله بدار الخلد ... حق أتت في الوحي دون حد
لقوله جل وجوه ناضرة ... وهْيَ إلى ر ها حقا ناظرة

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿21﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿22﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿23﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ [القيامة: 21-24].

لقد خلقنا ربُّنا لنعرفه، فإذا عرفناه عبدناه كما يَرْضَى. إذ العبادة في حقيقتها هي أن تفعل ما يرضي ربك تقربا إليه، لأنه هو جل وعلا الأحق بأن تُعَفَّرَ له الجباه سجودا، ويُرْكَع لجلاله تمجيدا، فلا سجود إلا له جل وعلا. ولا ذل بحق إلا له استحقاقا، ولا رجاء إلا فيه، ولا خوف إلا منه، ولا دينونة إلا لشريعته، تلكم هي العبودية بحق. ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: 56]. امتثالا لأمره، واجتنابا لنهيه، وإقامة لدينه وشرعه في أرضه، وبذلك تسعد الدنيا وتستنير الحياة، ويسودها النظام والأمان والسلام، كما يريد الله. قال الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس: 25]. وإذا تخلى الإنسان عن هذه المهمة العظيمة، كان أضل من البهيمة، قال تبارك وتعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿43﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: 43-44]. ويقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف: 179].

وهذا وصف لحطب النار ووقودها، من أولئك الذين عطلوا وخربوا تلك الأجهزة العظيمة فيهم، والتي منحها المولى إياهم ليُطِلُّوا منها على كونه الفسيح العظيم، فتكون نوافذ لمعرفة الله، غير أنهم خربوا هذه الأدوات، فكانت لهم قلوب، ولكن لا يفقهون بها، وكانت لهم أعين، ولكن لا يبصرون بها، وكانت لهم آذان، ولكن لا يسمعون بها. لأنه إذا لم

يفقه الإنسان بقلبه المهمة التي خلق لها، ولم يعرف خالقه الذي استخلفه وكلفه، فقلبه إذًا لم يعد قلبا سليما صحيحا واعيا، هو كالعدم، وكذلك إذا لم ير الإنسان آثار ربه في كونه ولم يعتبر بها، فهو في الحق أعمى بل أضل سبيلا. ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: 44] كما قال الله تبارك وتعالى.

أدعية الختام:

اللهم افتح قلوبنا بذكرك، وأتمم علينا نعمتك من فضلك، واجعلنا من عبادك الصالحين، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا اللهم بأسماعنا، وأبصارنا، وقواتنا، أبدا ما أبقيتنا، واجعله الوارث منا، وأجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، اللهم اجعل بلدنا هذا آمنا مطمئنا وسائر بلاد المسلمين، ووفق اللهم العاهل الكريم، وسدد خطاه على الصراط المستقيم، وهيئ له بطانة خير لا تريم، وقه بطانة أهل الشر والفساد، واجعله رحمة على البلاد والعباد، يا من له الأولى والآخرة وإليه المعاد، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين أمنو ربنا إنك رؤوف رحيم، آمين آمين والحمد لله رب العالمين.

تنبيه في ختام هذا المطلب:

بقي أن أشير في ختام هذا المطلب إلى أنه للعلامة سيدي المصطفى إسهامات متعددة في علوم مختلفة لا يتسع المقام لبسط القول فيها؛ ومنها:

- الشرح والتعليق على مقدمة ابن خلدون؛
- شرحه لكتاب «إعجاز القرآن» وكتاب «نكت الانتصار» للباقلاني رحمه الله؛
- شرح وتلخيص وتشجير مسائل وأبواب كتاب «الإتقان في علوم القرآن» للإمام السيوطي رحمه الله؛ وغيرها كثير.

وأكتفي بهذا الذي ذكرت؛ إذ لا يمكن الإحاطة بكل ما أملاه الشيخ في هذه الصفحات، ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت.

* * * *

المطلب التاسع: مكانة العلم عند الشيخ سيدي المصطفى حفظه الله من خلال سيرته:

سبق أن ذكرت أن الشيخ سيدي المصطفى حفظه الله يُجِلُّ العلم والعلماء، وذلك أنه لا يفارق الكتاب ويقول: «الكتاب حتى أُوَسَّدَ التُّراب».

يديم النظر في الأصول، وله عناية خاصة بالقرآن وعلومه.

فإذا كان بصدد الإعداد لدرسه؛ فإنك تجده مستغرقا في النظر والتأمل، يقلب في صفحات الكتب، ويدون ما يعن له من أفكار، والجلال يَحُفُّه، فلا يستطيع أحد أن يقطع عليه فكرته، وربما بقي الساعات دون أن يغير مكانه.

كثيرًا ما يقول سيدي المصطفى: هذه العلوم، علوم الذكر وما يتصل به، والقرآن ذكر، والسنة ذكر، ... شأنها أنها تتأبى على غير الصادقين، وتتفلت من غير الذاكرين؛

أما ما يتعلق بعلماء الأمة فإنه رضي الله عنه يُجل السلف ويكبِرهم، وما عرف عنه أبدا أنه قدح في إمام أو انتقده بحدة، فإذا أختلف معه وهو من هو، علو كعب في ميادين العلوم، تجده يلف رأيه بصنوف من التأدب والاحترام، فيتخير العبارات، ويعتذر له، وذلك شأن الكبار، وكثيرا ما كان يذكِّر بأدب الحافظ العراقي وهو بصدد تخريج أحاديث إحياء علوم الدين للغزالي، حتى إذا ما وجد حديثا لم يستطع عزوه قال: «لم أجده في مراجعي».

يمكن أن تصف سلوكه وخُلُقَه مع الناس بقولك: يتأدب مع الكبار ويرفق بذوي الأعذار ويعرض عن ساقطي الاعتبار.

لكن وفي مقابل ذلك يشتد الشيخ على المتطاولين على الكبار ويُعَنِّفهم، لأنهم كما يقول: جمعوا إلى قلة العلم قلة الأدب، ويضيف في حق السلف: «حتى ولو ساويناهم في العلم فإنهم فَضَلُونا بالسبق والورع».

لا يسمح الشيخ في مجلسه بالعبث أو الإعراض[1]، أما إذا نام أحدهم فإنه يوقظه ويأمره بتغيير مكانه، كما أنه لصون مجلسه عن اللغو لا يفتح المجال لأسئلة الحضور، فإذا أنس من طالبٍ رغبة وحرصا، انبسط له وأمده بكل ما يحتاج وفوق ما يريد.

لا يذهب إلى الدرس أبدا من غير إعداد وتحضير، وهو من هو حفظا وإتقانًا وإجادة، وسرعة استحضار وقوة حافظة، ولو كان الطلبة في قسم الابتدائي، ويعتبر التدريس من غير إعدادٍ لغوا ومضيعة للوقت واستهانة بقدسية مجالس العلم التي ينبغي أن تصان عن كل عبث وتضييع.

* * * *

(1) يكره الشيخ من الطلبة وهم بين يديه أن يعبث أحدهم بلحيته أو يجلس مقعيا ولا يسمح بذلك، وإذا ما جلس أحد في صدر المجلس وأراد الانصراف في أثناء الدرس دون عذر نبهه إلى أن ذلك من سوء الأدب. ولا يسمح لمن غلبه النوم أن يبقى في مكانه، بل يأمره بتغيير المكان أو الإنصراف...

فصل في تعريف روض الإلهيات

والمنهج المعتمد في تنزيله من خطاب مسموع إلى كتاب مطبوع والسبب في الاقتصار على الفصل التمهيدي ومقطع الحمد

وذلك في مباحث أربعة:

المبحث الأول: في التعريف بروض الإلهيات

المبحث الثاني: أهم المسائل والقضايا التي شكلت محور الاهتمام على امتداد دروس روض الإلهيات

المبحث الثالث: المنهج المعتمد في تنزيل نص «روض الإلهيات» من مسموع إلى مطبوع

المبحث الرابع: ذكر السبب في الاقتصار على الفصل التمهيدي ومقطع الحمد من روض الإلهيات

ظلال وغِلال، فَيْحَاء غنَّاء، فأحسن المواضع في الجنان في الدنيا والآخرة تسمى روض ورياض، قال أهل العلم: لكثرة ما تُعُهِّدت، وهو من الرِّياضة، والرياضة هي تكرار الشيء من أجل أن ينقاد ويطاوع، فهي بكثرة تعهدها بالخدمة حتى صارت أحسن، فسُميت روضة، ارتاضت وأصبحت تربتها غاية، وغلتها غاية، وأشجارها وظلالها في المنتهى. ومن وجوه فائقية وأحسنية هذه الآيات التي سنعرض لها إن شاء الله، أنها «إلهيات»، وفعلا لأن أعظم آي القرآن هي التي فيها التعريف بجلال الله العظيم، وهذا يحيل إلى مسألة من مسائل علوم القرآن وهي مسألة: هل في القرآن فاضل ومفضول[1]: ولذلك كانت آيات «روض الإلهيات» والتي موضوعها الفقه الأكبر في جوانبه وأقسامه تبدوا وسط القرآن رياض وروضات، وأوضح ما تبدوا حين تُستَهل باسم الجلالة «الله»، ولذلك سميناها المقاطع الجلالية».

والمقاطع التي انتخبها الشيخ لتكون محور «روض الإلهيات» وهي بضع عشرة مقطعا كما يلي:

المقاطع المنتخبة من سور الكتاب الكريم مرتبة:

1. مقطع الحمد وحيثيَّته من أمِّ الكتاب وفاتحته، وهو قول الله تعالى في سورة الفاتحة:

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ۝٧ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾.

---

(1) سيأتي تفصيل المسألة في النص المحرر.

المبحث الأول: في التعريف بروض الإلهيات

في الدورة العلمية العاشرة التي نظمها المنتدى الإسلامي بالشارقة تحت عنوان «دورة الفقه الأكبر»، في محاور خمسة هي: الإلهيات، والنبوءات، والاعتقادات، والإيمانيات، والغيبيات[1]، في هذه الدورة كان محور الإلهيات من تأطير العلامة سيدي المصطفى البحياوي حفظه الله، وذلك من خلال:

1 - «روض الإلهيات من خلال مقاطع الجلالة في الآي البينات».

2 - و«منحة المهدي في نظم عقيدة الأزدي».

وجه التسمية بـ«روض الإلهيات»

وروض الإلهيات الذي هو موضوعنا بيَّن الأستاذ حفظه الله طبيعته ووجه تسميته في فقرة مستقلة من الفصل التمهيدي، أشار فيها إلى أن هذا الاختيار له ما يؤيده فقال:

«... نحاول الولوج إن شاء الله إلى ما سميناه «روض الإلهيات»، وهذه التسمية لها وجه لِمَا ارتأيناه، وهو أن الروض دائما يضاف إلى الجنة، لأنه أخص منها، يقال: «روضات الجنات»، الروضة في كل جنة أحسن مواضعها، وأجملها وأوفاها بما تكون له الجنة، خُضْرة ونُضْرة، وَوُفُورَ

(1) تفصيل محاور الدورة موجود ضمن الكتاب الذي أصدره المنتدى تحت عنوان: «الفقه الأكبر» الطبعة الأولى سنة 2010، والذي كان بمثابة الدليل العلمي للدورة.

ظلال وغِلال، فَيْحَاء غنَّاء، فأحسن المواضع في الجنان في الدنيا والآخرة تسمى روض ورياض، قال أهل العلم: لكثرة ما تُعُهِّدت، وهو من الرِّياضة، والرياضة هي تكرار الشيء من أجل أن ينقاد ويطاوع، فهي بكثرة تعهدها بالخدمة حتى صارت أحسن، فسُميت روضة، ارتاضت وأصبحت تربتها غاية، وغلتها غاية، وأشجارها وظلالها في المنتهى. ومن وجوه فائقية وأحسنية هذه الآيات التي سنعرض لها إن شاء الله، أنها «إلهيات»، وفعلا لأن أعظم آي القرآن هي التي فيها التعريف بجلال الله العظيم، وهذا يحيل إلى مسألة من مسائل علوم القرآن وهي مسألة: هل في القرآن فاضل ومفضول[1]: ولذلك كانت آيات «روض الإلهيات» والتي موضوعها الفقه الأكبر في جوانبه وأقسامه تبدوا وسط القرآن رياض وروضات، وأوضح ما تبدوا حين تُستَهل باسم الجلالة «الله»، ولذلك سميناها المقاطع الجلالية».

والمقاطع التي انتخبها الشيخ لتكون محور «روض الإلهيات» وهي بضع عشرة مقطعا كما يلي:

المقاطع المنتخبة من سور الكتاب الكريم مرتبة:

1. مقطع الحمد وحيثيَّته من أمِّ الكتاب وفاتحته، وهو قول الله تعالى في سورة الفاتحة:

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ۝٧ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾.

---

(1) سيأتي تفصيل المسألة في النص المحرر.

2 . المقطع الكلي من آية الكرسي: وهو قول الله تعالى في سورة البقرة:

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴿253﴾ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [البقرة: 253-254].

3 . مقطع الاستهلال في سورة الآل، وهو قول الله تعالى في طالعة سورة آل عمران:

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿1﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿2﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ ﴿3﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿4﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿5﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿6﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾

[آل عمران: 1-7].

4. مقطع الفلاح بما لاح من أسرار آي فالق الإصباح، وهو قول الله تعالى في سورة الأنعام:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿96﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿97﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿98﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿99﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿100﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿101﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿102﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿103﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 96 - 104].

5 . مَقْطَعَا المجد من سورة الرعد، وهما قوله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿2﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿3﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ تُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد: 2-4].

وقول الله تبارك وتعالى:

﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿9﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿10﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿11﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿12﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿13﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ [الرعد: 9-14].

6. مقطع الأنباه في آية المشكاة، وذلك قول الله تعالى في سورة النور:

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [النور: 35].

7. مقطع الاستدلال المستأصل لأوهام الشرك المضلل، وهو قوله تعالى في سورة النمل:

﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝61 أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ۝62 أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝63 أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝64 أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝65 أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [النمل: 61-66].

8. مقطع الكمال الموسوم من سورة الروم، وذلك قوله عز وجل:

﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿10﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿11﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿12﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿13﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿14﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿15﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿16﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿17﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿18﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿19﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿20﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿21﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿22﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿23﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿24﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿25﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الروم: 10-26].

9 . مقطع التمام في التنويه بخصائص الكلام، وهو قول الله تعالى في سورة الزمر:

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: 22].

10. مقطع التفريد في آيات المقاليد، وهو قول الله تعالى في سورة الزمر:

﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (59) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (60) قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (61) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (62) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (63) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (64) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (65) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (66) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [الزمر: 57-67].

11 . مَقطَعُ تَفَرُّدِ المُهيمن في سورة المؤمن، وهو قول الله تعالى في سورة المؤمن[1]:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿12﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿13﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿14﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۗ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾

[غافر: 12-15].

12 . مقطع التسبيح والتوحيد من صدر سورة الحديد:

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿1﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿2﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿3﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿4﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿5﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ﴾ [الحديد: 1-6].

---

(1) تسمى هذه السورة بسورة غافر، وهي إحدى السور الإلـهيةِ العنوان، أي: التي تحمل في عنوانها اسماً من أسماء الله تعالى، وأخواتها هن، سورة النور، وسورة فاطر، وسورة الرحمن، وسورة الأعلى، وسورة الصمد (الإخلاص).

13 . المقطع الأمثل من خاتمة الحشر الأول، (خاتمة سورة الحشر)

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿22﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿23﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: 22-24].

14 . مقطع أنْفَسِ الأعلاق بختم سورة الطلاق لبيان الغاية من الخلق والأمر بإطلاق، (خاتمة سورة الطلاق):

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: 12].

15 . مقطع التحصين من الشر الخفي والمستبين في سورتي المعوذتين[1]:

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿1﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿2﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿3﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ﴿4﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [سورة الفلق: 1-5].

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿1﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿2﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿4﴾ ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿5﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ [سورة الناس: 1-6].

---

(1) انتخب الشيخ هاتين السورتين ضمن المقاطع الجلالية على تقدير : الله المقصود والمتعوذ به ، وذلك ليتسق مقطع القصد بمطلع الحمد في القرآن الكريم، فالله المحمود وهو المعبود وهو المقصود.

المبحث الثاني: أهم المسائل والقضايا التي شكلت محور الاهتمام على امتداد دروس روض الإلهيات

في الدليل العلمي لدورة الفقه الأكبر الذي أشرت إليه سابقا يوجد بيان أهم المسائل التي شكلت موضوع روض الإلهيات، وهي كما يلي:

المدخل:

الفقه الأكبر في تجلياته وآثاره، انطلاقا من قول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [سورة محمد: 19].

فقه الأصول: تعريف وتوصيف

مجمل جوانب البحث:

محاور الاعتماد في فقه الاعتقاد:

أ: تجلياته في الآي المعرّفة:

1. الوجود الأجلى
2. المثل الأعلى
3. التفرد المطلق
4. القدر الأوفق الأحق

ب: آثاره عند أهل المعرفة:

1 . شهود وعرفان

2 . حب وقرب

3 . أنس وهيبة وتفويض

ج: أسالب تقريب أصوله في آي القرآن وفصوله:

1 . الفعل والأثر

2 . الصفة والمعنى الأسنى

3 . الذات العليَّة

د: تفصيل المحتوى

وفيه مستفاد الدلالة من أمهات مقاطع الجلالة بخصوص محاور الاعتماد المعدلة بالإضافة إلى بيان ماذا تعني مقاطع الجلالة ومعيار اختيارها[1].

ومن خلال النظر في سلسلة الدروس نجد أن الشيخ قد وفى بهذه المطالب في حدود ما يسمح به الحيز الزمني الذي انعقدت فيه الدورة، وإن كان لم يكمل تفسير جميع مقاطع الجلالة، ولكنه كان يتناول الموضوعات أعلاه من خلال تفسير الآيات، فيبين ما يتصل بكل موضوع متى ما كانت له صلة بالمقطع الذي يفسره.

---

(1) كتاب الدليل العلمي لدورة الفقه الأكبر ص 50، 06 .

المبحث الثالث: المنهج المعتمد في تنزيل نص «روض الإلهيات» من مسموع إلى مطبوع

لتحرير نص روض الإلهيات بعد تفريغ محتواه كما هو مسجل من غير زيادة ولا نقص، ورقنه على الحاسوب وتصحيح الأخطاء المطبعية، اعتمدت الخطوات التالية:

الخطوة الأولى، التوضيب؛ وأقصد به حذف المكرر وتعريب المدرّج - أي ما كان بالدارجة وهو قليل-، وإعادة صياغة بعض العبارات التي تحتاج إلى ذلك بعد الاستشارة مع الشيخ سيدي المصطفى حفظه الله، وذلك وفق ما يقتضيه تنزيل النص من مسموع إلى مطبوع.

الخطوة الثانية: الترتيب؛ وأقصد به ترتيب المسائل والفقرات؛ وذلك أن بعض المسائل يرد ذكرها في أماكن متفرقة، فقمت بجمعها في مكان واحد بحسب ما يسمح به التسلسل المنطقي لموضوعات الكتاب.

الخطوة الثالثة: التبويب؛ وأعني به تقسيم النص إلى فصول وأبواب، وفقرات ومسائل، ووضع عناوين تقرب المحتوى وتدل عليه وترشد إليه.

الخطوة الرابعة: التقريب؛ وفيها تقريب المحتوى لطالبه عن طريق التوضيح والشرح لما يحتاج إلى ذلك، بالإضافة إلى وضع فهارس عامة منها فهرس الآيات والأحاديث وفهرس الموضوعات.

الخطوة الخامسة: التوثيق؛ وفيها ذكر مواطن الآيات، وتخريج الأحاديث والآثار، وعزو الأقوال، وضبط النصوص ما استطعت إلى ذلك سبيلا، وفيما يتعلق بالأحاديث؛ فإنني أكتفي بالتخريج ولا أُكْثِرُ منه، بحيث أذكر في الغالب مصدرا أو مصدرين، كما أنني لا أتعرض للحكم على الأحاديث، وذلك لأمرين اثنين:

أولًا: عدم الأهلية والاختصاص.

ثانيًا: لما أظنه من أن الإحالة على الديوان الذي ورد فيه الحديث كاف في الدلالة على درجته والحكم عليه.

وفيما يتعلق بتراجم جل الأعلام الذين ورد ذكرهم في الكتاب، فقد قمت بالإشارة إلى من ترجم لهم، وفي بعض الأحيان أذكر حُلَاهُم وما قيل فيهم، كل ذلك بحسب ما يسمح به الوقت والجهد.

الخطوة السادسة، التعليق؛ وذلك في محاولة مني لبيان بعض ما يتعلق بسياق الكلام، أو وجه المناسبة في ترتيب الأبواب والمسائل، وسبب بعض الاستطرادات، وإعراض صاحب الروض عن الخوض في بعض القضايا.

صعوبات في الإنجاز:

عندما شرعت في إنجاز هذا البحث واجهتني مجموعة من الصعوبات منها:

أولًا: النص الشفوي يختلف في طبيعته عن المكتوب، وذلك أن الخطاب حين يلقى، ولو كان مُعَدًّا سلفا[1]، فإنه يطبعه التفاعل مع الحضور، وقد يكون المعنى تاما عند المتلقي سماعا ومشاهدة، وذلك بعوامل كثيرة، منها إشارة، أو حركة يد، أو نبرة صوت، وهو ما لا يكون في الكتابة، أضف إليه، أن الأستاذ وهو يلقي درسه، قد يكون في حديثه نوع استطراد أو اعتراض (جمل معترضة)، فإذا أردت تحويله إلى نص مقروء، لزم منك الأمر تَتِمَّاتٍ وحذوفٍ وتغييراتٍ، وهذا كله نوع من التصرف تَطَلَّبَ مني وقتا وجهدا في ضبط العبارات، وإعادة صياغة ما يحتاج إلى ذلك، مع العلم أن المواطن التي تتطلب ذلك قليلة مقارنة مع حجم النص، ذلك أن الإمام حفظه الله يضم المعاني ويرتب الكلام في تناسق بديع قبل أن يتحدث إلى الناس، وما عُهِد عليه أبدًا جلوس إلى الدرس من غير تحضير وإعداد، وعملٌ مثل هذا يحتاج إلى إذن وجرأة وكفاءة.

فأما الإذن؛ فقد أذن لي الشيخ حفظه الله بذلك، وإنه لشرف كبير، ووسام أفتخر به وإن كنت لا أستحقه، وإني عليه لحريص.

---

(1) الشيخ سيدي مصطفى وكما أشرت سابقا في الفقرة التي ذكرت فيها مكانة العلم عنده، لا يلقي الكلام على عواهنه، وإنما يكتبه في صدره، ويرتبه في ذهنه فكانت دروسه كتبا مكتملة، إذ كثيرًا ما يرد على لسانه أثناء شرح كلمة: (الكتاب)، أن الكَتْبَ هو الضم على نسق، بمعنى ترتيب المعارف وتبويبها وفق منهج محدد، ولغاية مقصودة، وبأساليب تامة، وذلك ما لا يختلف فيه ذو نظر في كل ما أبدعه سيدي مصطفى وما جاد به ذهنه الوقاد، وما صدر منه ذَوْبَ فؤاد.

وأما الكفاءة فغير حاصلة، وأنَّى لمشتغل بما يصرف عن طلب العلم، ولقليل الزاد مثلي أن تحصل له الأهلية لتمييز الصواب من غيره فيما يُقدِم عليه من تصرف في نص ينتمي إلى علم جل المخاطر والمزالق فيه تأتي من جهة العبارة[1].

فبقيت الجرأة، وهو ما اعتذر عنه لصاحب النص ولأساتذتي، وأسأل الله الكريم ألا أكون قد أسأت الأدب أو ضيعت المطلوب[2].

ثانيًا: النص غني بالعلم، ليس فيه فضول ولا زوائد، ففي كل فقرة منه إما آية قرآنية، أو حديث نبوي، أو أثر للسلف، أو قول لإمام، أو تعريف لاصطلاح، أو ذكر لعلم من الأعلام، أو بيان لِحُكم، أو نظم لمعان متفرقة، هذا في جانب غناه، وإذا نظرنا إليه في تنوعه وجدنا فيه بالإضافة إلى المباحث الكلامية -وهي الأصل- العديد من المسائل التي تنتمي لعلوم أخرى، كاللغة والفقه، والقراءات، وغيرها، وهو ما يجعل الناظر فيه يتهيبه لغناه، ويحس دائما بالتقصير تجاهه.

ثالثًا: تعدد الصوارف؛ وذلك لطبيعة الانشغالات التي تصرفني في الغالب عن التحصيل والطلب، زيادة على تواضع مستواي المعرفي وكونه لا يؤهلني للقيام بما يجب تجاه الموضوع.

---

(1) قيل بأنه سمي علم الكلام لأن قيامه على الجدل، والجدل قوامه على العبارات..

(2) مما شجعني أن الشيخ حفظه الله في شرحه للأثر المشهور: «اثنان لا يتعلمان مستحي ومتكبر» قال: لأن المستحيي يرى نفسه دون السؤال، والمتكبر يرى نفسه فوق السؤال، ونسأل الله ألا نَكُونَهُمَا.

لكن بحمد الله، وحتى أصرف عني وصف الكند[1]، فأذكر فقط العوائق وأغفل صنوف المدد، أقول بأن ربي أعانني على كل ذلك بأمور على رأسها الثقة التي حظيت بها من أستاذي المبجل سيدي المصطفى رفع الله قدره، وأدام عليه عافيته، وكذلك توجيهات أستاذي الفاضل سيدي محمد التمسماني أعلى الله شأنه، وحفظه من كل سوء، فقد ساعدني بدعمه العلمي والنفسي، وأكْرِم به من قلب طيب، وذلك الفضل من الله، والحمد لله.

* * * *

(1) من معاني الكنود: الكفر باليسير، وعدم الشكر على الكثير، ونسيان النعم، وذكر الفقد. النكت والعيون، (6/ 325).

المبحث الرابع: ذكر السبب في الاقتصار على الفصل التمهيدي ومقطع الحمد من روض الإلهيات

معلوم أن سيدي المصطفى أملى روض الإلهيات في اثني عشر مجلسا[1]، وفيه خمسة عشر مقطعا، لكن في هذا الكتاب سيجد القارئ الكريم فصلين اثنين، على أساس أن العزم معقود على إتمامه بإذن الله،

أما الذي تيسر إنجازه فهو:

- «**الفصل التمهيدي**» الذي عنوانه: «مدخلٌ إلى علم العقائد» وفيه تناول العلامة سيدي المصطفى البحياوي مجموعة من المسائل من مثل:
  - المنهج المعتمد في تناول الموضوعات،
  - المبادئ العشرة لعلم التوحيد،
  - سبب تسميته بروض الإلهيات،
  - ومعيار اختيار المقاطع القرآنية، وغيرها من المسائل.
- «**مقطع الحمد وحيثيته من أم الكتاب وفاتحته**»، والذي تناول فيه العلامة سيدي المصطفى سورة الفاتحة تناولًا عقديًا من خلال التفسير.

---

(1) مجموع زمن المجالس تقريبا ٢٢ ساعة بمعدل ساعة وخمسة وأربعين دقيقة في كل مجلس، تزيد أو تنقص قليلا.

والسبب في الاقتصار على هذين الفصلين يرجع بالأساس إلى أمرين اثنين بالإضافة إلى ما سبق ذكره قبل:

- **الأمر الأول يرجع للكم**: حيث أنه لما أتممت تفريغ محتوى الدروس، تبين لي أن إنجاز العمل من أجل إخراجه يتطلب وقتا كثيرا، ذلك أنه قد يصل عدد صفحات الكتاب إلى أكثر من سبعمائة صفحة، وهو ما دفع إلى أن أقتصر على هذا الجزء تيسيرا للإنجاز، ورغبة في عدم التأخير في طبع الكتاب.
- **والأمر الثاني يرجع للعلم**: حيث أن ضبط عبارات النص، وتوثيق إحالاته، والترجمة لأعلامه، ووضع العناوين لفقراته وفصوله، وإنجاز الهوامش الضرورية والفهارس المرشدة إلى محتواه، وغيرها من الأمور التي يفرضها إخراجه، مع الوفاء بما يجب تجاهه ليكون كما أراده صاحبه، كل ذلك يحتاج إلى زمن متسع، والزمن المتاح والظروف المصاحبة لاشتغالي على هذا الموضوع لا تساعد على الوفاء بما يجب له، مع العلم أن البحث في علم العقائد يحتاج إلى تدقيق في المصطلح، وضبط للمسائل، وتمكن من مناهج البحث والدراسة، وهو ما لا أدعيه، فكان ان اقتصرت على ما ذكرته، على أساس أن أتمم تحرير ما تبقى من الدروس في المستقبل القريب إن شاء الله تعالى.

* * * *

نص روض الإلهيات

مدخل إلى علم العقائد انطلاقا من مقطع الحمد

وحيثيته من أم الكتاب وفاتحته

وبين يديه نوافذ إطلالة على الروض البهي

نوافذ إطلالة على (روض الإلهيات)
وفيها أصول ما يجب في الإيمان ومعاقد الاعتقاد في الإلهيات وأنموذج مآخذها من الأسماء الحسنى[1]

أولا: أصول ما يجب في الإيمان بالله الحنان المنان:

أصول ما يجب في الإيمان ... بالله ذي السُّمى الحسان
وجوده وحدته نفي المَثَلْ ... والخلق منه باختراع لا عِلَلْ
تدبيره للكون لا ينقطعُ ... فليس الأمر لطباع يخضعُ
أو لخصائص بالاستقلالِ ... تبارك الإله ذو الجلالِ[2]

ثانيا: معاقد الاعتقاد في الإلهيات:

مقاصد العقائد المعتبرة ... في رد خمسٍ من عقود منكرة
إشراكُ تعطيلٍ وتشبيهٌ كذا ... قولٌ بِطَبْعٍ علّةٍ قد فسدا[3]

1. إثبات وجود الباري جل جلاله، وذلك ردًا على المعطلة والدهرية.

2. إثبات الوحدانية، ردًا على المشركين.

---

(1) هذه النوافذ من إملاء الشيخ حفظه الله بعد أن عرضت عليه الكتاب.

(2) (3) هذه الأبيات من نظم الشيخ حفظه الله.

3 . تنزيهه تعالى عن الشبيه والمثيل، ردًا على المشبهة والمجسمة.

4 . إثبات أن الخلق كان باختراعه، ردًا على القائلين بصدور المعلول عن علته.

5 . إثبات تدبيره الخلق بالمشيئة، ردًا على القائلين بالطبع.

ثالثا: أنموذج مآخذ معاقد العقائد من الأسماء الحسنى[1]:

أسماء الله الحسنى المُرَغَّبُ في إحصائها على ما في مسردها من الاختلاف ترجع إلى معاقد خمسة تعرف بالعقائد الكبرى الخمسة[2]، وهي:

1 . إثبات وجود الباري جل جلاله، وذلك ردًا على المعطلة والدهرية. بنحو الحي، والباقي، والوارث، والحق...

2 . إثبات الوحدانية، ردًا على المشركين، بنحو الأحد، والواحد، والوتر، والفرد، والعزيز...

---

(1) يقول الله تعالى في سورة الأعراف الآية 180: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ . ومن معاني الدعاء المعرفة، بمعنى فاعرفوه بها ، فالله تبارك وتعالى تعرف إلى خلقه بحديثه عن نفسه وبحديث الكون عنه، وحديثه عن نفسه في كتابه من خلال سُماهُ ونعوته.

(2) نبه على ذلك الإمام الحليمي في كتاب المنهاج في شعب الإيمان القسم العاشر باب القول في شعب الإيمان، الأول من شعب الإيمان. حيث فصل رحمه الله القول فيما يجب اعتقاده في الله تعالى. فمن أراد تفصيل ذلك يرجع إلى الجزء الأول من الكتاب الصفحات: (من الصفحة 183 إلى الصفحة 236)، فإنه كتاب عظيم النفع عذب المورد.

3. نفي المثل (تنزيهه تعالى عن الشبيه والمثيل)، ردًا على المشبهة والمجسمة، بنحو القدوس، والمجيد، والمحيط، والعلي، والمتعال، ...

4. إثبات كونه موجدا للخلق بالاختراع، ردًا على القائلين بالعلة والمعلول، (نظرية الفيض)، وذلك بنحو الخالق، والبارئ، والمصور، والمقتدر، ...

5. إثبات أنه مدبر لما اخترع ومصَّرِفٌ له على ما يشاء، ردًا على الطبائعين، وذلك بنحو اسمه القيوم، والحكيم، ... .

❊ ❊ ❊ ❊

القسم التمهيدي

وفيه مدخل إلى علم العقائد

وذلك في فصول ومباحث ومسائل

ديباجة الحمد والصلاة[1]

الحمد لله الذي جعل الغاية من خلق الخلق توحيد عبادته جل وعلا، وأخذ العهد والميثاق على بني آدم وهم في عالم الذر بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: 172]، وبعث الرسل الكرام تترى، تفضُّلًا برسائل الذكرى، لتجديد العهد بسابق العقد، وتصحيح الصلة بالله الأحد الفرد، تسبيحا بحمده، وتقديسا لمجده، وسجودا لعظمته وجده: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [النور: 41]، ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿16﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿17﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: 16 - 18].

وصلاة ربي وسلامه على من أُصْطُفِيَ للمحبة والخُلة، ولجمع الأمة على أصول الملة، فجعل ﷺ وعلى آله، الشكرَ عنوانَ التوحيد، والذكر سِرَّ التّفريد، وقال فيما صح عنه: «سيروا هذا جمدان سبق المُفْرِدُون أو

---

(1) قمت بوضع هذه العناوين وتراجم الفصول والمسائل، وقد ارتضاها صاحب الروض.

المفَـرِّدُون» ، قلنـا: ومـن هـم يـا رسـول الله قـال: «الذاكرون الله كثيرا والذاكرات»[1] .ومن مأثور مناجاته ﷺ بين يدي صلاته في سحر القُرْب ، تعرضا لفيض الوَهْـب ، منوهـا بـالوجود الأَجلى ، والمثل الأعلى ، والقدر الأوفق ، والمثل الأصدق ، قوله ﷺ وعلى آله في مناجاته : «اللهم لك الحمد أنت قَيِّمُ السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد لك مُلك السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت الحق ، ووعدك حق ، وقولك حق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد ﷺ حق والساعة حق »[2] .

وَأُثْني وَأَتَرَضّى على الأصحاب الأنجاب ، الذين اخْتِيروا لصحبة النبي الأواب ﷺ ، ففازوا بمعيته ، وسعدوا بمحبته ومتابعته ، وكانوا في الحقيقة من دلائل نبوءته ، إذ الظِّل دليل الأصل ، و إن كان من فَيْئه ، وهو بحسبه وإن كان بسببه ، والمشكِّكون في سموِّ الظِّلال هم من أهل الضَّلال بلا جدال ، ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: 10] .

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب الحث على ذكر الله تعالى: عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: كان رسول الله ﷺ ، يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان ، فقال: «سيروا هذا جمدان سبق المفردون » قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيرا ، والذاكرات » رقم 2676 .

(2) أخرجه البخاري في كتاب التهجد: باب التهجد بالليل وقول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ رقم 1120 .

اللهم هب لنا من شهود العرفان بك، ما نحوز به حلاوة اليقين، ومن سرِّ الإخبات إليك، ما يُرَقِّينا للدخول في ضمان التحصين، ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: 196][1].

* * * *

(1) تظهر في هذه الديباجة فائقية براعة الاستهلال، حيث أشار من خلالها إلى أمهات الموضوعات وأصول العقائد، وبيان ذلك باختصار كما يلي:
البداية بالحمد كما في القرآن، توحيد الله هو أجل موضوع في علم الكلام فأشار إليه، ومن العقائد أن التوحيد دين الفطرة، وهو ما أشار إليه بآية ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾، ومن موضوعات علم الاعتقاد مسألة البعثة والإرسال، والكتب المنزلة، مسألة التسبيح والحمد وأنهما ركنا التوحيد الصحيح، وتوحيد الله بالعبادة، وعنوانه الشكر وهو من أدق مباحث العقيدة، والذكر وأنه سبيل تجديد الإيمان، الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص، مبحث الصحابة وكونهم من دلائل نبوءة سيدنا رسول الله، وغيرها من المسائل التي تشير إليها طالعة الحمد لله ذي الجلال، والصلاة على النبي زكي الخلال، والتَّرضِّي على الظِّلال من الصحب والآل.

[بين يدي الموضوع]

من لوائح التوفيق أننا هذه المرة نحاول بحول الله تدارس الأصول، ولستُ أعني مناهج النظر في فقه الاستنباط، (أصول الفقه). وإنما معاقد العقائد التي عليها الاعتماد، لأنها تؤسس لليقين، الذي بدونه لن يفتح لك ولا عليك، فالمدخل إلى العبادة هو المعرفة، والمعرفة هي الغاية من خلق الخلق وتنزل الأمر، وهو مصداق قول الله جل في علاه في خاتمة سورة الطلاق: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: 12].

شمول القدرة، وإحاطة العلم الإلهي، هما مراجع الكمال العلي الذي تفرد به الله تعالى، وهو المراد هنا بحفظ الأصول ومعرفتها، فنحن هنا بإذن الله لا نبدأ شيئا لا نعرفه من قبل، وإنما لنجدد الإيمان، بتجديد النظر في هذه الأصول، خصوصا في أزمنة الافتتان[1]، ولنجدد الصلة بالحكمة، وهذه قمة الحكمة، لأنها دراسة أعظم موضوع بأجل معرفة، وما أحوجنا للحكمة في زمن الانزلاق، وفي زمنٍ نحتاج فيه إلى الأخذ بأسباب العصمة، فالإنسان ينزلق حين يفارق هذه الأصول المعرفية، وحين تضعف

(1) هنا بعض التغيير الطفيف في العبارة اقتضاه تحويل الكلام من خطاب يلقى إلى كتاب يُقرأ.

في وجدانه، وحين يغيب عن باله وفي باطنه حضور هذا التفرد العلي رقابة وشهودا، وفي المقابل بقدر ما تحب تقترب، وبقدر ما تقترب تُوهب.

وهذه المعرفة ـ التي هي أجل معرفة لأنها ترتبط بأجل معروف وهو الله جل جلاله ـ هي في الحقيقة المعرفة الحق، واللذة الحاصلة بها هي اللذة الصدق، لأنها لا تأخذ قيمتها من ضدها كما هو شأن اللذائذ الأخرى، ولذلك بقدر ما تتشبع منها، بقدر ما تزيد عطشا وتشوقا إليها، فلا يُملُّ منها أبدًا، في حين أن سائر المستلذات والمستطابات الأخرى، بقدر ما تصل منها إلى غايتك، بقدر ما يضعف تعلقك بها، وهذا دليل أن هذه اللذة هي اللذة الحقيقية، ولذلك كان من دعائه ﷺ: «اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مُضلة»[1]، الشوق هنا والنظر إلى وجه الله الكريم هناك، وهما رجاءان لهما صلة ببعضهما، فالمتشوقون إلى الله هنا، لا بد أن يحضَوْا برؤية الله هناك، وقد نبه على ذلك سيدنا رسول الله ﷺ وعلى آله حين قال: «إنكم سترون ربكم كما ترون البدر، لا تَضامّون[2] ـ وفي رواية لا تُضامُون ـ في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا»[3]، فدل ﷺ على أن الحريصين على ذكر الله ومناجاته،

---

(1) أخرجه الإمام احمد في مسنده، رقم: 18351. والنسائي في السنن، رقم: 1305.

(2) من التضام أي لستم في حاجة إلى زحام لكي تروا.

(3) أخرجه البخاري رضي الله عنه في أبواب متعددة من صحيحه منها في كتاب الصلاة، باب فضل صلاة العصر، رقم: 545، وباب فضل صلاة الفجر، رقم: 573، وفي كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ رقم 7434، وغيرها. ومسلم رحمه الله في صحيحه: باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، رقم 633.

وخصوصا في الأوقات التي تستطاب فيها الغفلة -كما في الصبح-، أو يستطاب فيها التعاطي مع الدنيا وشهواتها والتلقي لحصادها -كما في العصر-، مبشرون برؤية الله؛ وكأنه ﷺ يحث المؤمنين قائلا: أيها المحبون لربكم، والمؤثرون لجنابه العلي، لا تغلبوا على صلاة الصبح والعصر، وأبشروا برؤية ربكم، وهذه مداخلها، هذه المعابر وتلكم الجسور.

[ليس الغرض من درس الأصول التفتيش عن عقائد الناس ولا التشويش عليها]

ليس الغرض من درس الأصول -عَلِمَ الله- إرادة تشويش ولا تفتيش، فالتشويش على العقائد فتنة، ولا يكون المؤمن فتَّانًا، ولا مُكَدِّرًا لصَفْوِ إيمان المؤمنين.

وليس تفتيشا؛ لأن الاختبار في العقيدة بدعة، قال البخاري رحمه الله حين جاء سائلٌ يسأله مختبرا في العقيدة: ما تقول في اللفظ بالقرآن؟ أجابه رضي الله عنه وقال في الختام «والاختبار في العقائد بدعة»[1]

---

(١) القصة كما ذكرها الحافظ ابن حجر في هدي الساري (ص ٥٧٤) قال: «...قال أبو أحمد بن عدي ذكر لي جماعة من المشايخ أن محمد بن إسماعيل لما ورد نيسابور واجتمع الناس عنده، حسده بعض شيوخ الوقت فقال لأصحاب الحديث: إن محمد بن إسماعيل يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، فلما حضر المجلس قام إليه رجل فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول في اللفظ بالقرآن، مخلوق هو أو غير مخلوق؟ فأعرض عنه البخاري ولم يجبه ثلاثا، فألح عليه، فقال البخاري رحمه الله: القرآن كلام الله غير مخلوق، وأفعال العباد مخلوقة، والامتحان بدعة. فشغَّبَ الرجل وقال: قد قال لفظي بالقرآن مخلوق وقال =

لأنّه ليس من سنة نبينا أن نختبر الناس في عقائدهم[1].

* * * *

= الحاكم حدثنا أبو بكر بن أبي الهيثم حدثنا الفربري قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول إن أفعال العباد مخلوقة، فقد حدثنا علي بن عبد الله حدثنا مروان بن معاوية حدثنا أبو مالك عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يصنع كل صانع وصنعته قال البخاري: وسمعت عبيد الله بن سعيد يعني أبا قدامة السرخسي يقول: ما زلت أسمع أصحابنا يقولون إن أفعال العباد مخلوقة. قال محمد بن إسماعيل: حركاتهم، وأصواتهم، وأكسابهم، وكتابتهم مخلوقة، فأما القرآن المبين، المثبت في المصاحف، الموعى في القلوب، فهو كلام الله غير مخلوق، قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾.

(1) بعض الطوائف من الناس ينزلون آية الممتحنة وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم﴾ [الممتحنة: 10]، فيسألون الناس عن عقائدهم ويرون ذلك سنة، ويستدلون بفعل بعض العلماء في مقامات استدعت ذلك، فسألت الشيخ سيدي مصطفى حفظه الله عن ذلك؛ فقال بأن الأصل ألا يُمتحن مؤمن في إيمانه إلا في حالتين: من قَدِمَ من دار الكفر، واتُّهِمَ بأنه يمكن أن يكون جاسوسًا، أو من كان رقيقا فأراد مسلم أن يعتقه في كفارة لا يجزئ فيها إلا رقبة مؤمنة. بمعنى أن السؤال لا يكون إلا في مظانِّ الاشتباه، ولا يُسأل إلا عن أصول الاعتقاد، أما تفاصيل العقائد فلا يسأل عنها.

فصل في ذكر المنهج المعتمد
في دراسة موضوعات «روض الإلهيات»

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: المصدر الأساس في علم الاعتقاد هو القرآن الكريم

المسألة الثانية: في بيان أن مباحث العقيدة كلها إلهية

[المسألة الأولى: المصدر الأساس في علم الاعتقاد هو القرآن الكريم]

المنهج الذي نعتمده هو منهج هذا الكتاب: «القرآن الكريم» الذي من أجلِّ مقاصده التعريف بمُنزله، فالرسالة نزلت لِتُعرِّف بمنزلها، وهو أعظم مقاصدها، وقد جمع بعض أهل العلم[1] مقاصد الكتاب في قوله نظما:

«مقاصد الكتاب عند من خبر تصحيح عقد وزكاة تعتبر»
«تشريع أحكام سياسة نُظُم وَعْظٌ وَقَصٌّ ثم إعجاز يَلُم»

[مقاصد القرآن]:

- تصحيح الاعتقاد.
- تزكية الأنفس.

---

(1) كثيرا ما يصادفنا في النص مثل هذه العبارة «قال بعض أهل العلم» وصاحب النظم أو القول هو الشيخ حفظه الله، ومنها هذا النظم الجامع لمقاصد القرآن. والسبب في ذلك أمور منها: أن القول ربما يكون من محفوظ منثور نظمه الشيخ، أو كلام جَنَّسَهُ ليحفظ كما هو شأن القرآن الكريم، وقد يكون من المحفوظ الذي لم يستحضر صاحبه، وقد يكون ذلك من باب ما جرى عليه البيان العربي في أسلوب الالتفات كما عند السكاكي رحمه الله.

- تشريع الأحكام.
- الكشف عن النُّظُم وسياسة الجماعة.
- الوعظ.
- القص: من أغراض القرآن ومقاصده تحصيل الاعتبار بالقصص.
- ثم الإعجاز بهذا الكتاب والتحدي به: وهو يلمها بمعنى أنه في كل الجوانب تجد إعجازا في الكتاب، في منهجه في التعريف، في أساليبه في التقريب، إعجاز الكتاب يعم «ثم إعجاز يلم»، أي يجمع هذه الموضوعات كلها وينخلها.

نعتمد الكتاب، لهذا الذي ذكرنا ولشيء آخر، وهو أن الأصول ينبغي أن تدرس في الأصول، وأصل الأصول هذا الكتاب، وَمَنْ أَعْلَمُ مِن رَبِّنا بنفسه العلية جل في علاه؟.

إذًا حين نلتجئ إلى القرآن وهو الملاذ، خصوصا إذا اعترى هذه الأصول، عبر العصور والفصول ما يشوش عليها، وأعني بالأصول: الإلهيات، والنبوات، و السمعيات، كما في لسان الاصطلاح في علم الاعتقاد، تفصيلا في موضوعاته، فالحاجة إلى أن نعود إليه ملحة، وليس لنا غير الكتاب - وهو المنقذ -، وكيف لا نصنع والله يقول في القرآن: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 09]، وحذف المتعلق، يعني يهديك ويرشدك للأقوم وليس للقيم فقط، إلى ما حاز القمّة في القيمية أو في الاستقامة في كل الأبواب، «للتي هي أقوم» في كل الأبواب التي تتعاطاها مما نزل الكتاب لبيانها، وأولها التعريف بالله جل في علاه.

وسنبتعد ما استطعنا وقدر الجهد عن جدل المُتَكَلِّمَةِ، وعن خبط المُتَلَعْثِمَةِ، ونشير بالتلعثم إلى الخبط غير المتوازن، في علم قيامه على الغيب، فالله غيب له أكثر من دليل يفوق الشهادة، والغيب الذي تقام عليه الأدلة، لا يمكن أن تتطرق إليه الخرافة عند أهل الإيمان والعلم، ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ [الروم: 55].

[القلب في أسلوب القرآن كاسب للمعارف]

تبدأ الرحلة في الإيمان أو مع الإيمان بالله جل وعلا مِنْك، رحلتك إلى الله تنطلق منك، فقد عُهِدَ إليك بميثاق وأنت في عالم الذر[1]، فجاءت فطرتك نَزَّاعةً إلى الحنيفية إني خلقت عبادي حنفاء كما في الحديث القدسي[2]، البيئة إذًا، والفساد المتراكم من فعل الناس حين فسدوا، هو الذي يشوش على هذه الأصول، ولذلك نجد أنَّ القرآن الكريم حين يتحدث عن جذور الدين يقول: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا

---

(1) الإشارة إلى قول الله في سورة الأعراف، الآية 172 ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾.

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار: رقم 2865، عن عياض بن حمار المجاشعي، أن رسول الله ﷺ، قال ذات يوم في خطبته: ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبدا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا.

فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 29]. الفطرة أعمق ما يمكن أن يعتمد عليه في أصول المعرفة، وذلك لأننا عندما نتحدث عن العقيدة نتحدث عن فعل القلب، وهذا شيء ليس من اختراعنا، فالبخاري رحمه الله في كتاب الإيمان يقول: باب العلم قبل القول والعمل لقول الله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فبدأ بالعلم[1]، وبه ترجم رحمه الله في باب قبله فقال: باب قول

---

(1) نص الباب في صحيح الإمام البخاري في كتاب العلم هو: باب العلم قبل القول والعمل، لقول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد، 20]، فبدأ بالعلم، وأن العلماء ورثة الأنبياء، ورثوا العلم، من أخذه أخذ بحظ وافر، ومن سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وقال جل ذكره: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر 28]، وقال: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 43]، ﴿قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾ [الملك: 11]، وقال: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الزمر: 9]، وقال النبي ﷺ: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»، وإنما العلم بالتعلم، وقال أبو ذر: لو وضعتم الصمصامة على هذه - وأشار إلى قفاه- ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من النبي ﷺ قبل أن تجيزوا علي لأنفذتها. وقال ابن عباس رضي الله عنه: كونوا ربانيين: حكماء فقهاء، ويقال: الرباني الذي يعلم الناس بصغار العلم قبل كباره.

وقد قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري في شرح هذا الحديث (1/ 194): قوله: (باب العلم قبل القول والعمل) قال ابن المنير: أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو متقدم عليهما، لأنه مصحح للنية المصححة للعمل، فنبه المصنف على ذلك حتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم: (إن العلم لا ينفع إلا بالعمل) تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه. وقال رحمه الله أيضا: وينتزع منها دليل ما يقوله المتكلمون من وجوب المعرفة، لكن =

النبي ﷺ «أنا أعلمكم بالله» وأن المعرفة فعل القلب[1] لقوله تعالى ﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾.

إذا سترون إن شاء الله، كيف اخترنا في هذه الرياض ما أسميناه بـ مقاطع الجلالة من القرآن الكريم ، وكيف رَتَّبْنَاهَا على ترتيب المصحف، وكيف أننا نريد من خلال أمور ثلاثة[2] ألا نغير منهج الكتاب - حاشا لله، ونبرأ إلى الله من أن نفعل ذلك -، ولكن أن نتتلمذ على الكتاب، فما عَنْوَنَّاهُ -كما سيأتي لاحقا- التجليات الأربعة أو الخمسة لمحاور الاعتقاد[3]، وآثارها عند أهل المعرفة، ومنهج الكتاب في تقريب هذا اللون من ألوان العرفان، كل هذا نريد أن نلفت النظر إليه بحول الله على مراحل وبتدرج من خلال دراسة مقاطع الجلالة، كما أسميناها.

* * * *

= النزاع كما قدمناه إنما هو في إيجاب تعلم الأدلة على القوانين المذكورة في كتب الكلام.

(1) قال ابن حجر: «قوله لقوله تعالى »مراده الاستدلال بهذه الآية على أن الإيمان بالقول وحده لا يتم إلا بانضمام الاعتقاد إليه والاعتقاد فعل القلب . فتح الباري (1/83، 84).

(2) هي تجليات العقائد، والآثار المرجوة منها، والمنهج المعتمد في بيانها.

(3) تفصيل هذا الأمر في الفقرة التي عرفت فيها «روض الإلهيات» وهذه التجليات هي: الوجود الأجلى، المثل الأعلى، التفرد المطلق، القدر الأوفق الأحق.

[المسألة الثانية:
في بيان أن مباحث العقيدة كلها إلهية]

قبل أن نبدأ التوضيحات البسيطة الأولية المتعلقة بالمبادئ العشرة بخصوص الفقه الأكبر، ننبه إلى مسألة نحتاج إلى استحضارها دائما وهي أن مبحث الإلهيات -والذي ترجمنا له بـ«روض الإلهيات من خلال مقاطع الجلالة في الآيات البينات»،- هذا المبحث أو المحور هو أحد مباحث ثلاثة حسب التقسيم الاصطلاحي لموضوعات الفقه الأكبر وهي:

- الإلهيات،
- النبوءات،
- السمعيات، أو أمور المعاد،

وهذا التقسيم الاصطلاحي دعا إليه الرغبة في تصنيف المسائل لكي تكون على نسق، في منهج تناولها وعرضها وتقريب مسائلها، وإلا فإن النظر يعطي هذه الحقيقة التي ينبغي أن تذكروها، وهو أن مباحث العقيدة كلها إلّهية، هذا ينبغي أن تحفظوه ولا يصرفنكم المصطلح عن فهم ما وراءه، فقطب الأقطاب في البحث العقدي وآصَلُ أصولِه: الله جل جلاله، وبقية الأصول -كما هي في عقد الإيمان السداسي في حديث

جبريل[1] - تابعة له وراجعة إليه، فالنبوءة اصطفاء الله ومنة الله، فالبحث فيها إذًا بحث في جانب إلهي، والرسالة كلمة الله، ومراده من الخلق من خلال خطابه، (يُقدِّم مراده من خلقه عن طريق خطابه)، والملائكة رسله وسفراؤه فيما يتعلق بالتدبير ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ [الذاريات: 4]، ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: 5]، وفيما يتعلق بوحي الخطاب تنزلا، فَهُمْ مَلَؤه، والقدر فعله، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49]، وهو يرجع إلى مسألة الخلق الإلهي، والمعاد لقاؤه، وموعد جزائه عدلا وفضلا، فرجعت المباحث العقدية لينسحب عليها وصف الإلهيات، ولذلك أهل العلم بالعقيدة حين تجدونهم يقولون بأن هذه الأصول العقدية لا تتبعض في الاعتقاد، أو أنها لا تقبل النقص، بمعنى أن النقص فيها يعود بالنقض على الكل، كأنها جواهر في عِقد إذا قطع أحدها انفرط العِقد كله، فلا يقول الواحد أنا أومن بالله ورسله، ولكن عندي تحفظ إزاء القدر، أو أرى أمر المعاد ليس كما يخبر رب العباد، أو يقول إنه بالروح دون الجسد، كما كفر الفلاسفة بهذا في ما أثبته الغزالي[2] في التهافت، حيث قرر أنه: كَفَرَ فلسفي بثلاث وَبُدِّعَ

---

(1) الحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، (رقم: 8). وهو الحديث الثاني من أحاديث الأربعين النووية، وفيه أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: [فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره...].

(2) الإمام الجليل محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، أبو حامد الغزالي، حجة =

في سبع»[1] هذه أشياء ذكرها وحررها في التهافت، منها قولهم: «لا تبعث الأجساد، وأن النبوءة مكتسبة، وأن العالم قديم له أزلية كأزلية الله»، -تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا-، وقول من قال إن الإيمان في أصله واحد، وهذه المقولة في «العقيدة الطحاوية»[2]، ومعناه أن الناس في أصل الإيمان سواء، والمراد هذا الأصل، لأنه لا ينتقض، فالقائل بأنه لا ينقص وإذا نقص انتقض، المراد به هذا الأصل، أما الزيادة فباعتبارات أخرى -سنراها إن شاء الله- لا ترجع لهذا الأصل لأنه لا يتفاوت، وهذا التحرير في هذه المسألة يخرجنا من مضايق كثيرة حين نتعرض لمسألة الزيادة والنقص في الإيمان.

* * * *

= الإسلام ومحجة الدين، صاحب التصانيف المشتهرة والعلوم المنتشرة، ترجمته في: طبقات السبكي (191/6)، والبداية والنهاية (469/12)، وسير أعلام النبلاء (322/19) وغيرها كثير.

(1) قال الغزالي رحمه الله في كتابه المنقذ من الضلال (ص: 50-51): وأما الإلهيات ففيها أكثر أغاليطهم، ومجموع ما غلطوا فيه يرجع إلى عشرين أصلا يجب إكفارهم في ثلاثة منها، وتبديعهم في سبعة عشر، وقد أبطلناها جميعا في كتابنا المسمى تهافت الفلاسفة، فأما الثلاثة: فقولهم بأن الأجسام لا تحشر، وأن الله لا يعلم الجزئيات، بل الكليات فقط، وأن العالم قديم....

(2) قال الإمام الطحاوي رحمه الله: «والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالخشية والتُّقى، ومخالفة الهوى وملازمة الأولى»، (متون في العقيدة: ص96).

فصل

في بيان المبادئ العشرة لعلم الاعتقاد

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: في بيان المقصود بالمبادئ، وأن منها ما هو لتمييز العلم، ومنها ما هو للتحفيز إليه

المسألة الثانية: في تفصيل القول في المبادئ العشرة كل على حدة

[المسألة الأولى: في بيان المقصود بالمبادئ، العشرة وأن منها ما هو لتمييز العلم، ومنها ما هو للتحفيز إليه]

[أولا: في المقصود بالمبادئ العشرة وذكر من نظمها]:

بعد أن ألمحنا إلى المنهج الذي سَنَعْتَمِدُهُ والمصدر الذي سَنَرِدُه وأننا إن شاء الله سنتحدث عن العقيدة، وأن الغاية المرجوة من وراء ذلك هي:

1. تحصيل اليقين،
2. ودفع الشبه إن وجدت،
3. وإرشاد المسترشد،
4. وإفحام المعاند،
5. والرد على الخصوم[1]،

وهذه في الحقيقة فوائد جمة وثمرات واسعة، وسنحاول مستعينين بالله أن نقف عليها بتفصيلها، ولكن لا بد من مدخل يوقفنا على مبادئ هذا العلم الشريف، تلك المبادئ التي تشكل المقدمة إليه، والمدخل للولوج إلى رحابه، والتي توضح ما ينفع المتعلم قبل الشروع، وهي المبادئ العشرة التي يحتاج إليها الطالب ويستعين بها على الولوج والدخول في هذا العلم أو ذاك، وقد نظمها الإمام ابن زكري التلمساني[2] رحمه الله في

---

(1) تشكل هذه الخمسة أهم مقاصد الدرس العقدي عند علماء الكلام.

(2) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن زكري المانوي التلمساني المغراوي، ولد =

منظومته الشهيرة «محصل المقاصد مما به تعتبر العقائد» الذي نظم فيه مقاصد السعد التفتازاني فقال[1]:

فأول الأبواب في المبادي ... وتلك عشرة على مرادي
الحد والموضوع ثم الواضع ... والاسم الاستمداد حكم الشارع
تصور المسائل الفضيله ... ونسبة فائدة جليله
حق على طالب علم أن يحيط ... بفهم ذي العشرة ميزها ينيط[2]

مبادئ عشرة، لابد من توضيحها بخصوص هذا العلم الذي هو علم الإيمان، أو علم العقائد، أو علم أصول الدين، أو الفقه الأكبر، أو علم

=بمدينة تلمسان حوالي (830هـ) عاصر الإمام السنوسي، وكان بينه وبينه مجادلات كلامية وردود، توفي رحمه الله سنة تسعمائة للهجرة، له نُظُم ومؤلفات في فنون مختلفة منها: نظم محصل المقاصد مما به تعتبر العقائد، وبغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب، وغاية المرام في شرح مقدمة الإمام، وهو شرح مطول للورقات في أصول الفقه للجويني وغيرها، وله نظم في المبادئ العشرة التي تدخل ضمن نظرية المعرفة عند المسلمين «أو نظرية العلم» من مصادر ترجمته: كفاية المحتاج (1/125)، درة الحجال (1/ 90)، والبستان في ذكر من كان من الأولياء والعلماء بتلمسان، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية (1/ 386).

(1) شرح محصل المقاصد للتمنارتي: (ص219-220).

(2) وممن نظم المبادئ العشرة أيضا: أبو العرفان الصبان (ت 1206 هـ) صاحب الحاشية على الأشموني على ألفية ابن مالك فيما يلي:

«إن مبادئ كل علم عشرة ... الحد والموضوع ثم الثمرة»
«ونسبة وفضله والواضع ... والاسم الاستمداد حكم الشارع»
«مسائل والبعض بالبعض اكتفى ... ومن درى الجميع حاز الشرفا»

التوحيد.... كثُرَت الأسماء لشرفه، وسننبه إن شاء الله على وجه هذه التسميات المتعددة.

وهذه المبادئ ليست على درجة واحدة من المطلوبية، وليست على سوية واحدة في المقصدية، بمعنى أننا نميز في هذه المبادئ في درجة مطلوبيتها، بين ما يجب على الشارع في الفن، وبين ما يستحب له وما يندب إليه.

فالذي يجب من هذه المبادئ هو الحد، والموضوع، والغاية، والباقي يندب إليه:

«حد وموضوع وغاية تجب لشارع وسائر له نُدِب»

الواجب لطالب العلم أن يعرف الحد، والموضوع، والثمرة، وهي أجل ما في المبادئ، وسيأتي إن شاء الله بيان ذلك.

[ثانيا: في بيان أن من المبادئ ما هو للتمييز ومنها ما هو للتحفيز].

بعض هذه المبادئ يُقصد منه تمييز العلم في نفسه وفي موضوعه، أو في مصادره واستمداده، وبعضها لتحفيز طالب العلم لتحصيله، أو لنقل: بعضها للتمييز وبعضها للتحفيز، ومعنى التحفيز؛ تحريك دواعي الإقبال من الطالب إلى العلم والفن الذي هو بصدده، كإدراك الثمرة مثلا، فالإنسان إذا عرف ثمرة العلم وأدرك سموها، خف وسارع وبادر بحسب ما يعلم من

سُمُوِّها، وإذا عرف فضيلة العلم أيضا، وإذا عرف شرف الواضع، هذه أشياء تحفز الطالب وتحثه.

والحد، وبيان الموضوع، والاسم الخاص المميز، أشياء تميز المعرفة، لأنه لا يمكن للعلم أن يكون علما وهو لا يُمَيَّزُ بحدِّه ولا بموضوعاته، ولا اسمه ولا استمداده، ولا مصادره ولا مناهجه.

ثم لا يكون العلم علما والطالب له لا يرى فيه أي عائدة عليه تجعله أكثر تعلقا به، أو تجعله يُفرِّغ له من جهده ووُكْدِ زمانه وعمره، ما يكون كِفاءً لهذا العلم بحسبه، فلذلك حين نقول: هذه مبادئ العلم، يعني لا بد من توضيحها في مَبدئِه وقبل الشروع فيه، وأن محلها أن تكون في الصدر.

* * * *

[المسألة الثانية: في تفصيل القول في المبادئ العشرة كل على حدة]

[أولا: في أسماء هذا العلم وأن كثرتها تدل على جلالته وعلو مكانته]:

أول ما يُتَطَرَّق إليه ويُنظر فيه من هذه المبادئ: «الحد» وقبل الحدِّ لنتحدَّث عن «الاسم» المُمَيِّز، لأن أسماء العلوم أجناس تلاحظ فيها موضوعاتها، وأسماء الأجناس دالة على معان، وليست كالأعلام المجردة التي يقال فيها أسماء مرتجلة، فهذه أسماء منقولة، ويلاحظ فيها الأصل الذي نقلت منه، واسم الشيء ما يدل عليه بالإطلاق كَعَلَمِهِ، لو أخذنا الأسماء التي سمي بها هذا العلم[1] قديمًا، - ولا مشاحة في الاصطلاح إذا فهمت الحقائق -[2] نجدها في الجملة دالة على معان شديدة الصلة بالعلم الذي جعلت علما عليه ومنها ما يلي:

---

(1) قال في محصل المقاصد: شرح التمنارتي (ص 231).

فصل، لذا العلم من الأسماء ... ثلاثة هي بلا امتراء
علم الكلام وأصول الدين ... وعلم توحيد على يقين
كل من الأسما له مناسبة ... تبدو لمن عني بالمطالبة

(2) لا يبقى هناك مشاحة وهي نوع من التنازع في الألفاظ كما يقال: «فلان نزق الحقاق» معناه شديد الجدل في الصغائر (أشياء صغيرة) لكنه يتغافل عن الجواهر والأمور الكبيرة ولا يُوليها أي اهتمام ولا أي اعتبار، يقال في الذم =

[في وجه تسميته بـ«الفقه الأكبر»]

اصطلح عليه بـ«الفقه الأكبر»، وتسمت به رسالة أبي حنيفة التي نسبت إليه وشرحها الملّا على القاري بن سلطان[1] - وهو من أجل علماء الأحناف - ولم يبدِ أيّ تشكُّك لا في الرسالة ولا في الاسم، ووجه تسمية هذا العلم بالفقه الأكبر بينة، لأنه في مقابلة فقه الفروع، الذي يوافق الأحكام الشرعية العملية التي سبيلها الاجتهاد، أو التي تؤخذ من أدلتها التفصيلية. وفقه الفروع في أصله مُنبنٍ على فقه الأصول، ومفتقر إليه، فكان حريا بأن يسمى كذلك، - ولم يقل أحد بالفقه الأصغر - كما أن هذه التسمية (فقه الفروع) تدل على أن هناك فقها للأصول، أصول النظر ومناهج الاستنباط التي عليها مدار الأحكام والفتوى، لكن هذا «الفقه الأكبر»، وهو ما يسمى بعلم أصول الدين وهو قريب منه. إذا كان الدين وهو ما هو قمَّةً وجلالة، فأصله الذي يقوم عليه، ولا يتصور قيامه بدونه هو هذا العلم (علم أصول الدين)، في مقابل علم أصول الفقه.

= « فلان نَزِقُ الحقاق» فيه طيش في المطالبة بالحق بحيث يطالب بالحقوق الصغيرة وينسى الكبيرة، فلذلك إذا تَبَيّنت الحقائق فلا مشاحة في الاصطلاح. (استطراد من الشيخ حفظه الله في أثناء الدرس أحببت إثباته في هذا الهامش).

(1) هو نور الدين أبو الحسن علي بن سلطان القاري الهروي (نسبة إلى هراة بأفغانستان) المكي توفي رحمه الله سنة 1014 هـ، له مؤلفات كثيرة منها: أنوار القرآن وأسرار الفرقان، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، وشرح الشفا للقاضي عياض، وله هذا الكتاب الذي ذُكر وعنوانه مِنح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر». ترجمته في: خلاصة الأثر (3/185) وفي البدر الطالع (1/ 445). ورسالة الفقه الأكبر لأبي حنيفة تعد أصلا من أصول علم الكلام، وقد شرحها أيضا العلامة محيي الدين بن بهاء الدين (ت 956 هـ).

وسُمي فقها - وهو إطلاق دقيق - لأن الفقه في أصل الاستعمال والدلالة اللغوية يراد منه الفهم فيما يدق استخلاصه وفهمه، فهو أخص من العلم في مسألتين؛ العلم يطلق على العلوم، يقال علم كذا، العلوم كلها علم، لكن إذا أطلق الفقه انصرف إلى الفقه في الدين، ويكون فقها في فروعه، وفقها في أصوله، سواء أصول النظر، أو أصول الدين التي هي العقائد، يقال فَقُه إذا صار فقيها - وهذا في الإطلاق الاصطلاحي هو المجتهد في فروع الشريعة -، وفقِه الشيء إذا فهمه وحسن فهمه فيه، إذًا الفقه فهم المقاصد[1]، والفقه في الدين تحصيل الحكمة فيه ومنه، وفهم أسراره، كل هذه المعاني فهمت بإزاء كلمة فقه، ولا يقال «فقه» لمطلق المعرفة، فلذلك إذا جئنا لاستعمال القرآن لكلمة «فقه»، و«يفقهون» و«لا يفقهون»، نجدها استعملت في هذه الموارد ومنها قول الله جل في علاه ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: 122]، تَفَقَّه في الدين أي حصله وتخصص به، وتفقه فيه، حصل الفقه ملكة أو دراية ومعرفة، لكن ليس المراد بهذا الفقه فِقْهَ الفروع فقط، بدليل ما بعده، ﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾، فالفقه الذي تتحصل به خشية الله؛ والذي يجعل صاحبه مؤدٍّ لرسالته في الإنذار والتخويف من المعاد، ومن مؤاخذة الله على المخالفات، لا يمكن أن يكون هو الفقه الذي يجمع الفتاوى ويحصل الجدل الفقهي، - أبدا-

---

(1) من التعريفات المختصرة والبديعة للشيخ سيدي مصطفى حفظه الله في التفريق بين العقل والفقه قوله: العقل حفظ أصل المعنى، والفقه حفظ سر المعنى.

﴿ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ ﴾، وكأن الفقه هنا المراد به الفقه الذي يورث الخشية، ولذلك حين سأل أحد التلامذة الإمام الحسن البصري[1] رحمه الله ورضي عنه عن مسائل فأجابه، فقال الرجل: يا أبا سعيد، إن الفقهاء يقولون كذا وكذا، فقال له الحسن: «وهل رأيت بعينك فقيها، إنما الفقيه: الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، البصير بذنبه، المداوم على عبادة ربه»[2]، فحمله على معاني ترجع لسلامة النفس وتزكيتها، ولذلك جاء في تعريف الفقه: «معرفة النفس ما لها وما عليها لتزكيتها»[3]، فكأن الفقه كان في إطلاقه قبل أن يتخصص في الاصطلاح، ينصرف إلى العلم بالله الذي تقوم عليه تزكية النفس وتفتقر إليه، ويثمر

---

(1) ترجم له أبو نعيم في حلية الأولياء بما يلي (1/ 153): ومنهم حليف الخوف والحزن، أليف الهم والشجن، عديم النوم والوسن، أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن، الفقيه الزاهد، المتشمر العابد، كان لفضول الدنيا وزينتها نابذا، ولشهوة النفس ونخوتها واقذا، وقد قيل: إن التصوف التنقية من الدرن، والتوقية من البدن، للتبقية في العدن. وترجم له ابن حجر في تقريب التهذيب بقوله (1/193): الحسن بن أبي الحسن واسم أبيه يسار بالتحتانية والمهملة، الأنصاري مولاهم، ثقة فقيه فاضل مشهور، هو رأس الطبقة الثالثة، مات سنة عشر ومائة، قارب التسعين، روى له البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه، رتبته عند الذهبي «الإمام».

(2) الزهد للإمام أحمد رقم: 1516.

(3) ورد هذا التعريف في كليات أبي البقاء الكفوي (ص 690)، وجاء في تعريف الفقه عند الجرجاني في التعريفات (ص 170): هو الإصابة والوقوف على المعنى الخفي الذي يتعلق به الحكم، وقيل هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد، ومن تعريفاته: معرفة غرض المتكلم من خطابه.

لصاحبه خشية وإنابة، وقربا ومحبة، هكذا يطلق الفقه ويراد، ولذلك قال بعض أهل العلم إن هناك كلماتٍ وألفاظًا متداولة عراها بالتخصيص الاصطلاحي ما أفسد مذاقها، ومنها إطلاق الفقه، حيث صار يقال للأشد تعمقا وإحاطة بتفاصيل الفقه: هذا الأفقه، والحكمة في اصطلاحها حُرِّفت، فأصبحت تطلق على محصل الجدل، وكلمة الذكر أيضا، وكلمة علم، وكلمة توحيد، وغيرها من الكلمات؛ تعرضت لما جعلها تخرج عن المعنى المراد بالإطلاق الذي كان في العصر الأول في مثل هذه المسائل.

ووجه تسميته بالأكبر لجلالة موضوعه، ولكونه الأسبق والأصل لسائر العلوم الشرعية، قال أهل العلم في التوضيح: أحكام الشريعة تتوقف على التصديق بالشرع، والتصديق بالشرع يتوقف على التصديق بالنبوءة، والتصديق بالنبوءة يتوقف على صدق المعجزة، وصدق المعجزة يتوقف على معرفة الفاعل بالاختيار الذي هو الله جل جلاله، لأن من فعله المعجزة، وبعثة الرسل، ويدخل فيما يسمى بالجائزات الإلهية[1]، أي يجوز على الله أن يؤيد نبيه- يجوز ولا يجب عليه -، ويجوز أن يبعث الرسل ولا يجب عليه، ولذلك كانت البعثة منة وتفضلا إلهيا: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا ...﴾ [آل عمران:164].

فإذًا كلمة الفقه الأكبر تدل على طبيعة هذه المعرفة، وأنها معرفة تتعلق بأشياء ينبغي أن يوقف عندها بتمام الفطنة والتحري، فهي فقه يثمر خشية، ولا يمكن أن يكون فقها نظريا أو علما نظريا، وإنما علم يراد

---

(1) قال بن عاشر رحمه الله في المرشد المعين (ص8):

يجوز في حقه فعل الممكنات بأسرها وتركها في العدمات

للتزكية، «فقه» أي فهم المقاصد والوقوف على الأسرار، وهو «أكبر» لجلالة موضوعه، ولتعلقه بالذات العلية وصفاتها وأفعالها، وأحكام الرسالة، وأمور المعاد، كما سيجيئنا في تفصيل الموضوعات.

[في وجه تسميته بـ«علم التوحيد»]:

وهو أيضا «علم التوحيد» لأن أعظم موضوعاته «التوحيد»، فعُرف بأجلِّ موضوعاته وأعظم أركانه، كما قال النبي ﷺ: «الحج عرفة»[1] وهذا ليس معناه أن الموضوعات الأخرى ليس لها محل فيه، كبحث الرسالة، وبحث قضايا الغيب والبرزخ و...، وإنما التوحيد هو أجل موضوعاته، وتوحيد الله إفراده بما له من الكمال إقرارًا، ونزولا عند مقتضى ذلك تعبدًا.

[بيان وجه تسميته «علم العقائد»]:

وهو علم العقائد أو علم العقيدة، وهذا من أقرب أسماء هذا العلم اصطلاحا، وهذا اللون من ألوان الإطلاق لم يعرف في القرون الأولى، أو على الأقل الثلاثة الأولى، والمراد به الإشارة إلى نوع من المعرفة، وهي معرفة يطلب فيها الجزم، ولا تقبل الاحتمال، بمعنى أن الأمور الاحتمالية التي فيها طُروء شك لا تقبلها مباحث الاعتقاد، فهي

---

(1) رواه الإمام أحمد في المسند من حديث عبد الرحمن بن يعمر، برقم: (18774) و ابن ماجه، كتاب المناسك، باب الدعاء بعرفة، رقم 3015. والنسائي في مناسك الحج، باب فرض الوقوف بعرفة، رقم 3016: عن عبد الرحمن بن يعمر قال: «شهدت مع رسول الله ﷺ فأتاه ناس يسألونه عن الحج فقال رسول الله ﷺ: الحج عرفة، فمن أدرك ليلة عرفة قبل طلوع الفجر من ليلة جمع فقد تم حجه».

عقائد من العقد؛ الذي هو الربط المحكم حسا ومعنى، عَقَد الشيء ربطه حتى لا يُحل ويتلاشى ويتخلخل بدخول الخلل إليه[1]، واسْتُعير للجزم المعنوي، يقال (هذا عندي عقيدة)، فالجزم في العقائد شرط، هذا هو معنى العقد، ولصحة العقيدة يشترط فيها المطابقة للحق، أي الاعتقاد الجازم والمطابق، فيقال فيه حينها: «هذه عقيدة صحيحة»، لأن الاعتقاد عندهم قد يكون صحيحا وقد يكون فاسدا، والمراد أن العقائد الدينية يقينية، ويقال عقيدة بمعنى «فعيلة» أي معقود عليها كما تقول ذبيحة بمعنى مذبوحة، عقيدة أي معقود عليها، وهذا من الحذف والإيصال وهو من أساليب اللغة، معقود عليها فهي معقودة وعقيدة، أي معقود عليها بالجزم أي باليقين، فإن طابقت كانت اعتقادا صحيحا، فإن كانت عن دليل ارتقت إلى أعلى مراتب اليقين عند أهل العلم بالعقائد.

وبهذا يكون الاعتقاد الصحيح هو: «الإدراك الجازم المطابق عن دليل»، إذا زدت «عن دليل» ترتقي إلى أعلى مقامات المعرفة.

إذًا، يلاحظ في التسميات المتعددة أن بعضها ينبه على المرتبة: «فقه أكبر»، وبذلك كان حقه أن يكون أسبق:

---

(1) وقد عرفه الحرالي فيما نقله المناوي في التوقيف على مهمات التعاريف (ص563) بقوله: العقد هو توثيق جمع الطرفين المفترقين بحيث يشق حلها.. وقال الكفوي في الكليات (ص151): الاعتقاد في المشهور هو الحكم الجازم المقابل للتشكيك، بخلاف اليقين، وقيل هو إثبات الشيء نفسه، وقيل هو التصور مع الحكم.

«أول واجب على العبيد معرفة الرحمن بالتوحيد»[1]

فمرتبته أنه أول الواجبات العينية، إذ كيف تعبد من لا تعرفه؟ ولذلك حين سئل سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه عن قول الله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، قال: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾، أي ليعرفون[2]، ففسَّر العبادة بالمعرفة، لابد أن تعرف من تعبد، وأزيد: كيف

---

(1) البيت للشيخ حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، توفي رحمه الله في الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة 1377هـ بمكة المكرمة عن سن يناهز 33 سنة له مؤلفات في علوم مختلفة، منها في علم العقيدة: الجوهرة في العقيدة، سلم الوصول إلى علم الأصول، أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، وفي علم الحديث والفرائض: اللؤلؤ المكنون في أحوال السند والمتون، النور الفائض في علم الفرائض. ترجمته في معارج القبول بشرح سلم الوصول، (11/1). والبيت من منظومة سلم الوصول إلى علم الأصول في توحيد الله والرسول، يقول فيها:

أول واجب على العبيد معرفة الرحمن بالتوحيد
إذ هو من كل الأوامر أعظمْ وهو نوعان أيا من يفهمْ
إثبات ذات الرب جل وعلا أسماؤه الحسنى صفاته العلى

وفي ذلك قال ابن عاشر رحمه الله في المرشد المعين(ص5):

أول واجب على من كُلِّفَا ممكنا من نظر أن يعرفا
الله والرسل بالصفات مما عليه نصب الآيات

(2) في صحيح البخاري رضي الله عنه قال من كتاب التفسير: سورة «والذاريات» .. ﴿خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، ما خلقت أهل السعادة من أهل الفريقين إلا ليوحدون، وقال بعضهم: خلقهم ليفعلوا، فعمل بعض وترك بعض، وليس فيه حجة لأهل القدر... =

تعبد من لا تحب أيضا؟ فلذلك كان دائما المدخل إلى العقيدة معرفة، والنتيجة الإخبات لله والإنابة إليه والحب له، وهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام لما أجال نظره في ملكوت السماوات والأرض، وهو يريد من جهة أن يُعرِّفَ قومه بالأحق بالعبادة، ومن جهة أخرى يريد أن يزداد يقينا إلى يقينه؛ كما هو شأن الحنفيين كلهم[1]، قال عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة

= وفي النكت والعيون للماوردي (5/ 384، 385) قال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾، فيه خمسة تأويلات:

احدها: إلا ليقروا بالعبودية طوعا او كرها، قاله بن عباس.

الثاني: إلا لآمرهم وأنهاهم، قاله مجاهد.

الثالث: إلا لأجبلهم على الشقاء والسعادة، قاله زيد بن أسلم.

الرابع: إلا ليعرفوني، قاله الضحاك.

الخامس: إلا للعبادة وهو الظاهر، وبه قال الربيع بن أنس).

(1) قال النبي الكريم ﷺ: «نحن أحق بالشك من إبراهيم» أي الشك الذي يدفع إلى البحث لمزيد إيمان واطمئنان، وليس المراد هنا أصل الشك الذي يزلزل العقائد ويجعلها على الاحتمال المتساوي، أبدا؛ ليس هذا هو المراد، أو على تقدير إن يكن هذا الشك من إبراهيم إذ قال لربه: ﴿ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [البقرة: 259] قال ﷺ «نحن أولى» وقد أمرنا بإتباع إبراهيم وحنفيته قال تعالى: ﴿ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: 95] والملة في أصلها تطلق على العقائد، وتطلق أحيانا على الشريعة كلها وأحيانا على العقائد المملاة بالوحي، لأنه مَلّ إذا أمْلى، وهذا صحيح ﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ﴾ [البقرة: 281] يملّ أي يملي وكثيرا ما ينسى الناس أن مَلّ وأَمْلَى هما من أصل مادة واحدة، (من كلام الشيخ حفظه الله استطرادا في أثناء إلقاء الدرس).

والسلام «**لا أحب الآفلين**»[1] فيما حكى القرآن عنه «**فلما أفلت قال لا أحب الآفلين**»، فكيف أعبد؟ يعني لا أحب الآفلين، لأن الحب شدة التعلق بكمالٍ تَفرَّدَ، واقتضى بتفرده نوعا من الدّينونة منك لهذا الكمال المطلق. وفي ذلك قلت نَظْمًا:

اعرفْ ووحد ثم حِبَّ تِي الأصول خذها مراقيَ بها نيل الوصول

يتضح مما سبق أن بعض سُمى هذا العلم تنبه على رتبته وأنه أصل والأصول تسبق كما يقول صاحب المراصد:

«وهو أصل والأصول تسبق فروعَها فهي حقا أسبق»[2]

---

(1) القصة كما جاءت في القرآن الكريم هي قول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٦ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٨ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٩ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٨٠ ﴾ [الأنعام: 75-80].

(2) البيت من منظومة مراصد المعتمد في مقاصد المعتقد. لمحمد العربي بن أبي المحاسن الفاسي المتوفى سنة 1052هـ وشرحها الإمام أبي زيد عبد الرحمن ابن عبد القادر بن علي بن أبي المحاسن الفاسي (ت 1096هـ). وحقق هذا الشرح في أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في أصول الدين الطالب خالد الدرفوفي، تحت إشراف الدكتور محمد الروكي والدكتور محمد التمسماني، نوقشت الرسالة في الموسم الجامعي 2017 - 2018.

فتسميته «الأكبر» يفرض ألا يُقدم عليه الأصغر أو الأوسط إذا صح أن هذه المراتب موجودة، لا تُقدِّم عليه غيره لأن درجته الأكبر، ونوع المعرفة فيه عقائد جازمة، وتسميته «فقه»، لأنه أحد وجهي الربانية، وبها أُمِرْنَا لقول الله تعالى: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾[آل عمران: 77]، قال سيدنا ابن عباس رضي الله عنه لما سُئل عن معناها: «الربانيون هم الحلماء الفقهاء»[1] فجعل الفقه أحد وجهي الربانية، الفقه والحكمة وجهين لعملة الربانية، والربانية كالإلهية انتساب للرب والإله، فإذا شئت أن تكون إلهيا منتسبا لله، وربانيا منسوبا إلى الرب، فالمدخل الفقه والحكمة فيما يرجع لمعرفته.

فظهر إذن أنه ليس المطلوب فقط أن تدرك وأن تطلع، وإنما المراد أن تتفقه، والفقه إدراك المقاصد والوقوف على الأسرار، وهذه هي التي تشدك إلى الإله العلي الأعلى لتتقرب إليه فعلا، ولا يمكن أن تتقرب إليه أبدا، وأن تصل إلى درجة قرب وحب، والمعرفة لم تصل بعد إلى أن تكون محررة فقها وحكمة، يقال: الحكيم من أتقن العلم وحققه، وعمل به

---

(1) سبق تخريجه. وقال الماوردي في النكت والعيون (405/1 - 406): ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ فيه ثلاث تأويلات:

أحدها: فقهاء علماء وهو قول مجاهد. والثاني: حكماء أتقياء، وهو قول سعيد بن جبير. والثالث: أنهم الولاة الذين يربّون أمور الناس، وهذا قول بن زيد. وفي أصل الرباني قولان: أحدهما: أنه الذي يرب أمور الناس بتدبيره، وهو قول الشاعر:

وَكُنْتُ امْرَأ إلَيْكَ رَبَابَتِي ... وَقَبْلَكَ رَبَّتْنِي- فَضِعْتُ -رُبُوبُ

فسمى العالم ربانيا لأنه بالعلم يدبر الأمور. والثاني انه مضاف إلى علم الرب، وهو علم الدين، فقيل لصاحب العلم الذي أمر به الرب ربّاني.

وَفقه»[1]، إذن هي معرفة تراد منها ثمراتها وما يصاحبها من أحوال، وما تنتجه من معان في عالم القلب الذي ينبغي أن يكون عامرا بمادة المعرفة الإلهية، وبذلك استقامته قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: 11]، الإيمان يستقر في القلب فتنثال الهداية، وتنفتح طاقات النور على عالم الظهور، وتُشعُّ استقامةً في المسالك، وتُنبِت من كل زوج بهيج صلاحا وطُهرا، وحين تضعف العقيدة والإيمان، ويغيب الشهود وتغيب الرقابة، ويغيب الشوق، فيصبح الوهن في العبادة، وتبدو الآفات في

---

(1) عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: ضمني النبي ﷺ إلى صدره فقال: «اللهم علمه الحكمة». وفي رواية: «علمه الكتاب». رواه البخاري في كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر ابن عباس رضي الله عنهما (3756). وفي شرح هذا الحديث قال صاحب مرقاة المصابيح (10/ 525): (وعن ابن عباس قال: ضمني): بتشديد الميم أي أخذني (النبي ﷺ إلى صدره): إيماء إلى أنه منبع العلم ومعدن الحكم (فقال: «اللهم علمه الحكمة»)، أي: إتقان العلم والعمل. قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: 269] وليس المراد بها حكمة الفلاسفة، ففي النهاية: الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، والحكيم الذي يحكم الأشياء ويتقنها، وفي فتح الباري: واختلف في المراد بالحكمة ها هنا فقيل: الإصابة في القول، وقيل: الفهم عن الله، وقيل: ما يشهد العقل بصحته، وقيل: نور يفرق بينه وبين الإلهام والوسواس، وقيل: سرعة الجواب، وقيل: غير ذلك. قلت: لا منع من الجمع، قال الشاعر:

عبارتنا شتى وحسنك واحد ... كل إلى ذاك الجمال يشير

وفي كليات الكفوي (ص 382): الحكمة هي العدل والعلم والحكم والنبوة والقرآن والإنجيل، ووضع الشيء في موضعه وصواب المرء وسداده.

ثمرات الشجرة لأن الجذر مؤوف، (أصيب بآفة) لأن الثمرة تابعة للشجرة ولأصولها، فإذا دخلت الآفة في جذورها ظهرت على فروعها وسوقها، ثم تجلَّت في ثمارها بقدر ذلك، ولذلك ضرب الله تبارك وتعالى للكلمة الطيبة[1] ـ التي هي ترجمة للعقيدة ـ مثلا بالشجرة الطيبة، وهي النخلة بتفسير النبي ﷺ، أصلها ثابت، وفي وصف الثبات إشارة إلى معنى استقرار العقيدة، وكونها بعيدة عن كل ارتياب وشك، وفيه رسوخ الجذر العقائدي، والجذر الإيماني، والجذر المعرفي. وفرعها في السماء دليل استقامة، وكل ذلك يلاحظ في النخلة: فرعها يمتد وصولا إلى كمال الاستقامة، وما صورة كمال الاستقامة مثل النخلة في السماء علوا وشموخا وتعاليا عن السفاسف، ولهذا على المؤمن أن يكون على هذا النوع من الحضور في الواقع، رسوخا في الإيمان، واستقامة في المسالك على هذه الصورة: ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾ [إبراهيم: 27]، أخلاقا وفضائل، ونُظُم وحِكَم، ونفع وإيجابية، والإيمان مرتبط بهذا الثلاثي ارتباطا أكثر من

---

(1) وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم: 26 - 27].
والكلمة الطيبة قال فيها مجاهد وابن جريج هي الإيمان، وقال فيها عطية العوفي والربيع بن أنس: عنى بها المؤمن نفسه، وحكى بن أبي طلحة عن ابن عباس أن الكلمة هي الإيمان والشجرة الطيبة هي المؤمن. النكت والعيون: (3/ 132). وفي أن الشجرة المضروب بها المثل هي النخلة ما أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه من كتاب التفسير «سورة إبراهيم» باب: ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾، رقم 4698.

ثمرات الشجرة لأن الجذر مؤوف، (أصيب بآفة) لأن الثمرة تابعة للشجرة ولأصولها، فإذا دخلت الآفة في جذورها ظهرت على فروعها وسوقها، ثم تجلَّت في ثمارها بقدر ذلك، ولذلك ضرب الله تبارك وتعالى للكلمة الطيبة[1] ـ التي هي ترجمة للعقيدة ـ مثلا بالشجرة الطيبة، وهي النخلة بتفسير النبي ﷺ، أصلها ثابت، وفي وصف الثبات إشارة إلى معنى استقرار العقيدة، وكونها بعيدة عن كل ارتياب وشك، وفيه رسوخ الجذر العقائدي، والجذر الإيماني، والجذر المعرفي. وفرعها في السماء دليل استقامة، وكل ذلك يلاحظ في النخلة: فرعها يمتد وصولا إلى كمال الاستقامة، وما صورة كمال الاستقامة مثل النخلة في السماء علوا وشموخا وتعاليا عن السفاسف، ولهذا على المؤمن أن يكون على هذا النوع من الحضور في الواقع، رسوخا في الإيمان، واستقامة في المسالك على هذه الصورة: ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾ [إبراهيم: 27]، أخلاقا وفضائل، ونُظُم وحِكَم، ونفع وإيجابية، والإيمان مرتبط بهذا الثلاثي ارتباطا أكثر من

---

(1) وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم: 26 - 27]. والكلمة الطيبة قال فيها مجاهد وابن جريج هي الإيمان، وقال فيها عطية العوفي والربيع بن أنس: عنى بها المؤمن نفسه، وحكى بن أبي طلحة عن ابن عباس أن الكلمة هي الإيمان والشجرة الطيبة هي المؤمن. النكت والعيون: (3/ 132). وفي أن الشجرة المضروب بها المثل هي النخلة ما أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه من كتاب التفسير «سورة إبراهيم» باب: ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾، رقم 4698.

والنُطَف في ظهر أبينا آدم عليه السلام، الدِّين إذا بالكسر دَينٌ ثقيل، فلذلك اختير له الكسرة لأنها من أثقل الحركات، والدَّيْن الآدمي هو دونه وأخف منه، فاختيرت له حركة الفتح، ولأنه مما يلاحظ في الدِّين بالكسر انكسار المتدين وانقياده لجناب الله، والدَّين لغيرك عليك يعطيه عليك يدا مبسوطة، يقال: «لصاحب الدَّين مقالة»، ولذلك نتعوذ بالله من غلبة الدَّين وقهر الرجال[1]، الدَّين فيه علو الدائن والدِّين فيه انكسار المتدين، دان بالشيء تدين به واتخذه دِينًا، إذا كان الدِّين هو ما يجب أن تتدين به وتنقاد إليه، فأصل هذا الانقياد الاعتقاد.

فهذا العلم هو علم أصل التدين، كيف تتدين لإله لا تعرفه؟ والله يقول: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: 20]، ولم يقل فقط: «قل لا إله إلا الله»، وما جاء من القول فهو لا بد متضمن للمعرفة السابقة، اعلم ثم قل، وأَرفقَ بـ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ لما سبق أن بينت بأن هذا العلم فقه، ويرتبط بثماره وهي المرادة، والإنسان حين يعلم تفرُّدَ الله بالجلال الإلهي تفرُّدَ كمال واستحقاق، فإنه يحتقر كل فروض الطاعة التي يقدمها له، ويراها دون هذه العظمة، فقال: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ وأي ذنب لرسول الله ﷺ على تقدير أن الخطاب له عليه السلام؟ هل يعني ارتكاب المحرمات والآثام؟، حاشاه ﷺ، وإنما ما يلاحظه ﷺ من التقصير في جنب عظمة

---

(1) وذلك كما في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم 13304 من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال».

الله بقدر ما لاح له من جلال الله[1]، ولذلك النبي ﷺ عهدناه مستغفرًا إثر الطاعة، يسلم من صلاته ثم يقول أستغفر الله ثلاثا، وفي أعقاب الحج الترغيب في الاستغفار كما بإثرسائر الطاعات، وفي ذلك تنبيه إلى ألوان من الاستغفار والاعتذار.

إذًا علم أصول الدين والفقه الأكبر هو فقه يراد لثمراته، وهو فقه أكبر، ملحوظ فيه أكبرية موضوعه، وجلال المعرفة فيه، وأيضا عظمة هذه الثمرات التي تلوح على المتدين المنتسب، المنتمي الرباني، الفقيه الحكيم، وهكذا كان سلفنا الأوائل يُعرِّفون العلم بما تعلق بذات الله العلي أو بشؤونه أو بشيء مرتبط به، سئل سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه: «ما العلم؟» قال: «خشية الله» فنبه على الثمرة وقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:20][2]. وقال في تفسيره: «العلماء

---

(1) يرجع لمزيد تفصيل في هذه المسألة إلى ما قرره الشيخ حفظه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ..﴾ [الفتح: 2] في الدورة العلمية التي نظمها المنتدى الإسلامي بالشارقة تحت عنوان «إعرف نبيك».

(2) قال ابن عطية رحمه الله في المحرر الوجيز (4/ 437): وقال بعض المفسرين: الخشية رأس العلم، وهذه عبارة وعظية لا تثبت عند النقد، بل الصحيح المطرد أن يقال العلم رأس الخشية، وسببها والذي ورد عن النبي ﷺ أنه قال «خشية الله رأس كل حكمة»، وقال ﷺ: «رأس الحكمة مخافة الله»، فهذا هو الكلام المنير، وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية كفى بالزهد علما، وقال مسروق وكفى بالمرء علما أن يخشى الله، وقال تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ [الأعلى:10] وقال النبي ﷺ: «أعلمكم بالله أشدكم له خشية»، وقال الربيع بن أنس: من لم يخش الله فليس بعالم، ويقال إن فاتحة الزبور رأس الحكمة خشية الله. =

به»، فرجعت الآية إلى علم الاعتقاد، وقال سيدنا الهلالي رحمه الله[1] في النصيحة في نظم الطريقة الصحيحة:

= وقال ابن مسعود: كفى بخشية الله علما وبالاغترار به جهلا، وقال مجاهد والشعبي: إنما العالم من يخشى الله.

هو أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي (ت 1175 هـ)، قال سيدي المصطفى البحياوي في ترجمته: «هو العالم الرباني، والعارف القطباني، رئيس الأكابر، وفخر الأواخر، صاحب المناقب الثواقب، واسطة عقد اللآلئ، أبي العباس سيدي أحمد بن عبد العزيز بن رشيد الهلالي، من ذرية سيدي ابي إسحاق إبراهيم بن هلال الصنهاجي المجمع على إمامته، أفاض الله علينا من بركاته، وأسكنه بحبوحة جناته، مترجمنا من أعيان فقهاء المالكية، اشتهر بالورع والزهد، ولد بسجلماسة وتوفي بها، حج مرتين وأخذ عن علماء الحجاز ومصر، وألف كتابا عن رحلته، أثنى عليه أكابر، وشهد بفضله عارفون، كالشيخ البناني واللمطي وغيرهم، برز في علوم كثيرة كاللغة والنحو والمنطق والفقه والعقيدة وغيرها، وله نُظُمٌ وتآليف تدل على رسوخ قدم في العلم والعرفان، من ذلك: نظم النصيحة في الطريقة الصحيحة، والمقصد الأسنى في نظم الأسماء الحسنى، ونور البصر في شرح المختصر، وإضاءة الأدموس ورياضة الشموس في اصطلاح صاحب القاموس، والزواهر الأفقية في شرح القواعد المنطقية، وفهرسة في مشيخته، ومنظومات في الحمد والاستشفاع بنبي المجد، درّس علوما كثيرة وتخرج على يديه طلبة كُثْر، ممن ترجمه: الحُضَيكي في الطبقات والقادري في نشر المثاني وغيرهم، توفي رحمه الله سحرا في الحادي عشر من ربيع الأول سنة 1175 هـ ودفن حيث هو بجوار جده الولي الصالح الحاج علي بن أبي زينة بالقصر المعروف بـ«زاوية الحاج علي بن بوزينة» نفعنا الله ببركة الجميع بجاه النبي الشفيع».

وقد صدر مؤخرا للرابطة المحمدية للعلماء للأستاذ محمد صغيري كتابا بعنوان: أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي العالم الزاهد. جمع فيه ما تفرق من ترجمته في غيره.

والعلم ما أكسب خشية العليم فمن خلا منها فجاهل مليم
لأنه ميراث الأنبياء فلم ينله غير الأتقياء
لذاك قيل العلم يدعو العملا إن يُلفه قر وإلا ارتحلا
دليل ذاك إنما يخشى إلى العلماء لعموم انجلى[1]

قلت: وبعض الأسامي نبه على بعض موضوعاته كتسميته بـ«علم التوحيد» وهو أجل ما فيه، و«علم الكلام» نبه على ثمرة من ثمراته الفنية، وأنه يكسب صاحبه ملكة كلام وجدل لتصحيح الاعتقاد ورد شبه المبطلين[2]، وهذا من توجيهات تسميته بعلم الكلام، وقيل لأن من مباحثه تحقيق مسألة الكلام التي جاء الخلاف فيها، أي الكلام الإلهي الذي هو صفة له، وصلة القرآن بالكلام الإلهي في إشارة إلى مبحث ما يسمى بقدم الكلام، وما يذكره البعض من أن هناك من يقول إنه مخلوق، كما هو في عقائد المعتزلة ومن لف لفهم، وعليه سمي بعلم الكلام.

---

(1) التوشيحات الجلية على النصيحة الهلالية (ص41).

(2) فيعتبر هذا العلم بمثابة المنطق للفلسفة، لأن المنطق ملكة يكتسب بها النظر في الفلسفة، والإنسان ناطق بمعنى مفكر، والمنطق منهج يتعارف عليه الناظرون في مباحث الفلسفة، لذلك هنا علم الكلام هو العلم الذي يكسب صاحبه بالمران عندما يتعرف على دلائله بالتفصيل، وجوانب هذه الأدلة سواء كانت عقليَة أم نقلية، وكيف يطارح المخالفين، وكيف يرد على شبهاتهم، وكيف يفحم ويلزم، فيكتسب ملكة تجعله لا ينقطع أمام الخصوم، ولذلك سيأتي في مسألة الحكم أن هذا اللون من ألوان العلم يحتاج إليه أهل الإيمان، قال بعض أهل العلم إن هذا النوع ينبغي أن يكون في الأمة، معناه أنه يفرض على الأمة فرض كفاية لتبقي أو لتوجد فيها من هو محيط بهذا العلم على وجه التفصيل والكمال. (من توضيحات الشيخ حفظه الله).

[ثانيا وثالثا: في الحد والحكم[1] وأنه يختلف باختلاف الناظر في هذا العلم وإليه]:

يقال: الحد: «التعريف بالذاتيات»، أي ما يتركب من الجنس والفصل أي بما يميزه[2]، والعلوم تتمايز بموضوعاتها، فحده تبعا لرتبته، ولذلك تباينت تعاريف هذا العلم بحسب تباين مرتبته عند الناظرين فيه[3]،

---

(1) بعض التوضيحات المكررة من لدن الشيخ عند ختم الحديث عن استمداد العلم، قال حفظه الله: حكمه أنه بين عين وكفاية، لأن معرفة الله على وجه الجزم واجب عيني لا يمكن أن يعفى منه أحد خصوصا فيما يتعلق بما يجب لله وما يستحيل وما يجوز في حقه، أما كونه مع الدلائل بشيء من التفصيل الأول عقلا ونقلا، هذا يحب على من قدر عليه، ولمن دخلته الشبه أَوْجَب، وتفصيل الأدلة في خصوص ما يتعلق بالاعتقاد ورد الشبه، هذا فرض على الكفاية على الصحيح، وهي على حسبها في كل أمَّة في كل شيء، لابد أن يكون هناك متخصصون لتحصين عقائد الأمة من الشبه، سواء كانت من داخلهم أو من خارجهم، لابد، وحتى يستمر هذا اللون من ألوان التعاطي، والحمد لله أنه في كل زمان يوجد الله عز وجل قائما له بالحجة في هذه الأبواب.

(2) قال أبو البقاء الكفوي في الكليات (ص 390-391): حدُّ الشيء هو الوصف المحيط بمعناه، المميز له من غيره، وحد الحد: الجامع المانع الذي يجمع المحدود ويمنع غيره من الدخول فيه، والنهاية التي ينتهي إليها تمام المعنى. والحد تعريف الشيء بالذات، والرسم تعريفه بالخارج، كتعريف الانسان بالحيوان الضاحك. وعند الجرجاني في التعريفات (ص88): الحد: قول دال على ماهية الشيء، وعند أهل الله: الفصل بينك وبين مولاك كتعبدك وانحصارك في الزمان والمكان المحدود. والحد في اللغة المنع، وفي الاصطلاح: قول يشتمل على ما به الاشتراك وعلى ما به الامتياز. وهو أنواع: حد تام، ومشترك، وناقص.

(3) ولذلك ينبغي أن تزول حيرة الناظر في هذه التعاريف لتعددها بردها لهذا الاعتبار.

فأهل العلم منهم من اكتفى في العقائد بالتقليد، بمعنى أنه لا يجب في العقائد الإحاطة بالأدلة، أدلة كل عقيدة على حدة، بل يكفي أن تكون عاقدا عليها وموقنا بها، أي حصل عندك يقين بها، ولو بدليل جملي، ولو نقلي، وهؤلاء يعرفون هذا العلم بقولهم: «علم يبحث فيما يجب لله في ذاته وصفاته وأفعاله، وما يستحيل ويمتنع عليه، وما يجوز في حقه، وكذا ما يتعلق بأحكام الرسالة وما يجب في حق الرسل وما يمتنع عليهم من الوصف وما يجوز لهم، وأمور المعاد التي تسمى بالسمعيات، ومقدماتها التي تسمى بالسمعيات البرزخية التي لا سبيل لمعرفتها والتسليم بها إلا من طريق النقل، وإن يكن من دليل عقلي فهو الدليل الإجمالي المهيئ لإمكانية قبول هذه المعرفة، يقولون: لا يجب معرفة الدليل العقلي. وهذا نهجه السيوطي رحمه الله في «النُّقاية» وهوكتاب عرّف فيه بأربعة عشر علما باستثناء المنطق والحساب لأنه يقول: عفاني الله من هذين العلمين، وكان يكرههما فلم يعرف بهما ولم يدرجهما بين العلوم، وله شرح عليه. بعنوان «إتمام الدِّراية لقُرَّاء النُّقاية»[1]، ونجد مثل ذلك في رسائل معينة، فمثلا رسالة ابن أبي زيد القيرواني[2] في مقدمتها في العقائد، نجدها عارية عن

---

(1) قام بتحقيق الشرح جلال الدين قنبس تحت عنوان «أصول الدين»، وهو جزء من كتاب إتمام الدراية لقراء النقاية للسيوطي رحمه الله، ونص التعريف هو (ص 57، 58): «أصول الدين: علم يبحث فيه عما يجب اعتقاده» وهو يفرق بينه وبين علم الكلام، قال: أصول الدين بدأت به لأنه أشرف العلوم مطلقا، لأنه يبحث عما يتوقف صحة الإيمان عليه وتتماته، ولست أعني به علم الكلام، وهو ما يُنصب فيه الأدلة العقلية وتُنقل فيه أقوال الفلاسفة، فذاك حرام بالإجماع.

(2) أبو محمد عبد الله ابن أبي زيد القيرواني، إمام المالكية في وقته، وقدوتهم وجامع مذهب مالك، وشارح أقواله، وكان واسع العلم، كثير الحفظ =

الأدلة، لأنه هو أيضا يعرفه على أنه لا يجب فيه معرفة الدليل خصوصا الدليل التفصيلي، ونجده أيضا في صغرى السنوسي[1]، ونجده في الرسالة الطحاوية في العقيدة[2]، فهم يجردون العقائد[3]، المطلوبة والمنصوص عليها في الكتاب والسنة دون ذكر للأدلة، خصوصا الدليل العقلي، وقليلا ما تجد تنصيصا على الأدلة النقلية، وذلك لأنهم لا يوجبون أن يكون المعتقِد غير مقلد، وإنما أن يكون جازما بمعتقده، ويسمون هذه المرتبة

= والرواية، كتبه تشهد بذلك، كان يعرف بمالك الصغير، له تآليف نافعة، منها رسالته المعروفة في الفقه المالكي، ترجمته في: الديباج المذهب (1/ 427) وترتيب المدارك (4/35) رقم الترجمة: 1057 .

(1) أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر السنوسي الأصل، - نسبة إلى قبيلة بني سنوس بالمغرب - الحسني، (832هـ - 895 هـ)، اتفقت شهادة المعاصرين له ومن جاء بعده على إمامته، قيل فيه: «كان من أكابر الأولياء، وأعلام العلماء، وتآليفه تدل على تحقيقه وغزارة علمه، وعقائده الخمس وشروحها من أفضل ما ألف في الإسلام». ترجمته في: المواهب القدسية في المناقب السنوسية، و نيل الابتهاج بتطريز الديباج، (2/251 وما بعدها، ودوحة الناشر (ص:109) وغيرها من كتب التراجم.

(2) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الوراق الطحاوي المصري الحنفي، الإمام، العلامة، الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية، له تصانيف مثل: (اختلاف العلماء)، و(الشروط)، و(أحكام القرآن)، و(معاني الآثار)، (ت 239 هـ) ترجمته في: الفهرست: (ص: 292)، طبقات الشيرازي: (ص:142)، سير أعلام النبلاء: (15/ 27).

(3) اعتنى بهذه العقيدة المرحوم عبد الفتاح أبو غدة وقامت بطباعتها طبعات متعددة الخامسة منها سنة 1425هـ في رسالة مستقلة بعنوان «العقيدة الإسلامية التي يُنشَّأ عليها الصغار»، شركة دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان.

«مرتبة التلقين» ويجعلها بعضهم ضرورية للداخل في الإسلام، وكذلك الطفل ولمَّا تنضج بعدُ ملكاته، فهل ننتظر به حتى يستطيع أن يستوعب الأدلة؟ لا، بل لابد أن نلقنه العقيدة الصحيحة... فقيل هذه مرتبة التلقين وبها يعرف العلم بحسب مرتبته.

والمرتبة الثانية أو التعريف الثاني عند من لا يكتفي في العقائد بالتقليد، بل يقولون لا بد أن يكون مصحوبا بالدليل، فيعرفونه بأنه «العلم بالعقائد الدينية عن أدلتها اليقينية» يعني العلم الناشئ عن الأدلة اليقينية، وهذا نجده في كثير من الكتابات منها مقدمة نظم ابن عاشر[1] في التوحيد حيث فصل الأدلة العقلية لكن بشكل يقرب إلى الإجمال منه إلى التفصيل[2]، ونجده أيضا في وسطى السنوسي بل حتى في جانب من كبراه، حيث نجد بعض الأدلة مفصلة لذلك.

ثم المرتبة الثالثة وهي تقرير العقائد بأدلتها بقوة تجعله في مظنة رد الشبه وحل الشكوك، ومعناه تفصيل لدرجة إيراد شبه المخالفين

---

(1) هو أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن عاشر الفاسي. العالم العلامة، المتفنن الأبر المجاهد، (ت1040 هـ)، ترجم له تلميذه الشيخ محمد بن أحمد ميارة المالكي في الدر الثمين والمورد المعين ترجمة مفيدة (ص:8- 9). وعلى هذه الترجمة اعتمد من ترجم له مثل المحبي في خلاصة الأثر (96/3).

(2) قال ابن عاشر رحمه الله في: المرشد المعين (ص:05)

مقدمة لكتاب الاعتقاد معينة لقارئها على المراد

وحكمنا العقلي قضية بلا ... وقف على عادة أو وضع جلا
أقسام مقتضاه بالحصر تماز ... وهي الوجوب الاستحالة الجواز
فواجب لا يقبل النفي بحال ... وما أبى الثبوت عقلا المحال
وجائزا ما قبل الأمرين سم ... للضروري والنظري كل قسم

مفصلة، وضلالات المنحرفين في الاعتقاد والرد عليها بتفصيل، وهذه الدرجة الثالثة تجدها في محصل الرازي[1]، وتجدها في مقاصد السعد التفتازاني[2]، تجد الأدلة العقلية والأدلة النقلية مفصلة على هذا النحو في كتب الكبار من علماء العقيدة، وهذه المرتبة الأخيرة لم يقل أحد أنها واجبة على الأعيان أبدا، وإنما الخلاف، هل وجوبها على الكفاية، أم أنها من قبيل ما يستحب أن يحفظ من العلوم، وأن يكون في الأمة من يقوم به ويحفظه؟، فابن رشد[3] قال: «لا تتجاوز درجة الاستحباب»، بينما الإمام ابن عرفة التونسي[4] يقول: «هي فرض على

---

(1) الإمام فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي البكري الرازي، الشافعي، الأشعري، شيخ المعقول والمنقول،صاحب التصانيف المشتهرة منها، مفاتيح الغيب، وتأسيس التقديس، والإشارة في علم الكلام، والمحصول في علم أصول الفقه وغيرها (543 -606 هـ) من مصادر ترجمته: طبقات الشافعية الكبرى رقم الترجمة 1089 (8/81)، وفيات الأعيان (4/248)، البداية والنهاية (13/48).

(2) مسعود بن عمر التفتازاني، العلامة الكبير؛ من مؤلفاته: «شرح التلخيص»، و«شرح العقائد في أصول الدين»، و«المقاصد في أصول الدين وشرحها»، وله غير ذلك من التصانيف في أنواع العلوم، انتهت إليه معرفة علوم البلاغة والمعقول بالمشرق بل بسائر الأمصار، (ت 792 هـ) ولم يخلف بعده مثله وكان مولده سنة 712 على ما وجد بخط ابن الجزري. الدرر الكامنة (6/113).

(3) أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المشهور بابن رشد الجد (450 هـ 520هـ) شيخ المالكية وقاضي الجماعة، له: البيان والتحصيل، والمقدمات والممهدات، وغيرها. ترجمته في: سير أعلام النبلاء (19/ 501)، شجرة النور الزكية (1/ 139) أزهار الرياض (3/59).

(4) ابن عرفة، محمد بن عرفة، أبو عبد الله الورغمي، التونسي، شيخ الشيوخ =

الكفاية»[1]، بمعنى أنه ينبغي أن يكون في الأمة من يعرف الرد على الشبه مهما دَقَّت، حتى الشبه المستحدثة، من مثل شبهات الماديين والماركسيين، والدياليكتكية المادية، وما في ذلك من شبه للملاحدة التي يتعلقون بها، لا بد من أن يكون في الأمة من يتصدى لذلك ويرد عليه، ولا يطالَب عموم الناس به، ولذلك جاء الخلاف في المقلد في الاعتقاد، هل هو كافر، أو عاص، أو ليس كافرا ولا عاصيا؟ وهذا هو الذي رجحه الأئمة لكن بشرطين، أحدهما أساسي والآخر احتياطي:

الشرط الأساسي: هو أن لا يكون عنده شك في معتقده، لأنه إن ورد عليه شك وجب أن يدفعه بالدليل.

= وبقية أهل الرسوخ، له: المختصر الكلامي، والمختصر الفقهي، والمختصر المنطقي، وكتاب الحدود وغيرها، (ت 803 هـ) من نظمه قرب وفاته رحمه الله هذه الأبيات التي ذكرها الرصاع في شرحه لحدود ابن عرفة (ص 709):

بلغت الثمانين بل جزتها ... وهان على النفس صعب الحمام
وآحاد عصري مضوا جملة ... وصاروا خيالا كطيف المنام
وأرجوا بها نيل صدر الحديث ... بحب اللقاء وكره المقام
وكانت حياتي بلطف جميل ... لسبق دعاء أبي في المقام

والحديث الذي أشار إليه هو قول رسول الله ﷺ: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. (البخاري كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، رقم 6507 - 6508). ترجمته في: الديباج المذهب (2/ 331) وغاية النهاية في طبقات القراء (2/ 243)، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع (9/ 240) وتوشيح الديباج (رقم 277 ص 239).

(1) المختصر الكلامي، ص: 79.

والشرط الاحتياطي: أن يكون عنده دليل جملي لعقائده، ولو نقليا، وهذا موجود - والحمد لله - في ديار الإسلام.

فتجد عموم المسلمين يستدلون لعقائدهم بأدلة نقلية، وذلك حتى لا نكفر المسلمين.

[فائدة في بيان خطورة التكفير وخصوصًا تكفير المُعَيَّن]:

فنحن لا نقبل بالقول بأن إيمان المقلد لا يصح منه، وهو به كافر ومخلد في النار على قول بعضهم[1]، وليس من مذهبنا. وإنما هذا مذهب المكفِّرة، ونعوذ بالله من أن نحكم بكفر واحد من أهل القبلة، خصوصا إذا كان على التعيين، لأن تَكفير المُعَيَّنِ خطير، فالإنسان قد يُكَفِّرُ على الصفة، يقول من يعتقد كيت وكيت يُحكم بكفره، لكن من يريد أن ينزل على واحد الحكم بالكفر، كم يحتاج من الاحتياطات التحريات.

في حين أن إدخاله في الإسلام يكون بالأدنى، وهذه سنة النبي ﷺ، فحينما أراد أن يحرر الجارية قال لها سؤالًا واحدًا، وهو «أين الله؟» فقالت له: «في السماء»[2].. سؤال واحد يجعلها تدخل في الإسلام، ولو فرضنا تتابع الأسئلة لأوصلناها إلى العجز. وكان ﷺ يقبلُ من الداخل في

---

(1) للشيخ سيدي أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي (ت 1155هـ) رسالة عنوانها: «رد التشديد في مسألة التقليد» حققها الأستاذ عبد المجيد خيالي فيها بيان للقائلين بالقولين. ومن عباراتها (ص 49): «وكما أن المقلد ليس بكافر فهو ليس بعاص أيضا بترك النظر...».

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته، رقم 537.

الإسلام أن يقول: «لا إله إلا الله» حتى وهو في مَظِنَّة التحايل والنفاق، ويقول لمن لم يقبلها: «أقتلته بعد ما قالها، كيف بك إذا جاءت يوم القيامة تخاصمك؟»[1]، والرجل المعروف كما - في صحيح البخاري - الذي قال لرسول الله ﷺ وهو يَقْسِمُ: اعدل يا محمد، وهذا شك في النبوءة، وهو أمر ظاهره التكفير، فقال عليه السلام: «ومن يعدل إذا لم يعدل محمد»، يعني: الذي بُعث لإقامة العدل وليقوم الناس بالقسط، كيف لا يعدل، فلما وَلَّى الرجلُ قال أحد الصحابة: «دعني يا رسول الله أقتله»، قال ﷺ: «لعله يصلّي» في رواية وهي في الصحيحين[2]. وعليه، فالأمر في التكفير غير الأمر في الدخول، وهذه مناهجٌ في الدعوة والبلاغ لابد من حفظها.

نعود لمسألة الحد والتعريف لنقول: اختلفت الحدود التعريفية لهذا العلم لاختلاف المحدود ومرتبته، فإذا كنا بصدد الشريحة العريضة فإننا نقول «ما يجب اعتقاده في الله ورسله وشؤون الغيب على وجه الجزم»،

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحُرُقات من جهينة برقم 4269، وفي كتاب الديات باب قول الله تعالى ﴿وَمَنَ اَحْيَاهَا ...﴾ قال ابن عباس: من حرم قتلها إلا بالحق: «فكأنما أحيا الناس جميعا» برقم 6872. ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله برقم 159.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام وخالد بن الوليد رضي الله عنه إلى اليمن قبل حجة الوداع، رقم 4351، ومسلم في صحيحه في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، برقم 142 - 1063.

بمعنى اعتقاده والجزم به جزما مطابقا لما عليه الدليل، فالمطابقة حاصلة، ثقة في الذين سطروا هذه العقائد من الكتاب والسنة، فإذا كانت عقيدته التي اعتقدها مطابقة لما عليه الأمر كانت صحيحة، وهذا إنما يُعرَف بما سطره أهل العلم بهذا الشأن، إذ لا يمكن أبدا أن يأخذ الإنسان دائما الشيء عن نفسه ويجمع عقيدته وحده، بل لابد من أن نثق بأهل العلم في هذا الأمر وفي أمر أخذ الفقه وغيره...، كما لا يمكن أن تقول في الأشياء كلها، سَأَبْنِي وجودي وحدي، وسأبدأ من الصفر في كل شيء، هذا نزوع لا يقبل أبدا.

والمرتبة العليا بالاعتبار؛ والواجبة على الكفاية عند بعضهم، وعلى الاستحباب عند البعض الآخر، هو هذه التي يكون صاحبها مرجعا في عقائد الدين، وجازم بها لدرجة أنه لا يخشى فتنة ولا طروء شبهة ولا نحوها، لأنه إذا خشي ذلك حَرُم التعاطي حتى للدليل المفصل، قال أهل العلم: «فإن خشي المتعاطي للأدلة طروء شك في عقيدته حرم عليه»[1]، فالناس مختلفون في تصوراتهم وقدراتهم، والنبي ﷺ جاءه رجل فقال: يا رسول الله، إني ترد علي خواطر لو قلتها أو قلت بها لكفرت، في رواية

---

(1) قال في محصل المقاصد. شرح التمنارتي (ص260 -261).

فصل وحكم الخوض في ذا العلم ... وفي الأدلة بحسن الفهم
والرد للشبه باعتناء ... فرض كفاية بلا امتراء
يحمله الراسخ في الأصول ... وفي فنون العقل والمنقول
وما به يخرج من تقليد ... فرض معين بلا تحديد
يحصل المطلوب أيسر النظر ... يعصي بتركه مكلف قدر

-يستعظم أن يقول ذلك-، فقال ﷺ: «أوجدتموه» - يعني الوسوسة وهو ما ترْجمَ به الإمام مسلم في صحيحه: «باب الوسوسة في الإيمان» أوجدتموه؟ ذاك محض الإيمان»[1]، وهل معنى هذا أن محض الإيمان هو الشك والوسوسة؟ لا، إنما هذا اللون من ألوان الصراع مع الشك الطارئ هو الذي يمحِّص إيمانك، كما في قول الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الحجرات: 3] لتصفوا وتخلُص، فالشك ليس هو الإيمان، وإنما كونه يرى بعد التّبين أن هذا لا يليق ولا ينبغي، ولا يتناسب مع عظمة الله ولا مع جلاله، لكنها خواطر، والشيطان لا يفتأ يورد عليك الشبهات، حيث قال عليه السلام: «لا يزال الشيطان بأحدكم يقول هذا خلقه الله هذا خلقه الله فمن خلق الله، فإذا وجدتموه فاقرؤوا عليه ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ..﴾[2] معناه ذكِّروه بأصول الاعتقاد، لأنه يريد أن يستدرجك إلى أن تقيس سنن الخلق على الخالق، فتنسى أصل: أن الله

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، رقم 132.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، رقم 135. والرواية التي فيها الأمر بقراءة سورة الأخلاص هي عند النسائي في السنن الكبرى، عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يوشك الناس أن يتساءلوا بينهم حتى يقول قائلهم: هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله؟ فإذا قالوا ذلك فقولوا: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص]، ثم ليتفل عن يساره ثلاثا، وليستعذ بالله من الشيطان». وقال عمرو: ثم ليتفل عن يساره ثلاثا وليتعوذ من الشيطان.

مخالف للمحدثات، وأنه لا تجري عليه قوانين خلقه، ولا ما يحدث للمحدثات من بدائع صنعه[1].

إذا كانت مسألة «الاسم» من مسائل المبادئ العشرة للعلوم حتى يُعْرَف العلم بما يميزه على مستوى المصطلح ويكون عَلما عليه، والحد حتى يَعْرِف المتعاطي لهذا العلم ما هو أجنبي عن العلم، وما هو منه، وما هو مندرج ضمنه، وحتى يصونه من أن يضيع جهده خارج الموضوعات غير المنتمية لهذا العلم باعتبار حده، فما هي موضوعاته؟

[رابعا: في موضوع علم العقائد[2]]:

تدرس موضوعات العلوم ضمن المبادئ العشرة، بل تعتبر واجبة على الشارع في كل العلوم كما سبق، لأن العلوم لا تتمايز بالذوات وإنما بموضوعاتها، سواء كان هذا التمايز الموضوعي ذاتيا أم كان اعتباريا، وهذا

قال ابن عاشر رحمه الله في المرشد المعين، (ص 7):

كتاب أم القواعد وما انطوت عليه من العقائد

وخلفه لخلقه بلا مثال ... ووحدة الذات ووصف والفعال

والله يقول وهو أصدق القائلين: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:٩].

قال ابن زكري رحمه الله:

موضوع ذا العلم الوجود المطلق ... في رأي المعلوم ذا المحقق

وقيل ذاك ماهيات الممكنات ... دلت على موجدها مع الصفات

ومن رأى موضوعه ذات الخالق ... يرد قوله برد فائق

نظم الفرائد ومبدي الفوائد لمحصل المقاصد (ص253).

له أمثلة كثيرة[1]، ومما تمايز بالذات علم الاعتقاد، فموضوعه مختلف، وهو على الأصح إما الممكن، وإما المعلوم، وإما ذات الإله العلي الأعلى -التي هي أعظم المعلومات وأول من تسمى بالموجود الحق جل وعلا- وصفاته وأفعاله، وذوات رسله وصفاتهم وأفعالهم، فيما يجب ويستحيل ويجوز، ومستتبعات ذلك من أمور المعاد، ولا تضارب ولا تدافع بين هذه التحديدات في موضوع الفقه الأكبر.

فالممكن -وهذا اصطلاح في العقائد عند المتكلمين- البحث فيه باعتباره موضوعا لعلم الاعتقاد من حيث دلالته على الواجب، والواجب واحد من حيث الوجود وهو الله جل جلاله، الذي وجوده من ذاته، أي وجوده ذاتي، أما وجود غيره فممكن، ويترجح بإيجاد الله الواجب، فالله تبارك وتعالى لو شاء لما كان هذا الوجود، -ومنه وجود الإنسان- ولكن شاء فجعله موجودا، أما في الأصل، لم يكن لك منك ترجيح بنفسك، الله هو الذي رجح وجودك على عدمك، ورجح تخصيصك بأمور بإرادته، كأن تكون إنسانا لا حيوانا، وأن تكون في هذا الزمن دون سواه، وهذه الجهة دون غيرها... فالبحث في الممكن؛ أي في العالم كله من حيث دلالته على الله الواجب، وامتناع أن يكون هذا الممكن من غير الواجب، بحث في العقيدة لأنه يبحث في الدلائل المؤسِّسَة في قضية الوجود الأعلى.

---

(١) وموضوع أي علم هو ما يتناول أعراضه الذاتية، ويعنون بالأعراض الذاتية «ما يَلحقه لذاته» حتى تخرج الأشياء التي تلحق باعتبار ما، وذلك كأن تكون جزءا منه أو خاصية فيه أو من لوازمه الذاتية. (المؤلف)

والقول بأن موضوع علم الفقه الأكبر هو المعلوم، وهو أوسع من الممكن لأنه يشمل البحث في الواجب والمستحيل والجائز، وهذه الثلاثة صفات للحكم العقلي[1] إزاء موجودات ممكنة أو لا يجوز إمكانها، لا يجوز أن تكون أو أنها محتملة أن تكون أو لا تكون.

والمعظم على أن أوضح الموضوعات ما تعلق بالبحث في ذات الله جل وعلا وصفاته وأفعاله، وذات رسله وصفاتهم وأفعالهم، والبحث في هذه الجوانب الثلاثة وما يتبع ذلك لا يخرج عن البحث في المنطلق عن هذه الأشياء، نقول هذا يجب في حق الله، وهذا يمتنع وهذا ممكن في جانب الله، وهكذا بالنسبة لرسله واجب في حقهم ثابت لا يتصور زواله، أو لا يتصور انعدامه، وهذا مستحيل لا يجوز أن يكون منهم، وهذا جائز في حقهم، ولذلك قال ابن حمدون السلمي[2] رحمه الله في منظومته في التوحيد:

«موضوعه ذات الإله الأعلى والوصف والفعل الأجل فعلا»
«وذات رسله الكرام مثل ما»

أي في الجوانب الثلاث ذواتهم وصفاتهم وأفعالهم.

---

(1) قال ابن عاشر رحمه الله في المرشد المعين (ص: 5):

وحكمنا العقلي قضية بلا وقف على عادة أو وضع جلا
أقسام مقتضاه بالحصر تماز وهي الوجوب الاستحالة الجواز

(2) أبو محمَّد عبدالله ابن عبدالرحمن ابن حمدون ابن الحاج السلمي النجاري الفاسي: الشيخ الفقيه العلامة النزيه البركة الصالح، (ت 1213هـ)، ترجمته في سلوة الأنفاس (5/ 3-7) وشجرة النور الزكية (1/ 535).

[خامسا: في ثمرة علم الاعتقاد]:

سبقت الإشارة إلى أن جلالة الموضوع وسمو الثمرة، تعطينا فضيلة العلم، ولذلك ننتقل إلى توضيح الثمرة، وذلك لأنه لا يمكن فصل علم العقيدة عن ثمرته، وفصله عنها يوقعنا في متاهات، ويصرفنا عن المقصد الأعلى من هذا العلم أو من درس العقيدة، والنبي ﷺ وعلى آله في إيجاز وإعجاز يوضح هذه الصلة حين يقول «أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية»[1]، فيربط بين العلم وبين ثمرته التي هي الخشية، والله تبارك وتعالى أيضا حين يقول منبها المنحرفين عن الأصول في قوله: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿13﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿14﴾﴾ [نوح: 13-14]، يربط بين دليل المعرفة وآياتها وهو الخلق في أطوار، فحين تنظر في نفسك وكيف نشأت، وإن كان جانب من هذا غيب، ولكن غيب تحت نظر مماثلك، فالأم تحس بجنينها، ولو نظرت إليه بالآلات اليوم لرأت العجب ولقرأت آيات: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: 6]، وهي تحس- وإلى اليوم - بجنينها يتحرك دون إرادتها، ويأخذ أشكالا دون اختيارها، والأب إلى جوارها مُسلِّم لما يرى من القدر العلي، -آمن أو كفر- لا التفات إلى كفره وإيمانه بخصوص قدر الله الجبري، ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ﴾، قد يجيء سِقْطًا وقد يجيء تماما، وقد يجيء ملونا بلون ليس على المقاس، واليوم كُشف من العلم على مستوى الخلية الأولى للحياة، والمكونة من

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ أنا أعلمكم بالله (رقم 20).

الحيوان المنوي والبويضة حين يجتمعان يتكون كائن من جينات وصبغيات وكرموزومات، تقرأ فيها أشياء من علم الله عبارة عن شيفرات رسم فيها مقاسك وطولك، وصحتك وعافيتك، وملامحك وقسماتك... ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾. «هو»: ضمير الاختصاص الذي يدفع كل ادعاء للشركة في الفعل وإلى اليوم.

إذًا، اجتمع في علم العقائد سمو الموضوع وعظمة الثمرة، فالموضوع كما سبق ذات الله وصفاته وأفعاله.... وثمرته هي المعرفة بالله وصفاته وأفعاله من خلال ما نصب من الآيات المزدوجة، آيات في الذكر، وآيات في الفكر، صورتها وعِيَانُها هذه الآيات اللاحبة، ولذلك القرآن الكريم دائما يسمي دلائل التنزيل آيات، ويسمي دلائل الوجود آيات: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 163]، ويقول تبارك وتعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 49]، الكل آية، هذه كلمته، وتلك صنعته.

والآية حين تطلق في لسان القرآن تعني الكمال المطلق الذي يشد نظر الناظر إليه، ولا يمكن أن يكون الدليل آية حتى يكون كاملا في نفسه، وفي دلالته على ما نصب له، ولذلك تطلق الآية على المعجزة الكافية في بابها: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: 51]، ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت: 49]، ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الشعراء: 197]، أي في مقام إقامة الحجة وقطع لسانِ الاعتراض.

[سادسا: واضع علم الاعتقاد]:

يزيد من شرف الموضوع الحديث عن الواضع، والواضع بحسب الأصل - الذي وضع العقيدة وأسسها- هو الوحي، أي الله جل جلاله من خلال الوحي للنبي ﷺ، ففي الكتاب - القرآن الكريم- نجد في أوائل ما نقرأ منه: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ حديث القرآن عن الله وما تفرد به، ربوبيةً للعالمين ورحمةً وملكًا.

فعلم التوحيد علم قرآني، وعلم نبوي بامتياز، وهذه أصوله في الكتاب والسنة، حيث نجد في القرآن حديث عن الدلائل من مثل ما يسمى بـ«دليل التمانع» الذي أخذه المتكلمة من قول الله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: 22]، ودليل الاقتران من قول الله: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: 42]، اقتران تعدد الآلهة بتنازع الإرادات. ودليل رفض الصِدفة - بالكسر على الصحيح- وكون العدم لا يلد الوجود من قول الله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الطور: 33]، ودليل الانطلاق من الكيف لإدراك السر، وأن الكيف يحيل عِلْمًا على مسائل التوافقات والأنساق والنظم، وهذه قمة الحكمة التي تُحِيلُكَ على فعل الحكيم:

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿17﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿18﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿19﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية: 17-20]، وبحوث العلم بحوث في الكيف، والبحث في الكيف يحيلك على المقادير والوظائف، كيف كان أنفك منك، موضوعا في هذه النقطة بالذات دون غيرها، وبهذا الشكل الطويل، وبمادة لا عظم ولا لحم، وبحرارة على مستوى معين، وبشعيرات دموية تُبقي على التكييف حتى تدفع النزيف، كيف يمكن أن يكون هذا ضربة لازب ونشؤا من عدم ... تعالى الله عن قول الأفَّاكين، وقتل الخراصون.

القرآن وهو يحدثنا عن الله، سما إلى مقام لا يمكن أن يسمو إليه أحد، حتى قال بعض الذين عكفوا على القرآن بعد ما كانوا غافلين عنه: «أضعنا جانبا من انشغالاتنا بآليات هي دون عمق هذا الكتاب»، نعم قد تكون تلك الأليات في خدمة هذا الكتاب، ولكن قد تتحول إلى حجاب حين تصدك عن الثمرة، وحين تفصلك عن الكتاب، وتجد أحيانا سفرا من أسفار الجدل خاليا من آية واحدة، ومن حديث واحد، وهذا فيه غلو مرفوض في جانب التعاطي مع مباحث العقيدة.

يقول أهل العلم: نحتاج إلى حديث عن واضعٍ بالمعنى الفني، وهذا كما في كل العلوم، فمثلا حين يتكلمون عن النحو، - والنحو العربي هو في العربية سليقة، والواضعون له هم العرب، وما كان عليه شعرهم ونظمهم ونثرهم- ولكن الذي وضع الأصول الأولى فلان: أبو الأسود الدؤلي أو يحيى بن يعمر أو....

وكذلك في علم العقائد يقولون: الذي تصدى وتخصص، وأفرد بالتدوين في مسائل العقيدة لإظهار عقائد أهل السنة في وجه الذين يرفضونها ويتشككون بها - من الفرق التي هي داخلة في الدائرة الكبرى من المعتزلة وغيرهم -، فدافع عنها (عن عقائد أهل السنة من المثبتة)، وحلل دعاوى خصومهم، وحاول أن يجتث الشبه من أصولها، معظم الذين بحثوا في العقيدة يقولون: هو الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رحمه الله[1]، إلا أن بعض أهل العلم يقول: لا نشك في إمامة الرجل وفي تفرده بخصائص، وكون ما كتب في علم العقيدة والدفاع عنها نيف على الثلاث مائة كتاب معظمها ضائع، المنشور منها «مقالات الإسلاميين» و«الإبانة عن أصول الديانة» عند من صحح نسبتها وبعض الرسائل الصغرى، يقولون سبقه القلانسي[2] من المثبتة، بل وسبقه من قبله بزمن قليل أبو منصور

---

(1) أَبُو الحَسَن الأَشْعَري، علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن، من نسل الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري: مؤسس مذهب الأشاعرة. كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين. ولد في البصرة. وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ثم رجع وجاهر بخلافهم. توفي ببغداد سنة 334 هـ. قيل: بلغت مصنفاته ثلاثمئة كتاب، منها «إمامة الصدّيق» و«الرد على المجسمة» و«مقالات الإسلاميين» و«الإبانة عن أصول الديانة» و«استحسان الخوض في الكلام». و«اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع» يعرف باللمع الصغير. من مصادر ترجمته: كتاب «تبيين كذب المفتري، فيما نسب إلى الإمام الأشعري» لابن عساكر، وطبقات الشافعية (3/ 223)، والبداية والنهاية (11/ 155)، وترتيب المدارك (3/ 26) وغيرها.

(2) أبو العباس أحمد ابن عبد الرحمن بن خالد القلانسي الرازي، من معاصري أبي الحسن الأشعري رحمه الله، من جملة العلماء الكبار الأثبات واعتقاده =

الماتريدي[1]. إلا أنه كان في جهة أخرى وانتشر مذهبه في العقيدة فيما وراء النهر، في المناطق الأسيوية.. وهما في الحقيقة (أي الأشعري والماتريدي) من حيث الزمن متعاصران، فالأشعري توفي في 334هـ والآخر في 333هـ بينهم سنة واحدة، والخلاف بينهما لا يتجاوز أصابع اليدين، وقد أفرد الإمام السبكي في «طبقات الشافعية» الإمام الأشعري بترجمة مطولة، ونبه إلى مخلفِه للماتريدية وقال أن الخلاف بينهما في ثلاث عشرة مسألة، ست أو سبع منها الخلاف فيها لفظي، أي الجدل فيها على مستوى الألفاظ وليس في الجوهر، والباقي في فروع الاعتقاد لا في أصولها[2].

= موافق لاعتقاد الأشعري في الإثبات. تبيين كذب المفتري: ص398. ولم أجد له ترجمة في غيره من كتب التراجم التي توفرت بين يدي. إلا أن ابن تيمية رحمه الله نقل مذهبه في بعض القضايا العقدية في مواطن متعددة من كتبه كالفتاوى ودرء تعارض العقل والنقل وغيرها وذكر نصرته لمذهب السلف. ولدى البغدادي في الفرق بين الفرق ص:190، و383 وغيرها.اكما نقل رأيه الشهرستاني في: الملل والنحل (ص60).

(1) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي: من أئمة علماء الكلام، من كتبه (التوحيد) - (أوهام المعتزلة) و (الرد على القرامطة) و (مآخذ الشرائع) في أصول الفقه، وكتاب (الجدل) و (تأويلات القرآن) و (تأويلات أهل السنة) و(شرح الفقه الأكبر المنسوب للإمام أبي حنيفة) (ت 333هـ) ترجمته في: الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية رقم 397 (2/ 130).

(2) لابد من التنبيه إلى أن للعقائد فروعا وأصولا وهي من المسائل المهمة، فمثلا مبحث تفضيل الأنبياء على الملائكة، هو مبحث من فروع الاعتقاد لأنه لو ضل الواحد لا يخطر في باله التفاضل، تفضيل النبي على الملك، أو تفضيل =

أبو الحسن الأشعري هذا الذي ينسب إليه الوضع الفني لأصول الجدل في العقيدة أو مباحث الاعتقاد قضى نصف حياته - وهذا العجب -معتزليا، وهذا لا يضيره، إذ كان من هو أفضل منه كافرا ثم أسلم، بل إن هذا يدل على ثبات قدمه، وقد ذكر القاضي عياض في ترجمته في «ترتيب المدارك» - بناءً على رأي أنه كان من المالكية- قصة تحوله بسند إلى بعض تلامذته أنه رأى النبي ﷺ يخاصمه يقول له: لم تنكر كذا وكذا، وسمى له الرؤيا، أتريد أن تحرم رؤية الله في الجنة في الآخرة، ثم رآه مرات، وفي رواية أنه كان يرفسه برجله يقول له: قم لتتكلم على هذه الموضوعات، فلذلك بدأ بموضوع الرؤية، وموضوع القدر، ومسألة الكلام[1].

يلاحظ في بداية حواره في العقائد التركيز على مسائل تتوزع على أهم مواضيع الإلهيات، وذلك أن «مسألة الرؤية» ترجع للذات، و«موضوع القدر» يرجع للفعل، و«القول في كلام الله تعالى» يرجع للصفة، فبدأ بها لأن نوعا من التوفيق كان يشده لأن يتكلم على هذه المسائل الثلاث، وهذه المسائل كانت على إنكارٍ من المعتزلة الذين كان ينتمي إليهم.

= الملك على النبي، فإنه لا يضره ولا يسأل عنه، والحوض؛ هل للنبي حوض أم حوضان؟ وهل قبل الصراط أو بعده؟ وبعض صور الشفاعة - لا أصل الشفاعة مطلقا - هذه تسمى فروع في الاعتقاد، لا يصل الخلاف فيها إلى حد التفسيق فضلا عن التكفير، كما أنه لا بد من التنبيه على أن إدخال ما ليس من العقيدة فيها من الأمور المشوشة كمسألة التوسل التي هي من مسائل أدب الدعاء وإدخالها في مسائل الاعتقاد يَخلق مشاكل ويُدخِل في مضايق (من توضيحات الشيخ سيدي مصطفى حفظه الله).

(1) ترتيب المدارك (3 / 26).

[ذكر بعض المسائل الخلافية بين الأشاعرة والمعتزلة]

[في مسألة الرؤية]:

المعتزلة يقولون بأنه لا يمكن رؤية الله تعالى - لا في الدنيا ولا في الآخرة - ، والشبهة عندهم من جهتين:

شبهة التأويل في قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة22-23][1].

وشبهة قول الله ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: 104][2].

ولذلك إذا قويت الشبهة امتنع التكفير[3].

---

(1) قال الزمخشري في تفسير الآية: أنها بمعنى التوقع والرجاء، على ما جاء في شعر العرب:

(وإذا نظرت إليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما)

الكشاف (6 / 280).

(2) قال الزمخشري رحمه الله في تفسير هذه الآية: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ البصر: هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة النظر، به تدرك المبصرات. فالمعنى أن الأبصار لا تتعلق به ولا تدركه، لأنه متعال أن يكون مبصرًا في ذاته، لأن الأبصار إنما تتعلق بما كان في جهة أصلا أو تابعا، كالأجسام والهيئات وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وهو للطف إدراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك وَهُوَ اللَّطِيفُ يلطف عن أن تدركه الأبصار، الْخَبِيرُ بكل لطيف فهو يدرك الأبصار، لا تلطف عن إدراكه وهذا من باب اللطف». (2/ 382، 383).

(3) قال النبي الكريم ﷺ: «تعافوا الحدود فيما بينكم، وما بلغني من حدٍّ =

[في مسألة القدر]

وفي مسألة القدر الذي هو فعل الله، كان المعتزلة يقيدونه في باب خلق أفعال العباد فيقولون: الله لا يخلق أفعال العباد، فتصدى لهم وأثبت أن العباد لا يخلقون وإن كانوا يكسبون، والمسألة دقيقة تحتاج إلى أمور لكي تُفهم، والفهم فيها يتوقف على ارتقاء مستوى الإيمان عند من يتلقى هذه المباحث العقدية التي لا تحل فلسفيا فقط. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

[في مسألة الكلام الإلهي]:

وفي مسألة الكلام؛ كانوا لا ينسبون الكلام لله، ولا يرون أن الله متكلما، ويفسرون الآيات التي في ظاهر لفظها دلالة على الكلام بأن التكلم من خلقه، يخلقه في الشيء الآخر، ويبالغون في هذه الأنواع من التأويلات، ويرون أن إثبات الكلام نوع من التشبيه، وهي عندهم شبهة، وبالتالي القرآن الذي هو من كلام الله، يثبتون له صفات أخرى ترجع لصفة الفعل والخلق، لا لصفة الذات.

= فقد وجب» أخرجه أبو داود في كتاب الحدود (باب العفو عن الحدود ما لم تبلغ السلطان) 4376، والنسائي في «المجتبى» 8/ 70، وفي الحديث: «إذا بلغت الحدود السلطان فلعن الله الشّافع والمشفَّع» أخرجه مالك في الموطأ: كتاب الحدود، باب ترك الشفاعة للسارق إذا بلغ السلطان (1823). فإذا كان الأمر من رسول الله ﷺ بدرء الحدود، فمن باب أولى درء التكفير، قال ﷺ: «ادرأوا الحدود بالشبهات ما استطعتم» رواه الترمذي باب ماجاء في درء الحدود، حديث [1424].

المهم أن تصديه لمثل هذه المسائل كان من أجل الوقوف في وجه بعض الفرق التي شقت عصا وحدة الأمة، وقد وفقه الله في ذلك وفتح عليه بما شاء.

[فائدة: في أن العقيدة «أمَّة»، وهي «حبل الله»، وأنها جامعة، ويجب أن لا تكون ميدانًا للاحتراب بدل الاقتراب]:

معلوم أن العقيدة «أمة» وهو اصطلاح القرآن، حيث ذكر على لسان الذين كانوا يستدلون بما وجدوا عليه آباءهم فقال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: 22]، يعني على عقيدة جامعة وهذا اصطلاح لغوي، والحديث عن العقيدة باسم الأمة، بمعنى أنها جامعة، فكيف تتحول إلى منصة للاحتراب بدل الاقتراب؟ والله تبارك وتعالى يقول لنبيه الكريم ﷺ وعلى آله ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: 64]، أي بين قلوبهم، فاستتبع هذا التأليفُ التأليفَ في الكل، إذا اجتمعت القلوبُ اجتمعت الأيدي، واجتمعت المواقف، والجمع على مستوى القلوب أصل الأصول، فالمصالح لا تدوم، وألوان التلاقي والتوالف لا ضمان لاستمرارها، لكن الضمان كله حين تتحد القلوب وتنفتح على بعضها، وتَنْشَدُّ إلى هذا الحبل المسمى: «حبل الله»، وهو حبل معرفته والصلة به، فلا بد أن تعرف الله، وأن تقيم صلتك به على أساس المعرفة، فتكون الثمرة خشية وإنابة، كما بينه رسول الله ﷺ بقوله:

«أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية..»[1] والله تبارك وتعالى سمى التوحيد والمعرفة ﴿وَقَارًا﴾ فقال عز وجل: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: 13]، الذي لا يعرف ربه لا يوقره، ما لكم لا توقرون ربكم، والتوقير إجلال، والإجلال ثمرة للمعرفة، لا يمكن أن تُجِلَّ من لا تعرف قدره، ولا يمكن أن تعطي الحق لمن لا تعرف قدره، ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ لو التفتَّ إلى الأطوار فيك وفي نفسك، ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21] لوجدت أن صاحب هذه الأطوار الذي أجراك عليها رفقا وعتقا، هو الذي يستحق منك أن تجله وتقدره من خلال معرفتك بإحسانه، ولذلك لا تستغربوا إذا وجدتم أن أول ما يطالعك في القرآن الكريم مقطع الحمد من سورة الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣﴾﴾.

والنبي ﷺ يريد أن يربط صلتنا بالله من خلال الحمد، فجعل التوحيد بالحمد، والتسبيح بالحمد، والتسبيح تنزيه، والحمد تنويه وإشادة، وهناك من صفات الله ما يرجع للجلال نفيا للنقص في كل حال، وما يرجع للكمال والجمال الإلهي وإحسانه ومحاسنه، والعقيدة ترجع لهاتين، ولا يخرج الحمد من حامد إلا وهو يرى محاسن محموده، وأنه يستلم الإحسان من يده.

---

(1) سبق تخريجه، وأذكر هنا ما علق به عليه السيوطي رحمه الله فقال: قال عليه السلام: «إنى لأرجو أن أكون أعلمكم بالله وأشدكم له خشية»، ففضل المعرفة وشدة الخشية على كثرة الأعمال. الحبائك في أخبار الملائك للحافظ السيوطي، صفحة 231.

[سابعا: استمداد علم الاعتقاد]:

من واضعِ علم التوحيد فنِّيًا أو في عرف المتكلمين إلى استمداد العلم، من أين يستمد هذا العلم؟ قال أهل العلم باختصار: «قواطع العقول وسواطع النقول»، يعني آيات العقل وآيات النقل، وهذه الآيات هي التي ترجع إلى البدائه، وترجع إلى ما تمت البرهنة عليه من طرف أهل العقل بأنه قاطع في الباب لما يُؤسَّس عليه، لأنك تجد هذا العلم يستمد من أمور كثيرة ويستعين بآليات، فتكون هذه الآليات من صميم ما استنبط من النظر في آيات الكون وآيات العقل التي تحدد له كيف يفكر، لأن للعقل منطق أساسٌ لولاه لما صح أن نتعارف، ولا أن نتواصف، ولا أن نتواصل، وهو في مشتركه له أصول تشد أساسه، وهذا أصل المنطق، كما أن للوجود جذور تشده إلى الحق الموجود، فمثلا حين نرى من المبادئ والبدائه أن النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، والضدان لا يجتمعان وقد يرتفعان، والعرض مصطلح لا يقوم بنفسه، ولا يقوم بعرض مثله، ولا يجتمع في مكانيين، أمور من بدائه العقل ومن قضاياه المبرهن عليها، كما تسمى نظريات، ولكن نظريات لا بالمعنى اللغوي. نظريات قطعية في بابها[1]، هي من مدد هذا العلم واستمداده، ما أخذ من أصول النظر في الكتاب،

---

(1) قال الباقلاني رحمه الله في تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل (ص27): «باب العلم النظري: فإن قيل فما معنى تسميتكم للضرب الآخر منها علم نظر واستدلال؟ قيل له مرادنا بذلك أنه علم يقع بعقب استدلال وتفكر في حال المنظور فيه أو تذكر نظر فيه فكل ما احتاج من العلوم إلى تقدم الفكر والروية وتأمل حال المعلوم فهو الموصوف بقولنا علم نظري.

وأصول النظر في الكون، وأصول المنطق، كل هذه الأشياء من استمدادات هذا العلم، وباختصار: الأدلة العقلية التي يسلِّمها أهل العقل، والأدلة النقلية الثابتة في الأصول التي يمكن أن يبنى عليها اليقين، لأنه لا يقبل غير اليقين في مسائل الاعتقاد، ولذلك لا تستغربوا إذا وجدتم بعض أهل العلم بالعقيدة يشترط في الدليل الذي تثبت به عقيدة ما أن يكون مفيدا لليقين، وحتى الذين كانوا يجادلون في حديث الآحاد، ليس محل النزاع بينهم مطلوبية إفادة اليقين في الأدلة، وهل يستدل به - أي بحديث الآحاد - أو لا يستدل به؟ وإنما يجادلون في دلالته، بمعنى أنهم يقولون: «يجب أن تكون دلالته دلالة اليقين»، وهم يُسَلِّمون أن اليقين مطلوب في العقديات، لأنها ليست محل اجتهاد فيما يتعلق بالأصول، بل وفي فروعها إذا أمكن، لان اليقين لا يختلف في نفسه، فاشترطوه في دليل الاعتقاد، ولذلك نجدهم - وهم يجرُون الأدلة غير المتواترة أو التي لا تشبه التواتر - يجتهدون في إثبات أن أحاديث الآحاد تفيد اليقين، وهذه المسألة لا يسلم بها جمهور المحدثين ولا جمهور المتكلمين، يقول ابن حجر في النخبة «والآحاد لا تفيد اليقين وقد تفيده بضمائم»[1]، يعني قد ترتقي إلى إفادة العلم بضمائم أخرى لا بنفسها[2]، فلذلك لا بد من تحرير هذه الأصول في

---

(1) قال ابن حجر رحمه الله (وقد يقع فيها ما يفيد العلم النظري بالقرائن على المختار) كتاب نزهة النظر في شرح نخبة الفكر (ص10).

(2) وبالطبع كيف تسوق عقيدة في الله؛ خصوصا إذا خالفت دليلا قرآنيا أو دليلا متواترا يمنع الخلاف في الباب، ومعنى خالفت: أي خالفت ما ثبت بالنقل، وعندنا أصول في النظر منه قولهم: مثلا كما في نخبة الفكر: فإن خولف =

بعض المنازع التي قد يختلف فيها أهل العلم، ولكن لا يصح أن نجعل منها ما ينقض أصولنا المشتركة، وعليه فإن كثيرًا من أئمة الدّين حين يتناولون قضايا الاختلاف في مسائل العقيدة، معظمهم يتحرى أن لا يفتح الباب للشُّكوك والشُّبه، لأن الشيطان راصد بالباب هنا، فإذا شوش عليك الأصل اكتفى ونال مراده.

[شكوى بعض التابعين لابن عباس من الوسواس في العقائد وجوابه على ذلك]:

شكا لابن عباس بعض التابعين الذين أدركوه قالوا له: إن اليهود - قاتلهم الله - يزعمون لنا أنهم لا يوسوسون في صلاتهم[1]، يعني لا يدخلهم الوسواس وهم في تمام الخشوع في صلاتهم، ويسمعون منا أننا نشتكي مما يعترينا في صلاتنا، يقولون لهم - لإغاظتهم - نحن لا نوسوس في صلاتنا، فأجابهم ابن عباس رضي الله عنه قال: «ما يصنع الشيطان بالبيت الخرب» يعني أن الشيطان لا يجيء إلى الخراب، هو يجيء إلى هذه القلوب المؤمنة ليُشَوِّش عليها أصولها، وهو ما جاء في القرآن الكريم، قال الله تعالى يحكي عن التزامه اللعين: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: 15]، وفي نكتة لأحد أساتذتنا قال: أنا حججت أول حجة،

= بأرجح فالراجح المحفوظ، ومقابله الشاذ. هذه أصول، يصبح المخالف الراجح محفوظ ولكن غير الراجح مع المخالفة وإن صح فهو شاذ. (من توضيحات سيدي مصطفى حفظه الله).

(1) شرح رياض الصالحين، (4/131؛ 132).

وقرأت فيما قرأت في علم التفسير: ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ أي طريق الحج، قال وتعجبت أني ما وجدت الشيطان في الطريق -هو يقول- يعني يُسِّرت الطريق، منذ الابتداء والأمور ما فيها أثر كيده - حسب كلامه - يسر الله السبيل، وصلت، أحرمت، لبيت، طفت وأنا خارج إذا بي -هو يقول- أجد رجلا أسود وهو مفترش حصيرا ويقول لي في اتجاه القبلة ويسميني باسمي: أبصق هنا، أبصق هنا، قال شدني بهذه الوسوسة حتى كدت فعلا أبصق، فلما أردت أن أبصق رمقت عيناي الكعبة وكدت أن أبصق في اتجاهها فقلت، أعوذ بالله، قال: فطوى فراشه وانصرف، فقلت: الحمد لله - قال فوجدته هناك.

الشيطان يقعد في الموارد الصافية ليكدرها فاحذروه، أعاذنا الله من وسوسته وأعاننا عليه برحمته، ونستعيذ بالله منه لأنه يراه ونحن لا نراه، وعندما نكون بصدد القرآن الذي هو مصدر الهدى، نتعوذ بالله من مصدر الرَّدى، حتى يخلص لنا هذا المورد، ولذلك كان شعار القرآن: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿98﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل: 98]. يستفاد منه أن التعوذ من التوكل، وفيه تفويض لله، إذا فوضت لله منحك، ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر: 35]، كفايته له حتى يموت، ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[الطلاق: 3] أي كافيه، ويخلع عليه خِلْعَتَيْن متتاليتين إزاء توكله، ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: 159]، ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران: 36]، فخلع عليها

خلعتين وجمع لها عطاءين، قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ [آل عمران: 37]، تقبلها وإن كانت أنثى، «ولو كانت أنثى فَرِّغِيهَا للبيت»، وكان هذا خلافَ المعهود في نذر الأولاد ليكونوا في خدمة بيت المقدس، ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ في جانب ذاتها، كانت لا تحيض لأنها ليست معدة أصلا للزواج، والله سيجعل منها مظهرا لآية من آياته ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾، قيل كانت تكْبُر على غير المعتاد، وقد ولدت عيسى عليه السلام وهي ابنة ثلاث عشرة سنة.

* * * *

فصل في بيان الآيات موضوع الدراسة ووجه تسميتها بـ«روض الإلهيات» ومعيار اختيارها

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: في تسمية الآيات موضوع الدراسة بـ«روض الإلهيات»

المسألة الثانية: هل في القرآن فاضل ومفضول

المسألة الثالثة: في بيان المقصود بمقاطع الجلالة ومعايير اختيارها

المسألة الرابعة: في فصول المعالجة في مباحث الإلهيات

[المسألة الأولى: في تسمية الآيات موضوع الدراسة بـ«روض الإلهيات»]

بعد التوضيحات المتعلقة بالمبادئ العشرة نحاول الولوج إن شاء الله إلى ما سميناه «روض الإلهيات»، وهذه التسمية إن شاء الله لها وجه لما ارتأيناه، وهو أن الروض دائمًا يضاف إلى الجنة؛ لأنه أخص منها، يقال «**روضات الجنات**»، الروضة في كل جنة أحسن مواضعها وأجملها، وأوفاها بما تكون له الجنة، خُضْرةً ونُضْرةً وَوُفُورَ ظلالٍ وغِلال، فيحاء غناء، أحسن المواضع في الجنان في الدنيا والآخرة تسمى روض ورياض، قال أهل العلم: لكثرة ما تُعُهِّدَت من الرِّياضة، والرياضة هي تكرار الشيء من أجل أن ينقاد ويطاوع، فهي بكثرة تعهدها بالخدمة حتى صارت أحسن، سُميت روضة، ارتاضت وأصبحت تربتها غاية، وغلتها غاية، وأشجارها وظلالها في المنتهى؛ ومن وجوه فائقيتها وأحسنيتها أنها «إلهيات». وفعلًا لأن أعظم آي القرآن هي التي فيها التعريف بجلال الله العظيم، وهذا يحيل إلى مسألة من مسائل علوم القرآن وهي المسألة الموالية:

* * * *

[المسألة الثانية:
هل في القرآن فاضل ومفضول][1]

هناك من قال: لا «سدا للذريعة، وحتى لا يُشعر أو حتى لا يُقال ويُحس بأن المُفضَّلَ عليه فيه نقيصة، أي سدًّا لباب التَّنقُّص، وهناك من قال «لا مانع»، وفيه أصول كثيرة، منها أن النبي ﷺ سمى آية الكرسي: سيدة آي القرآن»، وسمى الفاتحة: أعظم سور الكتاب»، والحديث واضح، قال عليه السلام: «لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها»[2]، أنظر هذا التفاوت، ويقول ﷺ في سورة الإخلاص:

---

(1) جعل الإمام السيوطي رحمه الله هذه المسألة من علوم القرآن، وبوب لها في إتقانه (117/4): **النوع الثالث والسبعون: في أفضل القرآن وفاضله**، وقال فيها: اختلف الناس: هل في القرآن شيء أفضل من شيء؟ فذهب الإمام أبو الحسن الأشعري، والقاضي أبو بكر الباقلاني، وابن حبان إلى المنع، لأن الجميع كلام الله، ولئلا يوهم التفضيل نقص المفضل عليه، وروي هذا القول عن مالك... وذهب آخرون إلى التفضيل لظواهر الأحاديث، منهم إسحاق بن راهويه وأبو بكر بن العربي، والغزالي، وقال القرطبي إنه الحق، ونقله عن جماعة من العلماء والمتكلمين.

(2) أخرجه الترمذي في السنن، أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب: رقم: 2875، وعند النسائي في المجتبى باب قول الله عز وجل: ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم: رقم 914.

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ « تعدل ثلث القرآن»[1]، وسواء قلنا: الأفضلية بالأجر ومضاعفته، أو باعتبار شرف الموضوع، فهذا صحيح، والمؤمن يحس بالتفاوت، أما من حيث كونها معجزة بالشرط، فمن هذه الجهة لا تفاوت بين جميع القرآن، لأن كل آية منه معجزة، وكونها وحيا من الله لا تفاوت، ومتواترة لا تفاوت، ومتعبد بها وبتلاوتها لا تفاوت، ومصدر للهداية كل في بابه لا تفاوت، لكن أنت تحس بالفرق حين تقرأ آية الدَّين أو سورة ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ وتضعها إلى جوار سورة الإخلاص وآية الكرسي، يبدو الفرق بيّن، بما أنه تناول أشرف موضوع، كان أرقى بهذا الاعتبار، ويقولون بأنه: **حين تنفك الجهة لا يبقى هناك أي داع للاعتراض**، فالقرآن من جهة كونه من عند الله واحد، ومن جهات الموضوع والأثر يفضل بعضه بعضا، وهذا واضح في كثير من النصوص.

ولذلك كانت آيات «روض الإلهيات»، والتي موضوعها الفقه الأكبر، في جوانبه وأقسامه، تبدو وسط القرآن رياض وروضات، وأوضح ما تبدوا حين تستهل باسم الجلالة «الله» ولذلك سميناها المقاطع الجلالية، أو مقاطع الجلالة.

* * * *

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، برقم 812. والترمذي في السنن، باب ما جاء في سورة الإخلاص، رقم 2900.

[المسألة الثالثة: في بيان المقصود بمقاطع الجلالة ومعايير اختيارها]

الجواب باختصار فيما يتعلق بمعايير الاختيار وهي ثلاثة عندي:

أولا: التصدير باسم الجلالة:

الآيات التي صدرت باسم الجلالة في القرآن محصورة لا تتجاوز الثلاثين؛ خصوصا إذا ضممنا إليها ضمير الجلالة «هو»؛ لأنه في مستوى العلم، وعندهم في باب المعارف أن أعرف المعارف اسم «الله»، ثم ضمير الشأن «هو» وفيه يقول ابن مالك رحمه الله في الكافية الشافية: «فمُضمر أعرفها ثم العلم»[1] وقال بعضهم أعرفها العلم وضميره، فالضمير يكون مثله فيلحق به، فلذلك تجدون في المقاطع ما صدر بـ:«هو». والتصدير يكون

---

(1) قال ابن مالك رحمه الله في الكافية الشافية (1/ 222): باب النكرة والمعرفة:

ما شاع في جنس كـ عبد نكره ... وغيره معرفة كـ عنتره

فمضمر أعرفها ثم العلم ... واسم إشارة وموصول متم

وذو أداة، أو منادى عينا ... أو ذو إضافة بها تبينا

وجاء في كتاب «فتح رب البرية في شرح نظم الأجرومية» ص427 ما يلي: «وأعرف المعارف لفظ الجلالة بالإجماع، قيل: رُئي سيبويه في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: خيرًا كثيرًا أو كلمة نحوها. فقيل له: بماذا؟ فقال: بقولي بأن الله أعرف المعارف».

باسم الجلالة أو ضميرها وما ألحق به بتقديرٍ ما، كمقاطع الحمد والتسبيح، وإن كنت أنا لم أدرج مقاطع التسبيح كي لا تطول تلكم المقاطع، فمقاطع الحمد هي مقاطع جلالية؛ لأن في أولها الحمد لله ويمكن تقدير القول: «الله المحمود رب العالمين الرحمن الرحيم» فبهذا التقدير ترجع إلى مقطع جلالي مستهل باسم الجلالة، ولا مانع في ذلك.

ثانيا: المفصلية والمقطعية:

وذلك حتى لا يكون معطوفا ولا موصولا بفاء ولا بواو، فخرجت مقاطع «فهو» «وهو»؛ لأنها تكون غالبا في موارد التذييل أو التعليل أو نحو ذلك، فالمقطعية تعني كونها ابتداءً وانتهاءً في مفاصل؛ أي مفاصل التعريف، ولا نعني القطيعة مع سابقها ولا حذف الصلة مع سياقاتها كليةً، إذ هذا لا يمكن في آي الكتاب، فالتناسب موجود، ولكن في معظمها استئنافات ابتدائية لا بيانية، والسورة التي وردت فيها أكثر مقاطع الجلالة هي سورة «الروم» فيها أربعة مقاطع:

﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ : [الآية 10].

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ : [الآية 39].

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ ... ﴾ [الآية 47].

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ [الآية 53].

والمقطع النهائي هو أيضا ضروري في باب المقاطع لأنه يؤذن بوقف التمام[1] ، وعندنا الوقوف في الكتاب تختلف ، فأجلُّها وقوف الكمال والتمام التي لا يبقى ما بعدها مرتبط بما قبلها حتى من جهة التكميل ، إلا من طرف خفي.

ثالثا: التمام والوفاء بمطالب البحث العقدي:

وهو أن يكون فيها على الأقل جانب على نحو شبه متكامل يعرف بذات الباري أو بفعله أو بوصف من صفاته جل في علاه.

* * * *

(1) مما حفظناه من شيخنا جزاه الله خيرا: أن أَتمَّ وقفٍ في القرآن هو عند قول الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ﴾ فنقف ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فنقف. وأن أحكم آية في الكتاب في باب الاعتقاد هي قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:11].

[المسألة الرابعة:
في فصول المعالجة في مباحث الإلهيات]

مقاطع الجلالة التي اخترنا منها بضع عشرة مقطعا -مرتبة على ترتيب القرآن في التلاوة، مصدرة بمقطع الحمد في فاتحة الكتاب- نريد إن شاء الله أن نتناول من خلالها جوانب أربعة، نسميها فصول المعالجة في مباحث الإلهيات وهي:

أولها: الوجود الأجلى،

وثانيها: المثل الأعلى،

وثالثها: التفرد المطلق،

ورابعها: القدر الأوفق الأحق.

وجود الله منعوت بالأجلى ظهورًا، وهو هو المثل الأعلى كمالًا، وهو هو التفرد المطلق وحدةً، وهو هو صاحب القدر الأوفق فعلًا.

وإن شاء الله سنسير مع المقاطع، ونعود مع كل مقطع لنأخذ منه وننتقي ما يرجع لهذه الفصول، حتى نحصل في الأخير على مستفاد قواعد الاعتقاد، ومقاصد الاعتقاد، وثمرات الاعتقاد، ومنهج الكتاب في التعريف بمنزله، أعني كيفية التعريف بالله في القرآن، وكيف يربط المعارف

بالثمرات، وكيف يُصَرِّف الآيات ليُرسِّخ الذكر المعرفي حتى يكون حاضرًا في قلب ووجدان العارف الذاكر الموحد لربه، وتصطبغ حياته، وتصطبغ مسالكه بنوره، وينسحب أو ينسرب هذا النور من داخله أو من باطنه على ظاهره، فتشرق الأرض، وتشرق الدنيا بأنوار هؤلاء الموحدين الذين عرفوا ربهم، وبالتالي عرفوا مهمتهم، وعرفوا طريقهم، لأن الإنسان الجاهل منصرفٌ ومنحرفٌ، وبعيدٌ عن أن يأخذ سبيله نحو ربه جل وعلا.

❊ ❊ ❊ ❊

[فائدة في أن ذكر الآخرة يثمر دوام التعلق بالله]

نحن الآن مستقبلين الآخرة وما في ذلك من شك، الإنسان إلى أين ذاهب؟ إلى الله، ما في الأمر رجوع إلى وراء، منذ خرجت وخطواتك في اتجاه الآخرة، وكل يوم يمر عليك أنت في حاجة أن تؤكد الصلة بالله وأنت في الاتجاه إليه، لا بد، وهنا ضرورة الذكر الذي تتجدد من خلاله حقائق الإيمان، ولأمر ما كان وِرْدُ القرآن تلاوة وتدبرا، ووِرْدُ النظر في آيات الله تفكرا، وِرْدَانِ لأهل الألباب لا ينفصلان: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿190﴾﴾ من هم؟ ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: 190-191] هم يعيشون مع الآيتين: آية الذكر، وآية الفكر، يتدبرون ويتفكرون، الذكر زاد القلب والروح، والفكر في الآيات زاد العقل وهما عينا المعرفة اللتيْن بهما ترى، «أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى»[1].

* * * *

(1) الإشارة بالآية الكريمة إلى تكامل النظرين عقلاً وقلبًا والعملين ذكرًا وفكرًا.

فصل في بيان بعض ما يختص به اسم الجلالة الكريم: «الله» جل جلاله[1]

(1) لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (ت794 هـ) رسالة بعنوان: معنى لا إله إلا الله، وذكر فيها خصائص الاسم الكريم «الله»، حققها: علي محيي الدين علي القرة راغي، ونشرتها: دار الاعتصام - القاهرة، طبعت طبعة ثالثة سنة 1405 هـ/ 1985م. ولأبي العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي أيضا رسالة صغيرة الحجم عظيمة الفائدة في معنى لا إله إلا الله، حققها الأستاذ محمد صغيري وطبعت ضمن ملاحق كتابه: «أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي العالم الزاهد»، الذي نشرته الرابطة المحمدية لعلماء المغرب سنة 1436 هـ.

مقاطع الجلالة يبتدئ نفحها وشذى عَرفها بالاسم الكريم ولفظة الجلالة: «الله»، وهذه الكلمة لها في قلوب المؤمنين والموحدين أرصدة من الحب ومن القرب، ومن التعرض لفيض الوهب، ما يختلف باختلاف أسباب التعرض، وستصاحبنا على امتداد هذه المقاطع في طالعتها، ولنا عند كل تناول لها أن نذكر ما يتعلق بها من سَني المعارف، وسني اللطائف، ونرجو الله أن تبقى معنا مذكورةً لتكون وسيلتنا إليه.

«الله» اسم الجلالة، والعلم على الذات العلية، أو ذات الواجب الوجود، الموصوف بغاية الجود، المنعوت بالصفات العلية، المنزه عن الشريك والنظير والمثيل والشبيه، و«الجلالة» في أصل الدلالة اللغوية: عظمة القدر، والغريب فيها أنها حين تُحذف هاؤها وتصير: «الجلال» تدل على التناهي في العظمة، الجلالة عظمة القدر، والجلال منتهى العظمة، والله تعالى من أسمائه الحسنى «الجليل» إما لعظمة الخَلق، أي لِخَلقه الخلائق ذات العظمة، ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر:57]، أو لخلقه خلقا عظيما يستدل به على جلاله، أو لأنه يجل عن أن يحاط به، أو أن تقع الحواس عليه، الله أعظم وأجل وأكبر من أن يحاط بكنهه، وكيف يحيط بكنه جلاله من هو عاجز عن الإحاطة بكنه ذاته القريبة منه، «وفي أنفسكم....»[1] وفي أنفسكم آية تثبت أنكم عاجزون... ولذلك يقال للذي يقول بأنه ينبغي أن نعرف كنه وأسرار الذات الإلهية: أنت جاهل بأسرار نفسك، وهذه الروح التي تعاشرها من زمان أين هي؟ وكيف هي؟ وعلى أي شكل؟، فإذا كانت هذه المسائل من الغيب النسبي

---

(1) في إشارة إلى آيات سورة الذاريات ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿20﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿21﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [20، 21، 22].

تجل عن الإحاطة بها، فكيف يحاط بالغيب المطلق الذي هو الله جل جلاله؟ وهذا ليس معناه عدم إمكان الإدراك، ولكن لا يمكن أن يحاط به إدراكا، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: 107]، صدق الله العظيم، وقوله وعلى آله «سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[1]، أي لا يعرف حقيقتك إلا أنت، ومهما بالغتُ في الثناء والتعريف والتوصيف، فأني عاجز عن أن أدرك مستوى كنهك، هذا رسول الله ونبي الله، وخاتم النبيين، وأقرب الخلق إليه يصرح بهذا، فكيف بمن دونه؟!.

ولذلك قال أهل العلم عندنا «والعجز عن دَرك الإدراك إدراك والخوض في ذات الله إشراك»[2]، وسيدنا رسول الله يعلمنا بقوله: «تفكروا في آلاء الله، ولا تتفكروا في ذات الله، فإنكم لن تَقْدُروه قدره»[3].

---

(1) أخرجه الترمذي، أبواب الدعوات، باب دعاء الوتر، رقم 3566، والنسائي في السنن، باب الدعاء في الوتر، رقم 1747، وغيرهم.

(2) القول منسوب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وممن ذكره: الغزالي في المقصد الأسنى ص: 34، والألوسي في روح المعاني (13/31)، وغيرهم.

(3) أورده أبو الحسن الأشعري في الإبانة (ص: 49) قال: وروت العلماء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله عز وجل، فإن بين كرسيه إلى السماء ألف عام، والله عز وجل فوق ذلك». وأورده ابن بطة في الإبانة الكبرى (2/ 86) ورواه أبو نعيم فى الحلية (6/ 67) مرفوعًا إلى النبي ﷺ ومعناه صحيح، فالإسلام حين دعا إلى التفكير، ورحب به، إنما أراد أن يكون ذلك فى دائرة نطاق العقل وحدود مداركه، فدعا إلى النظر فيما خلق الله فى السماوات والأرض، وفي الإنسان نفسه، وفى الجماعات البشرية، ولم يحظُر عليه إلا التفكير فى ذات الله؛ لأن ذات الله فوق الإدراك.

ومن عجائب اسم الجلالة «الله»، ما ذكره أحد أهل العلم وهو الإمام السعد التفتزاني حيث قال: «كما تحير الناظرون في دلالة اسم الجلالة تحيروا في لفظه»[1] ولذلك تجد اختلاف أهل العلم: هل اسم الجلالة «الله» مرتجلٌ غير مشتقٍّ أم منقولٌ مشتق؟ وهل هو عربي أم معرَّب؟ وهل تلاحظ فيه دلالة الأصل؟ وما أصل الاشتقاق عند من يرى ذلك؟ وسنجد إن شاء الله أن لهذا الاسم الكريم سواء في أدائه، أو في رسمه، أو في وسمه ودلالته، معاني خصّ بها، يقف منها الناظر فيها من أهل الإيمان على العجب العجاب، ومنها ما يلي:

«الله» مبدأ كلمته بالهمز، وهي فينا كلنا مبدأ النطق في أصل الحلق، لا شيء وراء الهمزة، والهاء راجعة إلى الحلق فآخره رد على أوله، فهو الأول والآخر.

---

(1) وورد هذا القول أيضا في حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (1/ 49)، ونصها: قوله: «(والله أصله إله الخ) اعلم أنّ في لفظ الجلالة باعتبار أصلها واشتقاقها وكونها عربية أو غير عربية أقوالًا واختلاف لب كثير؟ حتى قالوا: كما تاهت العقلاء في ذاته وصفاته لاحتجابها بنور العظمة، تحيروا في لفظ الله لأنه انعكس له من تلك الأنوار أشعة بهرت أعين المستبصرين».

وكذلك جاء في كليات أبي البقاء الكفوي، فصل الألف واللام (ص: 173) قوله: «وكما تاهوا في ذاته وصفاته لاحتجابها بأنوار العظمة وأستار الجبروت، كذلك تحيروا في اللفظ الدال عليه أنه اسم أو صفة مشتق أو غير مشتق، علم أو غير علم، إلى غير ذلك، كأنه انعكس إليه من مسماه أشعة من تلك الأنوار فقصرت أعين المستبصرين عن إدراكه».

والهمز أقوى الحروف وأجهرها، سميت همزة لأنها تهمز الصدر، تطعن فيه، والهاء أخفى الحروف وأضعفها، قهرٌ إلى لطف، جلالٌ إلى جمال، حتى دلالة النطق في الأحرف تدل على المعاني.

وبينهما لَامَانِ مُنْفَكّان، كل منهما يدل على الصلة بالأول والآخر جل جلاله، هذه الأسرار يبدو أنها تُشم ولا تُفرك، ولكن فيها معانٍ، لام الرسول المُرسل، ولام الكتاب المنزل، صلة النص الأقدس (القرآن)، والمثل الأنفس (سيدنا رسول الله ﷺ)، لن تعرف ربك إلا من خلال نبيه وكتابه، وفُكَّ الادغام هنا «الله» فنشدُّ ونفك المدغم، لكن نكتب لامين بإجماع الرسام، حتى ذلك الإدغام فيه فكاك، إدغام على مستوى النطق وفك على مستوى الصورة.

وهذه الكلمة الجليلة أي شيء منها أسقطته، الباقي يدل عليه، ولا تنخرم بنيتها بالسقط، أزل الهمز يبقى «لِلّه» وأزل اللام يبقى «له» وأزل اللام يبقى «هُ» «هو» وإليه ذهب الإمام الرازي رحمه الله حيث ذكر أن كلمة «هُ» ضمير والأصل فيها عدم الصلة «هُ» من دون صلتها بالواو، وإنما أشبعت بالواو لأنها جاءت على صورة حرف ضعيف، فقُوِّيت بالمد، والدليل عليها لغة حينما نُثَنِّي نقول: «هما» ولا نقول «هوما»، ونقول «هم» ولا نقول «هوم»، هو يقول بأن هذا الأصل، فإذًا كل جزء فيها دال على بقيتها ولا يشبهها كلمة من الكلمات، لا في أسماء الله ولا في غيرها.

و«الله» هو الاسم العلم، والاسم الأعظم عند المعظم، وسيجيئنا إن شاء الله معنى كونه الأعظم عند دراسة المقاطع لأنها كلها متضمنة له.

المقطع الأول من روض الإلهيات :

«مقطع الحمد وحيثيته من أم الكتاب وفاتحته»

[سورة الفاتحة مكية وءاياتها 7]

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿1﴾
ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿2﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿3﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿4﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿5﴾ صِرَٰطَ
ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿6﴾ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾

مدخل أولي وفيه مسألتان هما

المسألة الأولى: في آسامي سورة الفاتحة وسر تعددها

المسألة الثانية: في تسمية الفاتحة بـ«سورة الحمد» ووجه ذلك

[المسألة الأولى:
في آسامي سورة الفاتحة وسر تعددها][1]

نبدأ إن شاء الله بمقطع الحمد في فاتحة الكتاب لنضع له صورة أولية، وذلك أننا لن نتناول الفاتحة تناولا تفسيريا، وإنما نريد تناولا عقائديا من خلال التفسير.

الفاتحة سميت بأسماء كثيرة نيفت على العشرين[2]، وذلك لسموها، ووضعت في المصحف الشريف أولًا؛ تاجًا للقرآن بإجماع الصحابة رغم قصر آيِها، وكان موضعها حسب مقاسات الطول والقصر أن تكون في قصار المفصل، ولكن وضعت أولًا لجلالها، وسميت بفاتحة الكتاب باعتبار الرسم والوضع، فهي مرسومةٌ أولًا، وسميت سبعًا باعتبار الرقم، رقم آيِها،

---

(1) وجه البداية بأسماء السورة لكونها تجلي الجانب العقدي فيها، وهو ما نهجه الشيخ حفظه الله في جميع مقاطع روض الإلهيات، لأن العناوين ترشد إلى المضامين، ومن ذلك أنه وضع حفظه الله لكل مقطع عنوانا يجلي العقائد التي يؤسسها.

(2) ذكر أسمائها بتفصيل الإمام الرازي في مفاتيح الغيب (1/176-179)، وأوصلها إلى اثني عشر اسمًا، وعند السيوطي رحمه الله في الإتقان (1/151) قال: «وقد وقفت لها على نيف وعشرين اسما وذلك يدل على شرفها فإن كثرة الأسماء دالة على شرف المسمى». وذكر لها خمسة وعشرين اسما.

وسميت أم القرآن باعتبار الحُكْم، أي معانيها الحاكمة أو المحكمة، وسميت مثاني باعتبار النظم، لأنها ثُنِّيت فيها أمورٌ متقابلة من مثل: الجمال بالجلال، والإنعام بالغضب والضلال، قوبلت فيها معاني وثُنّيت، وليست لأنها تثنى فقط - كما يفسر البعض - في القراءة في الصلاة، إذ ليس في هذا مدحٌ، وإنما يكون المدح أكثر في هذه الألوان من الأسلوب المثنوي الذي يكشف عن أمورٍ سنقف عليها إن شاء الله في مناهج تصريف الآيات، حتى يترسخ الذكر في فؤاد المُتَلقِّي، وهذا من أساليب الكتاب الذي من أهم خصائصه: المثنوية[1].

حين تفتح المصحف يقع نظرك على عبارة الحمد بعد «بسم الله الرحمن الرحيم» الذي هو تاج الفصول[2].

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، وهو أول الفاتحة عند العلماء باستثناء أصحاب الكاف «الكوفيين والمكيين»، الذين يعتبرون البسملة أية أو جزء أية، والباقي كلهم، من المدنيين والبصريين والشاميين وأئمة الحديث والفقه، ومنهم عالم المدينة الإمام مالك رحمه الله، فهم على أن بداية

---

(1) يقول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: 22].

(2) يوجد تفصيل القول في مبحث البسملة وهل هي أية من كل سورة؟ أو من الفاتحة فقط؟ وغيرها من المسائل يوجد ذلك في كتب التفسير، وممن فصل القول فيها ابن العربي المعافري رحمه الله في أحكام القرآن (1/ 5 - 7).

الفاتحة من :﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ودليلهم كما هو معلوم حديث قسمة الصلاة : «إني قسمت الصلاة بيني وبين عبدي ، فإن قال العبد الحمد لله ...»[1] وهو حديث يكاد يتواتر ، وكذلك الحديث المعروف في الصحيح «كان ﷺ يبتدئ الصلاة بالتكبير والقراءة بـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾»[2] كما في كثير من الروايات.

* * * *

(1) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ، وإنه إذا لم يحسن الفاتحة ، ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها ، رقم:395 .

(2) أخرجه مسلم ، باب ما يجمع صفة الصلاة وما يفتتح به ويختم به ، وصفة الركوع والاعتدال منه ، والسجود والاعتدال منه ، والتشهد بعد كل ركعتين من الرباعية ، وصفة الجلوس بين السجدتين ، وفي التشهد الأول ، رقم 498 .

[المسألة الثانية: في تسمية الفاتحة بـ«سورة الحمد» ووجه ذلك]

وتسمى سورة الحمد، وسورة الصلاة، والمناجاة، وسورة الأساس، والشافية، والواقية، والذي يهمنا من هذه التسميات هنا هو ما نريده، وهو الحمد، بدأت بالحمد لتقول لنا إنكم بصدد نعمة كبرى هي هذا الكتاب، هذا الكتاب نعمة الله وهديته ومنته العليا عليكم، بدليل ما جاء في القرآن من آيات الحمد من مثل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾[1] [الكهف:01]، حيثية الحمد أنك بصدد نعمة كبرى هي هذا القرآن، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الرحمن: 01] علم محمدًا القرآن، وعلمكم محمد ﷺ، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: 02]، والحمد في المحمود عنوان كماله، وفي الحامد عنوان عرفانه وإيمانه، وهو كما يقول أهل العلم: يكون على النعمة وعلى غيرها، بمعنى أنه يكون على الكمال، ويكون على الإفضال، الفضل الواصل من الله إليك إحسان وإفضال، والكمال الذي يستحقه كمال الذات، والله محمود على الاثنين، أي مَثْنِيٌّ عليه بالكمال في

---

(1) السور الحامدة في القرآن الكريم سبعة: خمسة منها باللفظ الصريح؛ وهي الفاتحة، والأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر، ويضيف لها العلماء سورتين هما: الفرقان، والملك، لأن تبارك من صيغ التمجيد والحمد.

البابين، واللسان هو محل الحمد - في الشائع - فهو يعلن، وَوَراءه قلب مصدق، والجوارح تابعةٌ منقادة، تصدق هذا الحمد وتؤيده، وهذه الثلاثة هي عناصر الاعتقاد، تصديق، وقول، وعمل ويزيد وينقص[1].

والحمد أفضل عنوانٍ لما ينبغي أن تكون عليه الصلة بالله على مستوى الإيمان والعبادة، يقول ﷺ وعلى آله «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه»[2] أحبوه لتعبدوه عن حب، والنبي ﷺ يقوم في النوافل حتى تَرِم

---

(1) في إشارة إلى أن الحمد يتفاوت باعتبار الحامد ودرجة ارتقائه. كما أن الإيمان يزيد وينقص بحسب المؤمن وحاله، وهذا من وجوه تجاوز الفقه الأكبر لفقه الفروع الذي ينظر في ظواهر الأشياء فقط. ومن مثل ذلك في السنة قول رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري في الأدب المفرد عن جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار رضي الله عنها أن النبي ﷺ خرج من عندها وكان اسمها برَّة فحول النبي ﷺ اسمها فسماها جويرية، فخرج - وكره أن يقال خرج من عند برَّة - ثم رجع إليها بعد ما تعالى النهار، وهي في مجلسها فقال: (ما زلت في مجلسك؟ لقد قلت بعدك أربع كلماتٍ ثلاث مراتٍ، لو وزنت بكلماتك وزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد - أو مدد - كلماته) الأدب المفرد، باب من ذكرعنده النبي ﷺ فلم يصل عليه، (رقم:649). ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، رقم: 79 - (2726).

(2) أخرجه الترمذي في السنن، باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ رقم 3789، والحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، باب ومن مناقب أهل رسول الله ﷺ، رقم 4716: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي».

قدماه وتتفطر، وحين يُسأل في ذلك أو يُشفق عليه بعبارات الإشفاق يقول: «أفلا أكون عبدًا شكورًا»[1]؛ والله تعالى يفصح على أن العبادة من مظاهر الشكر؛ بل هي مظهر الشكر ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر: 63]، أي وكن من الشاكرين بهذه العبادة، والحمد رأس الشكر كما في الأثر[2]، ومعنى كونه رأسًا أنه بدون الحمد لا يكون الشكر أبدًا، فالشكر متوقِّفٌ عليه، وسيجيء إن شاء الله أنهما ملتقيان بحسب العرف واللغة في موارد متعددة، نذكرها بحول الله تبارك وتعالى.

* * * *

(1) أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية، باب ما جاء في عبادة رسول الله ﷺ، رقم: 263.

(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: 4085، بسنده قال: قال رسول الله ﷺ: «الحمد رأس الشكر، ما شكر الله عبدٌ لا يحمده». والبغوي في شرح السنة، كتاب الدعوات، باب فضل التحميد، رقم 1271.

فصل في ذكر بعض جوانب العظمة في فاتحة الكتاب

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: في بيان أوليتها

المسألة الثانية: في إشعارها بكون القرآن رسالةً كاملةً وخاتمة

المسألة الثالثة: في جلالة موضوعها

المسألة الرابعة: في كونها براعة استهلال بلغت التمام

[المسألة الأولى : في بيان أولية الفاتحة]

سورة الفاتحة من مقاطع الجلالة رغم افتتاحها بلفظ «الحمد لله»، وهي أعظم سور الكتاب بإطلاق، وذلك في جوانب متعددة، نذكر منها هنا أربعةً، وهي: (الأولية، والإشعار بكمال الرسالة وخاتميتها، وجلالة الموضوع، وبراعة الاستهلال).

ولنبدأ بالأولية: فاتحة الكتاب هي أول مقاطع الجلالة، وأول مقاطع الحمد، وأول سور الكتاب، وهي سورة الحمد والصلاة، وهي على وَجازِتها وقلة آياتها، تعتبر أعظم سور الكتاب، وهي أول السور النازلة كُلًّا على الصحيح، فكانت جَديرةً بأن توضع في الصدر؛ لأنها الأولى، لأن سورة العلق نزلت خمستها فقط، أما بقيتها فتأخرت، ومثلها سورة نون التي من بعدها، والمدثر، والمزمل، والخامسة الحمد باعتبار الآي التي تقدمت، أما باعتبار الكمال، فهي أول سور الكتاب نزلت كاملة[1].

---

(1) قال السيوطي رحمه الله في الإتقان (1/ 69-73): النوع السابع في معرفة أول ما نزل: ....وقد اعتمد البرهان الجعبري على هذا الأثر في قصيدته التي سماها تقريب المأمول في ترتيب النزول، فقال:

مَكِّيُّهَا سِتٌّ ثَمَانُونَ اعْتَلَتْ ... نُظِمَتْ عَلَى وَفْقِ النُّزُولِ لِمَنْ تَلَا

إقْرأ وَنُونُ مُزَّمِل مُدَّثر ... وَالحَمْدُ تَبَّتْ كُوِّرَت الأَعْلَى عَلَا

وقال القاسمي رحمه الله في محاسن التأويل (9/ 506): «وأما أول سورة نزلت كاملة فهي الفاتحة»، وعند الشيخ رشيد رضا رحمه الله في تفسير المنار (1/ 39): «ثم كانت الفاتحة أول سورة نزلت كاملة، وأمر النبي بجعلها أول القرآن، وانعقد على ذلك الإجماع».

[المسالة الثانية: إشعار فاتحة الكتاب بكون القرآن رسالة كاملة وخاتمة]

يقول الشيخ سيدي المصطفى البحياوي حفظه الله: الفاتحة هي أول مقاطع الجلالة في روض الإلهيات، وهي أول الحامدات، وهي أم الكتاب، وأم كل شيء أصله، والأصول تسبق، ولذلك أجمع الصحابة على وضعها أولا لكونها سابقة، وكان أن صَدَّرت بالأصل بما أنها الأصل، إذِ الكتاب تفصيلٌ لمجملها في الأصول والفروع، وفي المعارف واللطائف، فجاءت مُصدَّرة بما ينبغي التصدير به، إفرادًا لله باستحقاق المحامد لذاته، ولموجبات ذلك وحيثياته، والبدء بالحمد في أصله عنوانٌ عظيمٌ يُنبئ عن أمرين مهمين هما:

[الأمر الأول: الكمال]:

فكانت الرسالة المفتتحة بالحمد تنبئ بأنها رسالة كمال؛ ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ [المائدة: 04]، والقرآن جاء جامعا للكتب التي تقدمت، وجاء النبي يحمل عنوان الحمد في اسمه «محمد» ﷺ وعلى آله، وأحمد ﷺ، وأسماؤه[1] الأعلام عليه ﷺ عنوان الحمد فيها ظاهرٌ بَيِّنٌ، وهو أكمل الرسل.

---

(1) أسماء النبي ﷺ تجلي العَقائدَ فيه، ومن ذلك ما رواه البخاري رضي الله عنه في صحيحه بسنده، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، رقم =

[الأمر الثاني: التذكير بطليعة البدء والإشعار بالختم]:

النبي ﷺ أكمل الرسل وخاتمهم، ولا يختم إلا بمسك التمام، كما أن بعض أهل العلم قال: إن يكن في الحمد سر الكمال والختم، ففيه أيضا طليعة البدء، وذلك أننا نجد في السنة في الحديث الصحيح «أن سيدنا آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام حين نفخ الله فيه من روحه، ووصلت الروح إلى الصدر فعطس، فألهم الحمد فقال: الحمد لله»[1] فأول شيءٍ عرفه الوالد - يعني الإنسان الأول - هو إفراد الله بالحمد، وشمَّتته الملائكة بما نُشمِّتُ به في رسالتنا العاطس حين يحمد فنقول له: «يرحمك الله»؛ فجاء الحمد مقرونًا بالرحمة إشعارا بأن الإنسان مرحومٌ ما حمِد، فالإنسان ما دام يحمد ربه فهو في رحاب الرحمة، ولذلك تجدون أن من أعظم حيثيات الحمد في سورة الحمد ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ - كما سيأتي تفصيله إن شاء الله -.

* * * *

= 3532: قال: قال رسول الله ﷺ: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب»، وكلها صفات يجب على أهل الإيمان أن يعتقدوها في رسول الله ﷺ، ومعتقد غيرها على خطر كبير.

(1) أخرجه الترمذي في السنن، ضمن أبواب تفسير القرآن، رقم 3368، و الحاكم في المستدرك برقم 7681، وغيرهم ونصه عند الحاكم: عن أبي هريرة، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله عز وجل آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال: الحمد لله، فحمد الله بإذن الله فقال له ربه: يرحمك الله يا آدم.

[المسألة الثالثة:
جلالة الموضوع في سورة أم القرآن]

يظهر إذًا أن جلال السورة من جلالة موضوعاتها؛ ذلك أنها عرَّفت بالله، وبطريق الوصل به، وبيَّنت سبيل الاستمداد من عطائه توكلًا وتوسلًا، ونذكر بعضًا من ذلك بإذن الله فنقول:

[أولا: التعريف بالله جل جلاله]:

لا عجب إذا وجدنا أول سور الكتاب تعرف بالأول جل جلاله، السورة الأولى من القرآن العظيم تعرف بالله العظيم الأول، تعرف به في صفاته العليا، وأفعاله العظيمة، وأسمائه الجليلة، فنجد في هذه السورة أجلَّ اسم وأعظمه: (الله)؛ وأجمل وصفٍ وأكمله: (الرحمن)؛ وأجلى فِعْلٍ وأتمه: (ربوبية الله للعالمين)؛ هذه السورة عرَّفت بالله في جوانب، وكان التعريف في صدرها لأنّ العقيدة هي الصدر، وهي الأصل.

[ثانيا: التعريف بطريق الوصل بالله جل جلاله]:

وجاء التعريف بالله أولا، منزل هذا الكتاب، ويليه التنبيه على طريق الوصل به ميثاقًا، ميثاق العبادة: «إياك نعبد»، لأنها سبب القرب والحب، وعنوان الشكر وميدان الذكر.

[ثالثا: ذكر التزكية في بابي التوكل والتوسل]:

وكانت خاتمة الفاتحة انتهاءً بباب التزكية الذي يرجع لمسألتين هما: التوسل والتوكل: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

[1: التوكل]:

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ باب للتوكل، إذا كنت تُوحِّد الله في باب الاستعانة، ولا ترى مددًا من غيره باعتبار الأصل، فهذا بابٌ للتوكل عليه، والله يقول: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: 58]، الباقي مدده وعطائه، قال أهل العلم: «لا تَتَّكِلْ عَلى مَنْ يَنْتَقِلْ، وَلا تَفْتَخِرْ بِالعَظْمِ النَّخِرِ»[1].

---

(1) القائل هو سيدي مصطفى حفظه الله، وهذه من بارقات النور التي تشع على خادم هذا العِلم الشريف، لهذا العلَم المنيف، ومثلها التي قبلها وهي قوله: «العبادة سبب القرب، وطريق الحب»، وقوله: «العبادة: عنوان الشكر، وميدان الذكر» وغيرها كثير، ولو لم يكن من بركات هذه الخدمة، إلا السعادة والنشوة الحاصلة حينما تشرق عليك بارقة نورٍ من فهمٍ مسددٍ، ونظرٍ مؤيدٍ، لولي من أولياء الله، وخادمٍ لأعظم وأتم رسائل الله، لكانت كافية وداعية، لأن يصرف الواحد فيها عمره وعامره، نسأل الله أن نكون معهم في الآخرة، وأن يشملنا وعدُ الصدق، الذي وعَدَ به نبي العتق، أحد الكرام من الصحب، حينما قال له: المرء مع من أحب.

[2 : التوسل]:

و﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ هذا توسلٌ، ودعاءُ وصلٍ، والتماسٌ للمَدَدِ، ووقوفٌ بالباب، ودعاءُ عبادةٍ كما صح عن سيدنا محمد ﷺ «الدعاء هو العبادة»[1] كما في سنن الترمذي والحديث صحيح.

وعرفت أيضا بالسالكين والهالكين، الأتقياء والأشقياء، فيما يسمى في تفاصيل القرآن بأنباء الكتاب ومصاير الأمم، الذين وافقوا والذين فارقوا.

* * * *

(1) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب فضل الدعاء، رقم: 717، والترمذي في السنن ضمن أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة، رقم: 2969، والإمام أحمد في المسند رقم: 18352، من حديث النُّعمان بن بشير، أن رسول الله ﷺ، قال: إن الدعاء هو العبادة، ثم قرأ: ﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾ [غافر: 60]

[المسألة الرابعة: براعة الاستهلال وبراعة الإكمال في سورة الحمد]

وبالذي سبق كانت هذه السورة في مطلع الكتاب، وبين يدي سوره براعة استهلال على حد قول صاحب الجوهر المكنون[1]:

وينبغي لصاحب الكلام تأنق في البدء والختام
بمطلع حسن وحسن القال وسبك أو براعة استهلال

وبراعة الاستهلال تمثلت في الفاتحة في تنبيهها على الموضوعات الكبرى في الكتاب، وذلك لمَّا جمعت أصول المعارف، وألمحت إلى أمهات مواضيع القرآن الكريم، وجوهرُها وتاجُها، وأصلُها بامتياز هو التعريف بجناب الله القُدُسي وسبحات كماله. كما أن براعة الإكمال تمثلت في كونها ختمت بما به الختم وهو الجزاء بإنعام أهل الهدى والانتقام من أهل الردى.

---

(1) الجوهر المكنون لعبد الرحمن الأخضري. ضمن الموسوعة المنتخبة من المتون الشرعية المتداولة، (2/289). والشيخ حفظه الله قال في الدرس من نظمه لهذا المعنى:

«وإن تشر لمقصد المقال بدأ فذا براعة استهلال»
«وإن تشر لمقصد التمام ختما فذا براعة الختام»

فصل في بيان بعض ما يتصل بالعقائد الإلـهية في طالعة سورة الحمد البهية

وذلك في مسائل ثلاث:

المسألة الأولى: في بيـان سـر مجـيء الحمـد بصـيغة الخبـر وهل يصح أن يراد به الإنشاء؟

المسألة الثانية: في بيان أركان الحمد في طالعة سورة الحمد

المسألة الثالثة: في وجه تعلق الحمد بالاسـم الجـامع «الله» جل جلاله لكونه تُستحضر معه كل الصفات

ونحن نقرأ جملة الحمد التي صدرت بها السورة: «الحمد الله رب العالمين»، نجد هذه الصيغة تدل على جوانب مما يتصل بالعقائد الإلهية منها: قدم الذات العلية، وقدم الكلام الإلهي، ويكون الكلام فيه في مسائل منها:

[المسألة الأولى: في بيان سر مجيء الحمد بصيغة الخبر وهل يصح أن يراد به الإنشاء؟]

ذلك أن هذه الجملة في صيغتها جملة خبرية، فيها مبتدأٌ وخبرٌ، وليست من قسم الإنشاء باعتبار الصيغة، فليس فيها أحمد الله، وإنما فيها: «الحمد الله» ومجيئها بهذه الصيغة ينبهنا إلى أن الله جلَّ في علاه هو صاحب هذا الحمد، وهو الذي حمد نفسه، وإنما يستفاد طلب الحمد من جهة أن الله علَّمنا كيف نحمده، أو على إضمار بعض المعربين لِلَفْظة «قل»، أي «قل الحمد الله» فتكون جملة الحمد معمولةً لفعل «قل» المضمر، والسر في ذلك، أي في مجيء الحمد في صورة الخبر لا في صورة الإنشاء، والمراد الإنشاء من جهات، منها:

[من أسرار مجيء الإنشاء بصيغة الخبر أن يكون للتفاؤل]:

فأنت حين تقول «الحمد الله» بدل «أحمد الله»، أنت تخبر عن الحمد ولا تنشئه، كأن الحمد فعلا تحقق وقُبِل منك، كما نقول للواحد «رحمه الله» والمراد: «اللهم ارحمه»، تفاؤلًا بحصول الرحمة له، ونقول

«صلى الله على سيدنا محمد»، والمراد: «اللهم صل على سيدنا محمد»، وهذا كثيرٌ خصوصًا في باب الأذكار التي تفتح لها أبواب السماء، كالحمد والصلاة وغيرها، والدعاء للغائب لأنه مقرون بالإجابة، فنقول عوض «اللهم اغفر له، اللهم ارحمه»، «غفر الله له»، و«رحمه الله» بصيغة الخبر، وتفيد معنى الإنشاء بقوة.

وقد يجي الإنشاء بصيغة الخبر تفاؤلًا اَو لاعتبار يستتر[1]

بمعنى أن مجيء الإنشاء في صيغة الخبر يكون للتفاؤل وفيه نكت أخرى منها التعليم.

[من أسرار مجيء الإنشاء بصيغة الخبر أن يكون للتعليم]:

وهو بالنسبة لآياتنا هنا أن الله عَلِم عجزَ عباده عن حمده، فَعلَّمَهُم كيف يحمدونه بما حمد به نفسه في أزله، وعليه؛ فالله محمودٌ قبل أن يحمده العباد، ومحمود مع حمدهم، ومحمود بعد حمدهم.

[فائدةٌ في دلالة جملة الحمد على أمور عظيمة منها: قدم الكلام الإلهي، وثبوت الحمد لله أزلا، واستحقاقه جل جلاله لجميع المحامد على أكمل وصف وأتمه]:

وإذا كان الحمد يرجع إلى القول ثناءً بجليل الصفات كما سيجيء معنا في التعريف، فإن هذه المسألة تذكرنا بعقيدة الكلام الإلهي وأنه صفةٌ

---

(1) هذا من نظم الشيخ في الدرس، وقال في هذا المعنى صاحب الجوهر المكنون في الثلاثة فنون (ضمن الموسوعة المنتخبة من المتون الشرعية المتداولة)، الباب السادس: في الإنشاء (2/282):

وقد يجي أمرًا ونهيا وندَا في غير معناه لأمر قصدا
وصيغة الأخبار تأتي لِطَلَبْ لفالِ أو حرصٍ وحملٍ وأدبْ

أزلية، وأن الله كان محمودًا بما حمد به نفسه في أزله، وذلك بتقدير قوله تعالى: «الحمد لله» أي: الحمد ثابتٌ ومتحققٌ وواجبٌ، وخاصٌّ وخالصٌ لي أنا المسمى: «الله» جل جلاله، أيُّ حمد هذا!؟ إنه الحمد المعهود الذي لا ندري حقيقته وتفاصيله العَليَّة، وهذا ما رجحه كبار من الأئمة، أو على تقدير الاستغراق: أي أن كل حَمدٍ، فالمستحق له في النهاية هو الله جل في علاه، لأنه مصدر كل نعمة وكل مدد، ولا يُتصوَّر عطاءٌ ولا مددٌ من سواه على الحقيقة، فيكون المراد به «آل» الكمالية[1]، الحمد الكامل، وفيه ضِمنًا الحمد المعهود الذي حمد به نفسه، وحمده به ملائكته، وحمده به أنبيائه، ونحن نقرأ في القرآن بأن الملائكة الكروبيين من حملة العرش يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون[2]، يسبحون بالحمد، ينزهون الله ويحمدونه، والحمد مقصودٌ لذاته، والتسبيح مقصودٌ للحمد، ولذلك قال أهل العلم بالعقيدة: كل حمد يتضمن التسبيح.

[فائدة: إفادة جملة الحمد لما يسمى عند علماء العقيدة بالتوحيد القديم]:

المسلم حين يقول: الحمد مُستحقٌّ وواجب وثابت استحقاقا ذاتيا لله العلي، بمعنى أن الله كان في الأزل موصوفا بصفات الكمال، ومستحِقًّا لأن

---

(1) «ال» في اللغة لها معان منها: أنها في الأصل للتعريف، وقد تجيء للاستغراق والجنس والعموم والكمال والعهد، يرجع إلى الكليات للكفوي، باب الألف واللام، ص 163 - 166. وعند ابن هشام في مغني اللبيب (1/ 60-65): أل على ثلاثة اوجه: أحدها أن تكون اسما موصولا، الثاني أن تكون حرف تعريف، وهي نوعان عهدية وجنسية، والثالث أن تكون زائدة.

(2) في إشارة لقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ...﴾ [غافر: 06].

يُحمد، فهذا يدل على قدم الذات العلية حسب مصطلح أهل العلم بالاعتقاد، يعني أوَّليَّتَها وقِدَم صفاتها، وقِدَم الشأن في عالم الفعل، وحتى الأسماء التي تأخر متعلَّقُها كالربوبية، وكالخلق، إنما تأخر تعلقها التنجيزيُّ، لكن التعلُّق الصُّلوحي كان - كما يقول علماء العقيدة -، ومعنى التعلق الصلوحي: أن الله كان من شأنه الخلق، لم تُحدث له هذه الصفة، وهذا الذي أشرت إليه في نظم «منحة المهدي» حيث قلت:

مازال بالوصف القديم قبل أن ... ولم يزل جل به من بعد أن
لم يتسمَّ باريا حين برى ... بل كان خالقا ولاشيء يُرى
أي ثبتت له معاني ما سُمِي ... به ثبوتَ مُستحقّ فاعلم
من قبل أن يُنمَى لها من أثر ... كالخلق والرزق والإحيا فاذكر

الله حين بَرَى الخلق، لم يحدث له الاسم، وإنما كان باريا باعتبار الشأن، من شأنه أن تكون له القدرة على أن يخلق ويسوي، فتأخُّرُ التعلق به لا يعني تأخر الصفة، حدوث المُتعلِّق لا يعني حدوث المتعلَّق الذي هو الصفة، فربُّنا جل جلاله كان موصوفًا بالكمال ربوبيةً ورحمةً وملكًا، قبل أن يكون شيء مما هو متعلق هذه الصفة، لم تحدث لله صفة، لأن حدوثها يعني أن مولانا عز وجل محل للحوادث، وهذا يؤذن بأنه ليس أوَّليا، أي ليس إلهًا، لأن من ضرورة الإله أن يكون أوليًا أزليًا، وأن يكون وجوده عين ذاته.

* * * *

[المسألة الثانية: في بيان أركان الحمد الذي تضمنته سورة أم القرآن]

الحمد ثابت لله ويقتضي أمورًا خمسة، كما يقول أهل العلم:

[الركن الأول «الحامد»]:

الحامد لا بد من أن يكون عارفًا، ومحبًّا، ولابد أن يكون بينهما (أي بين المعرفة والمحبة) الاعتراف، إذ قد تكون عارفا غير معترف: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: 14]. ولابد أن يكون الحامد من أهل العقل، فلا يتصور في الحامد كونه غير عارف بما يحمد، ولا لم يحمد، ويُشترط فيه أيضًا أن يكون مبجِّلًا لمن يحمده حتى يخرج المادح، إذِ المادح قد يكون مُبجِّلًا وقد لا يكون كذلك، فيكون له غرض آخر، وحتى يخرج الذي يحمد لكن على وجه غير وجه التبجيل، لأنه عندهم في التعريف يقولون: «الحمد ثناء بالجميل على الجميل الاختياري على وجه التبجيل»[1]، فإذا اختل شرط من هذا لا يكون حمدًا، هذا في التعريف

---

(1) تعريف الحمد في كتب الاصطلاح كما عند الجرجاني في التعريفات باب الحاء (ص 97): هو الثناء على الجميل من جهة التعظيم من نعمة وغيرها. وهو أقسام منه حمد قولي، وحمد فعلي، وحمد حالي، وحمد لغوي، وحمد عرفي. ومن بديع القول في الباب ما سطره يراع الإمام ابن عطية في المحرر الوجيز =

اللغوي، والتعريف الاصطلاحي يتطابق مع تعريف الشكر لغة وهو فعل أو قول ينبئ عن تعظيم المنعم من جهة كونه منعما، فأفاد هذا أن الحامد لا بد أن يكون عارفا. فلذلك إذا كان اللهُ قد حمد نفسه، فذلك لأنه هو الأعلم بنفسه وكماله جل في علاه.

[الركن الثاني «المحمود»]:

والمحمود من شرطه أن يكون حيا وفاعلا بالاختيار، لأنه لا يُحمد على ما ليس له، ولا ما ليس منه، الشيء الذي يكون الحمد عليه لا بد أن يكون متعلَّقه في المحمود الفعل الاختياري كما قال بعض أهل العلم، وهذا أيضا مما يفرَّق فيه بين الحمد والمدح، فقد تمدح الشيء لشيء ليس له فيه اختيار، ولغير الحي فتقول: هذه الجوهرة ما أجملها فتنطق بصيغة حمد، وهو ذكر أوصافها، ولا تسمى بذلك حامدا لها، لأن محمودك الذي تمدحه ليس حيا، وثانيا لأن هذا الشيء من الكمال ليس له فيه اختيار.

[الركن الثالث: «محمود به»]:

(ما يكون به الحمد ثلاثة: قول وفعل واعتقاد)

«المحمود به» إما أن يكون قولا، ومن شرطه أن يكون من الصيغ الكاملة في الوصف، سواء في باب الجلال، أو في باب الجمال، أو في باب الكمال، في باب الجلال تقدسا وتنزيها، وفي باب الكمال ذكر لباب

= وهو بصدد تفسير سورة الفاتحة، يرجع إليه من رغب في ذلك (1/66). وقد أتحفنا الشيخ سيدي مصطفى جزاه الله خيرًا بدرر من القول في هذه المسألة في مجالس تفسير سورة الفاتحة التي أملاها ضمن الكراسي العلمية.

الصفات الثبوتية، من مثل: «الحي القيوم»، «الله اكبر»،... فهذا الذكر نوع من أنواع الحمد. وقد يكون الحمد على مستوى القلب، اعترافا وتذكرا واستحضارا لعظمة الله، لأنه حمد قلبي، وقد يكون الحمد بالخدمة والانقياد بشرطه، فيكون المُصلِّي حامدا بصلاته، وشاكرا بحجه، وحامدا لله بتلاوته لذكره، وحامدا لله بالوقوف عند أمره ونهيه، فيكون الحمد هنا على حد قول القائل:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا[1]

يقول للذين أكرموه وأسبغوا عليه أياديهم: استفدتم مني مقابل ما استفدت منكم ثلاثة للوفاء: يدي خدمة لكم، ولساني بالثناء عليكم، وضميري المحجَّب اعترافا بجميلكم.

لكي يكون الإنسان حامدًا، لا بد أن يغطي الثناء هذه الأعضاء كلّ عضوٍ على خصوصيته، اللسان نطقًا، والجوارح رقا، والضمير رقة في باب الذكر والاستحضار لعظمة الله وجليل وصفه وتنزهه.

---

(1) البيت من الشواهد التي يوردها أهل العلم في كتبهم لبيان معنى الحمد والشكر، وممن ذكره: الإمام البيضاوي في أنوار التنزيل، (1/27) قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: الْحَمْدُ لِلَّهِ؛ الحمد: هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة أو غيرها، والمدح: هو الثناء على الجميل مطلقاً. تقول حمدت زيداً على علمه وكرمه، ولا تقول حمدته على حسنه، بل مدحته. وقيل هما أخوان. والشكر: مقابلة النعمة قولاً وعملاً واعتقاداً قال:

أفادَتْكُمُ النُعْمَاءُ مني ثلاثَةً يَدي ولساني والضَّميرَ المُحجَّبا

وذكره أيضا أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية، ص 202.

[الركن الرابع: المحمود عليه]:

ولا بد فيه أن يكون إحسانا، أو محاسن وكمالات، وكونه من قبيل الفعل الاختياري أو ما يترتب عليه الفعل الاختياري بالنسبة لذات الله تعالى، فنحمد الله على وجوده، لأن وجوده العلي تترتب عليه سائر الكمالات، وأول الصفات عند علماء العقيدة صفة الوجود، وهي كما يقول علماء العقيدة «صفة نفسية»[1]، وعليها تترتب سائر الصفات بدءا بصفات التنزيه من السلوب: مثل الغنى المطلق، الوحدانية، المخالفة للحوادث، وكونه لا يخضع لزمان ابتداء ولا انتهاء، فهو الأول قبل كل شيء، وهو الأخر بعد كل شيء، حياة الله المطلقة التي لا يحكمها أي شيء ابتداء ولا انتهاء.

---

(1) يقسم علماء الكلام صفات الله تعالى إلى: صفات واجبة لله جل جلاله، وصفات مستحيلة في حقه، وصفات جائزة، وقد نظمها ابن عاشر رحمه الله تعالى فقال في المرشد المعين (ص: 7-8):

كتاب أم القواعد وما انطوت عليه من العقائد:

يجب لله الوجود والقدم ... كذا البقاء والغنى المطلق عم

وخلفه لخلقه بلا مثال ... ووحدة الذات ووصف والفعال

وقدرة إرادة علم حياة ... سمع كلام بصر ذي واجبات

ويستحيل ضد هذه الصفات ... العدم الحدوث ذا للحادثات

كذا الفنا والافتقار عده ... وأن يماثل ونفى الوحده

عجز كراهة وجهل وممات ... وصمم وبكم عمي صمات

يجوز في حقه فعل الممكنات ... بأسرها وتركها في العدمات

[الركن الخامس: صيغة الحمد]:

[وتحته بيان أنواع التوحيد التي تدل عليها جملة الحمد: «الحمد لله رب العالمين»]:

حين نقرأ جملة الحمد بصيغة: «الحمد الله» مستحضرين تلكم المعاني، نستفيد أن إخلاص الحمد هو المسمى عند بعض أهل العلم بالعقيدة، التوحيد العلمي والإرادي، ونزيد الإشهادي، ثلاثة أنواع من التوحيد نستخرجها من جملة الحمد:

[أولا: التوحيد المعرفي أو العلمي]:

لأن الحامد لله على وجه الاختصاص كما في طالعة الفاتحة، لا يكون حامدا إلا وهو يعلم أن محموده جدير بهذا الاستحقاق الحمدي، أي بالصورة المذكورة كمالا واستحقاقًا لأَنْ يُحْمَدَ ويُعْبَد.

[وثانيا: التوحيد الإشهادي]:

إذ لا بد أن ينطق الحامد، لأن الإقرار والإشهاد بالتوحيد ضروري، يقول أهل العلم: والنطق بالعقيدة وبالتوحيد، هل هو شرط أم شطر؟ ومؤداهما واحد، لأن شطر الشيء من ماهيته وهو ركن فيه، وشرطه يتعلق به أيضا، لأن الشرط يؤثر وجوده وعدمه، بقي هل يدخل في الماهية أو هو خارج الماهية، لكن هو شرط فيها، كما نقول في الصلاة مثلا: الركوع شطر في الصلاة وهو أحد أجزائها، لكن الطهارة شرط في قبول الصلاة وصحتها وليس من أجزائها، فسواء يكون خارج الماهية أو داخلها لا يؤثر في قيمة النطق، لا يكون حمد إلا وهو ثناء، ولا يكون ثناء إلا والقول حاضر. وهو ما نسميه بالتوحيد الإشهادي.

[وثالثا: التوحيد الإرادي]:

أن تكون مختارا لا تحت إكراه، فالحامد محبّ، والمحبّ ينطقُ باختياره، ويودُّ لو استمر لسانه ناطقا بالحمد إلى ما لا نهاية.

فهذه ثلاثة أنواع من التوحيد نستخرجها من صيغة الحمد، ومفادها أن هناك توحيدًا يسمى بـ«التوحيد القديم». للتفريق بينه وبين التوحيد الحادث كتوحيدنا نحن، الله وحَّد نفسه أزلًا، ونستخلصها من أنه حمد نفسه، ويسمى هذا بإفراد الله نفسه بالعبادة، ثم إشهاد الله، وشهوده لنفسه بهذه الحقيقة، فنجد في القرآن مثل هذا اللون من ألوان التوحيد الإلهي، ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: 18]، الله شهد لنفسه باستحقاقه الألوهية، وقال لموسى وهو على أبواب النبوءة: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: 13]. فهذا لون من ألوان حَمْدِ الله لنفسه وتوحيده لذاته، ويسمى بالتوحيد القديم، أي أن إفراد الله نفسه بالتوحيد، وإشهاده أيضا كان قديما، نأخذه من صيغة أن الله حمد نفسه في الأزل.

وأزيد إن شاء الله، أنه إذا كان الله قد حمد نفسه في أزله، وأخبرنا بأن استحقاقه للحمد استحقاق ذاتي، فما موضع حمدنا نحن من حمد الله لولا أن الله رضي منا أن نتقرب إليه بالأقل، شأن الكريم الجواد الذي يعطي على أقل ما يكون أجلَّ ما يكون، إنه الله.

* * * *

[المسألة الثالثة: في وجه تعلق الحمد بالاسم الجامع «الله» لكونه تُستحضر معه كل الصفات]

«الحمد الله» يجيء تعلق الحمد هنا باسم الجلالة «الله» الذي نرتاع في رياض معانيه مع هذه المقاطع الجليلة، لأنه الاسم الجامع الذي تُستحضر معه كل الصفات، سواء صفات الكمال والجمال، أو صفات الجلال، وعلماء العقيدة حين يطلقون الجلال يحيلون على صفات التنزيه، ورب قائل يقول: وهل يقع الحمد على التنزيه الذي هو سلب؟ الجواب نعم، لأنه ينتهي إلى ذكر وإثبات صفة ثبوتية، ولو تتبعنا الحمد في القرآن لوجدناه يقع على السلوب، ويقع على الجلال، ومثاله في القرآن قول الله جلا في علاه: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء: 110][1]، وكلها سلوب، (لم يتخذ ولدا، لم يكن له شريك في الملك، لم يكن له ولي من الذل)، حمد الله على انتفاء الحاجة إلى الولد، والحاجة إلى الظهير والولي، والحاجة إلى أن يكون معه شريك، نفي التعدد والتولد، فيكون له ولد، ونفي الحاجة إلى المدد، فيكون له ولي من الذل يحتاج إليه لينصره ويؤيده، ألوان من التنزيه تعلق الحمد بها، لأنها في النهاية حمدٌ لله على غناه، وعلى صَمَدِيَّتِه وعلى أحديته وتفرده، ولذلك قال أهل العلم بأن

---

(1) في الختم بالتكبير في سورة الإسراء انعطاف المقطع على المطلع، لأن التكبير من صيغ التسبيح، فقولنا: الله أكبر، بمعنى أننا ننزه الله عن كل نقص.

التكبير الذي به ختمت السورة ﴿ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾، وإن كان من صيغ الإجلال، فإنه يدخل ضمن صيغ الحمد، فالذي يقول «الله اكبر، الله أكبر»، ماذا يصنع؟!، يحمد الله على جلاله، لأنه يُجِلُّه ويكبِّره تكبيرا عن أن يكون له وصف لا يليق به، وينزهه عما نُسِبَ إليه بالوهم الخاطئ، من ولد أو ظهير أو نحو ذلك، تعالى ربنا عن ذلك علوا كبيرا.

وكما نجد في الكتاب إيقاع الحمد على مضمون أفعال خاصة بالله كالخلق والبرء، ونفرق بين الخالق والبارئ كما فرق القرآن. البرء خلق الأنفس، ولذلك يقال برأ النسمة، والخلق أعم من البرء، والتصوير تخصيص الخلق بصوره وملكاته تعديلا بحسب الوظائف ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [الأنعام: 01]، والخلق أثر من أثار فعل الله، وأثر من آثار صفاته، الله دَلَّ على نفسه بآثاره، ودلَّ بآثاره على صفاته، وبصفاته على أفعاله، وبأفعاله وصفاته على ذاته، وبقي الناس يستدلون كل من جهته وحسب مقامه، فمن مستدلٍّ به، إلى مستدلٍّ عليه، وشّتان بينهما، الله لقَّن نبيه بقوله: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾ [الرعد:44، والإسراء: 96]، الله يشهد لي. ونحن إنما نَتَّبع الاستدلال بالأثر من تحت: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿17﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿18﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾ [الغاشية: 17-20]، ومن آثارٍ كيفيةٍ قريبةٍ ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿21﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿22﴾ ﴾ [الذاريات: 22]، انظروا إلى هذه الآثار، ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾ [الروم:49]. أثر الصفة، ولا طريقة لمعرفة الله إلا من هذه، أي طريق الآيات أثرًا، وهذا منهج الكتاب في كثير من الآيات.

تتبع أثار الله في الوجود وفي نفسك، من طرق معرفة الله، ومنها أيضا طريق الأسماء الحسنى تعرفا، فلذلك الذين لُقنوا الأسماء أولا كالأنبياء، شهادتهم واستدلالهم دائما بالله على غيره، لا بغيره عليه.

وفي قول الله تعالى في صدر سورة الكهف ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف:01]، فالإنزال فعله، وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: 112]، الوحي كلمته، وهي من أثره، فتقرأ القرآن وتتوحد معه، فإذا بك تجد الله يتجلى لك بصدق في كلماته محذرا، واعظا، مقتربا جل وعلا، دانيا عاليا، الله يتجلى للتالين بالشرط من خلال كلماته كما يتجلى للمتتبعين نظرا في آياته.

إذًا الحمد في القرآن عُلِّق على الآثار، وعُلِّق على الجلال، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾، يدل على صفة التنزيه، وعلق على أفعال خاصة كما في صدر سورة فاطر، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر: 01]، وهذا معنى البري، أو البرء، لأنه خلق الملائكة وهم أجسام نورانية، لا يعصون الله ما أمرهم، الأنفس في أعلى تَرقِّيها، تتمثل في عالم الملائكة، أنفس روحانية عالية، نورانية لا تقبل الظلمة، ولا الكدر، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، بل عباد مكرمون، أُكرِموا بهذا اللون من ألوان التخصيص، هم أيضا من آثار الله التي تطالع فيها حمده.

فصل في بيان بعض ما يتعلق باشتقاق الاسم الكريم «الله» جل جلاله وبيان معانيه، وخصوصياته[1]

وذلك في مسائل:

المسألة الأولى: في بيان كون الاسم الكريم مشتق غير جامد

المسألة الثانية: في بيان معاني كلمة «إله» في اللغة ووجوه دلالتها

المسألة الثالثة: في جوانب من خصوصية اسم الجلالة

---

(1) سبقت الإشارة فيما مضى إلى أنه على امتداد المقاطع الجلالية سيتم بيان بعض ما يتصل بالاسم العظيم «الله» في جوانب مختلفة بحسب ما يتسع له المقام. وقد مضى بعضٌ من ذلك في فصل مختصر عند ختام القسم التمهيدي (ص209- 214).

[المسألة الأولى: في بيان كون الاسم الكريم «الله» مشتق غير جامد]

﴿ٱلْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، اسم الجلالة الذي عُلِّق عليه الحمد، كنا وعدنا بأننا سنقف عنده كل مرة مع كل مقطع لبيان بعض خصوصياته، وسبق أن بيَّنَّا أن هذا الاسم الجليل سيستمر معنا في مباحث منها ما يتعلق باشتقاقه ودلالته، ومن جهة أدائه، ومن جهة رَسْمِه، ومن جهة وَسْمِه، وبعض خصوصياته، ونستحضر الآن مع أول جلالة في مقطع الحمد في طالعة الكتاب بأن أكثر النحاة على أن اسم الجلالة مشتق ومنقول، وذلك أن الغرض من التسمية هو التعريف بالمسمى، والحكمة من الوضع هو فهم المعنى من اللفظ، فَبَعِيدٌ كل البعد أن يكون هذا الاسم ليس ملحوظا فيه دلالة الأصل، فهو أجلُّ الأسماء وأعظمها، ولذلك قال أهل العلم، من الأصح أنه مشتق من إله، و«إله» في دلالة اللغة يطلق على المعبود بحق وباطل، هكذا بالتنكير، فإذا دخلت عليه «ال» عَرَّفَتْهُ، وصار مستعملا في المعبود بحق، ولذلك لم يطلق «الإله» هكذا بالتعريف على أحد إلا الله، وإنما يوجد إله بني فلان، فيضاف أو ينكر أو يجمع (آلهة)، وهذا الذي نجده في أصول مصادر اللغة من شعر العرب وغيره. ثم لما أُريد استعماله في المفرد العلم، غُيِّر بعض التغيير، وعندهم التغيير في

أبواب كما في باب النسبة، ومثله باب العلمية، فحذفوا الهمزة منه، وأوصلوا «ال» به فأدغموا اللام الأولى في الثانية فصار الله، وفي ذلك قلت نظمًا:

الاسم ذو التقديس وهو الله ... على الأصح أصله الإله
أُسْقِطَ مِنه الهمز ثم وُصِل ... بـ«أل» لزوما ولذاك جُعِل
عَلَمَ مُفردٍ على الذي عُبِدْ ... بالحق دون من سواه فاسْتَفِدْ

«أل» كما في الأُنَاس. مفرد إنسان تجمع على ناس وأناس، «أناس» حذفت هنا الهمزة، فسميت «ناس» وعرفت بـ«ال» فصارت «الناس» وهذا الحذف معروف في لغة العرب، وحَمَى اللهُ هذا الاسم الكريم من أن يتسمى به أحدٌ هيبةً، وذلك مصداقا لقول الله تعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: 65]، أي لا أحد تسمى باسمه.

* * * *

[المسألة الثانية: في بيان معاني كلمة «إله» في اللغة ووجوه دلالتها]

إذا ذهبنا مع أكثر النحاة في أن الاسم الجليل «الله» مشتق من إله، وجب أن ننبه على معاني كلمة «إله»، لأن استحضارها يعطينا صورة عما تحمله من دلالات، خاصة بالنسبة لهذا الاسم الكريم. من ذلك أنه نسب إلى سيدنا عبد الله ابن عباس رضي الله عنه أنه سئل عن لفظة «إله»، فقال: «ذو الإلهية على جميع خلقه»[1]، فنبه إلى أنها مشتقة من «ذو الإلهية»، صاحب هذه الصفة، أي صاحب استحقاق أن يؤله على جميع خلقه، ولذلك سيجيئنا إن شاء الله بيان استحقاق التأليه، أي من يَستحقُّ أن يُؤلَّه بالحب والرجاء، أو بأن تعمل له وقد خلقت له، الذي يستحق أن يُعبد هو صاحب هذه الصفات جل جلاله، الذي تفرد بها ربوبيةً ورحمةً وملكًا في يوم الجزاء.

---

(1) أورد هذا الأثر ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره (1/ 123) قال رحمه الله: القول في تأويل قول الله: «الله». قال أبو جعفر: وأما تأويل قول الله تعالى ذكره «الله» فإنه على معنى ما روي لنا عن عبد الله بن عباس: هو إلهي يألهه كل شيء، ويعبده كل خلق، وذلك أن أبا كريب حدثنا، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عمارة، قال: حدثنا أبو روق، عن الضحاك، عن عبد الله بن عباس، قال: «الله» ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين.

قال أهل العلم بالاشتقاق: «الإله» أصوله كثيرة يمكن أن تصل إلى أكثر من عشرة معاني، وأنا عندي لو استحضرناها لألفيناها باقةً من كمالات ترجع كلها إلى الصفات الإلهية، يقال لاه يليه، إذا ظهر وعلا، ولاه يلوه، إذا احتجب واختفى، وهذا أصله: «ليه» و«لوه» لاه يليه ليها، ولاه يلوه لوها، انقلبت الواو والياء ألفا فصارت لاه ثم وصلت بـ«ال» فصارت الله، فيصبح معنى «الله» الظاهر الباطن، ظاهر محتجب، وسبقت الإشارة إلى أن كلمة «الله» بدايتها الهمزة وهي بداية النطق بالحرف الجهير، والانتهاء بالهاء أخفى الحروف على الإطلاق، قال سيدنا السمنودي[1] رحمه الله في نظمه في باب التجويد: وللخفا هاو، حروف الخفاء أربعة، أولها الهاء، وهذا في علم الأداء، ورجع أنه بالنطق يدل على الوصف، وبأصل الاشتقاق يدل عليه، فوجوده ظاهر واستحقاقه ظاهر والناس حين يخطئون الطريق إليه، يَشْقَونَ في البحث عنه، فمن مؤله قمرا أو شمسا أو حجرا أو وهما يصنعه.

ومن أصول الاشتقاق لإله، يقال وَلِه يله أو يوله، إذا ولع بالشيء وفزع إليه وطرب بالشوق له، فرجعت إلى معاني أخرى، بنكهة أخرى في لفظة «إله»، أي أنه الذي يُفزع إليه عند نزول الخطوب والمكاره، ولا يُفزع

---

(1) السَّمنُّودي: إبراهيم بن علي، السمنودي، من مواليد سنة 1915م بمدينة سمنود بجمهورية مصر العربية، عالم نحرير، وفاضل كبير، يشار إليه بالبنان في علم التجويد والقراءات، وله تآليف نفيسة فريدة، وتصانيف عجيبة مفيدة، نيفت على الثلاثين ما بين مخطوط ومطبوع، منها منظومة «لآلئ البيان في تجويد القرآن». ترجمته في: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري (3/ 753).

إلا لغني يُحَصِّنُ وعنده الحماية. وولِع أو ولَع، وهما اشتقاقان في اللغة بمعنى تعلق تعلقا على غاية ما يكون التعلق، الولع، شدة الحب والكَلَف، ويكون ذلك في المحبوب لكماله وجماله وعظمة آيِ إحسانه، فترجع لمعنى المحبوب.

وأَلِه يأَلَه، إذا عبد وإذا تحير، معاني الوله، الإله، وِلاه، إله، أو وِلاه في الأولى، بمعنى المتحير فيه، وهذا التحير ليس تحير الارتياب، وإنما تحير الإطراب، أو تحير الاقتراب، كما يتحير الإنسان عندما يقترب من كمالٍ يجهله ويتحير في كمالاته، وليس بتحير الضلال أو الاضطراب المتحير فيه. وولِه إذ احتيج إليه، فهو المحتاج إليه من جميع خلقه في جميع حاجاتهم. وولِه إذا سكن إليه.

يظهر مما سبق إذًا تعدُّدُ دلالات لفظ إله، وكيف صار الإله بدخول آل، وكيف حذفت منه بأنواع من التعليل، حتى صار الله، لتُسْتَحْضَرَ كل هذه المعاني التي هي صفات كمال في الله جل في علاه، وقد نَظَمْتُ هذه المعاني العشرة حتى نستعين بها على عادتنا في نظم المعاني ليسهل استحضارها، فقلت في رجز منهوك:

[نظم معاني كلمة «إله»]

وخذ معاني إله ... عشرة بلا اشتباه
منها علا[1] وحجبا[2] ... فزع[3] معْه طربا[4]
عبد[5] تحير[6] وطن[7] ... ولع[8] واحتاج[9] سكن[10]
وهي إذا تلاحظ ... بها الكمال يحفظ
لأجل ذا فالعلم ... الله الاسم الأعظم

لجمعه كل المعان ... من سر الأسماء الحسان
ولهُ قَدْ خُصَّ بما ... حَيَّر لُبَّ العُلمَا
آخره رُدَّ إليه ... واللام قد دل عليه
وهو أجْمَعُ أَخَصّ ... فليس يطلق بِنَصّ
وَفُكَّ رَسْمًا وَوُصِلْ ... لِسِرٍّ فيه قَدْ عُقِلْ
ومع ذا فالعدد ... بوفقه متحد
جلا جلاله علا ... ليس له مثل ولا[1]

وخذ معاني إله عشرة بلا اشتباه، منها علا **(لاه يلوه) (لاه يليه)**. «وحجبا» احتجب **(لاه يلوه) فزع (وله)** معه طرب، عبد، تحير ووطن معناه قام بكذا، القائم على كذا، في اللغة يقال وَلِه إذا قام، وقام على الشيء، وقيام الله على الوجود بالتدبير، ولع واحتاج سكن، وهي إذا تلاحظ بها الكمال يحفظ، إذا لاحظتها واستحضرتها فقد استحضرت مجامع ومعاقد الكمال الإلهي، فالله عالٍ، وهو في عُلوِّه دانٍ، وهذا سر احتجابه، مفزوعٌ إليه عند الاحتياج، وهذا دليل كماله، يَطرَبُ من عرفه، أله إليه طرب إليه، ويشتاق إليه من أدرك سر كماله وجماله، لأنه وقف على جمال ليس ورائه جمال، «عَبَدْ» ولا يكون عابد إلا مع حب كما سيجيء إن شاء الله. فالعبادة هي غاية التذلل لمن له كمال التفضل، غاية التذلل لمن منه غاية التفضل جل وعلا، وهي إذا تلاحظ بها الكمال يحفظ، لأجل ذا (لأجل هذا)، فالعلم ـ العلم على هذه كلها - الله الاسم الأعظم، لجمعه كل المعان من سر الأسماء الحسان.

وله قد خص بما ... قد حير لبَّ العلما

---

(1) بمعنى ليس له مثيل ولا شريك ولانظير ولا ند...

رَجعًا إلى صورته المرسومة، آخره رد إليه، عليكم أن تعرفوا أن مخرج الهاء هو مخرج الهمزة، مصيرنا إلى الله، آخره رد إليه: الله، لكن الرجوع إليه ليس هو الابتداء، ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾ [العلق: 8]. أخره رد إليه، واللام قد دل عليه، لام جلاله ولام كماله، لامان بينهما، وفك رسما ووصل، لا تدغم اللام في الرسم، ولكن تدغم في النطق، وفك رسما ووصل، فالرسم مفكوك وفعلا، آيات الجمال غير آيات الكمال، لكنها مجموعة في نطقك أيها العارف، أنت لا تنفك ملاحظتك لله الصمد، وهذا من المسائل التي ترجع لمسائل الاعتقاد، في الوقت الذي تحب الله تخافه، وفي الوقت الذي تخافه تقترب منه، وهذا شيء غير معتاد في المخاوف الأخرى، مع غير الباري عز وجل، حين تخاف من الداء تهرب منه، وحين تخاف من الله تقترب منه.

وفك رسما ووصل لسر فيه قد عقل
ومع ذا فالعدد بوفقه متحد

«الله» في حالة النطق أربعة أحرف، والصورة ألف همزة لام أولى لام ثانية فهاء، مع الكل، أننا نحذف في النطق شيء يرسم خطا، وننطق بشيء لم يرسم، ومع ذلك العدد أربعة. إشارة إلى أن طريقك إلى الله من أي جهة دخلت إليه، انتهى إلى واحد، وهو ما يؤكد عقيدة أن تعدد الأسماء لا يعني تعدد القدماء كما هو في جدل المتكلمين، الأسماء على اختلافها هي أسماء لواحد، وهي نوافذ على كمال متحد، منها نطالع كمال الباري جل وعلا.

سئل الجنيد[1] رضي الله عنه: كيف السبيل إليه؟ فأجاب بكلمات يمكن ترجمتها بالقول: «بقلب مفرد، فيه توحيد مجرد»[2]. يعني أنك لن تدخل على الله إلا من خلالك، وفي أنفسكم آيات تدل عليه، أليس هو الذي يُميتُك يوميا، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ [الأنعام:61]، ألا ترى هذه الآيات فيك؟ ولكن من أَلِفَ تَلِف، والعادة أم البلادة، ومن شدة الظهور الخفاء[2].

جمال الحضرة يصل بها إلى قمة الإشراق، وإذا كان الإشراق مع الاستغراق وعدم تصور الأفول، تحول الظهور إلى ضمور، وهذه مسألة نقف عليها إن شاء الله في مسائل من خصائص الوجود العلي بحسب ما نقدر عليه.

* * * *

---

(1) أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي، ثم البغدادي، سيد الطائفة وشيخ الصوفية، ترجمته في: طبقات الصوفية: (ص:129 - 135)، وحلية الاولياء (10/ 274-255)، وتاريخ بغداد: (7/ 249-241)، الرسالة القشيرية: (430؛ 431)، وسير أعلام النيلاء: (14/66)، وطبقات الأولياء: (ص110)، وغيرها.

(2) سئل رحمه الله: كيف الطريق إلى الله؟ فقال: توبة تحل الإصرار، وخوف يزيل الغرة، ورجاء مزعج إلى طريق الخيرات، ومراقبة الله فى خواطر القلوب، طبقات الشافعية: (2/264).

(3) قال البوصيري رحمه الله في الهمزية في مدح خير البرية:

واختفى منهم على قرب مرآ ه ومن شدة الظهور الخفاء

[المسألة الثالثة:
في جوانب من خصوصيات اسم الجلالة الكريم]

الاسم الأقدس «الله» له خصوصيات كثيرة نذكرمنها:

[أولا: أنه يوصف ولا يوصف به]:

وهذا دليل عَلَمِيَّتِه وأَكْمَلِيَّتِه، فلا نقول مثلا: (الرحمن الكريم العظيم الله)، نقول: الله، ثم نردفه بالصفات، الرحمن، الرحيم....

[ثانيا: وهو خاص لا يطلق على غيره]:

اسم الجلالة خاص بواجب الوجود ولا يطلق على غيره، بينما الأسماء الأخرى تطلق على غيره بنوع من أنواع المجاز، أما هذا فلا يطلق على غير الله لا مجازا ولا حقيقة، هذا من خصوصيات الاسم الكريم، وصدق الله العظيم إذ يقول في سورة مريم: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾.

[ثالثا: ومن خصوصياته أن علماء اللغة يسوغون مناداته بغير واسطة «أي» رغم أنه مُصدَّر بـ«آل»]:

معلوم أن ما فيه «أل» لا ينادى إلا بواسطة «أي» إلا مع اسم الله ومحكي الجمل، كما قال ابن مالك رحمه الله:

وباضطرار خص جمع يا وأل إلا مع الله ومحكي الجمل
والأكثر اللهم بالتعويض وشذ يا اللهم في قريض[1]

معناه لا يجوز الجمع بين «أل» و«يا» إلا في محكي الجمل، ومع اسم الجلالة، وهل نصل الألف حذفا، أو نثبتها همزة قطع؟ الراجح تحقيقها وإن كان الحكم جواز النطق بها موصولة، فنقول يا الله، ولا يجوز في الاختيار والسعة مناداة ما فيه «أل» إلا بواسطة «أي» أو «أيها». ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، أما أن تقول يا الإنسان، يا الرجل، هذا لا يجوز في السعة[2] إلا في اسم الجلالة، تقول «يا الله» حتى تلك الواسطة التي بها تناديه تحذف لحصول تمام الوصل، وهذا من لطائف الإشارات، ومثلها بالنسبة للرب، حذف «يا» باضطراد في القرآن، إلا في

---

(1) ألفية ابن مالك، باب النداء، ص67.

(2) أما في ضرورة الشعر وغيره فهذا جائز كقول الشاعر:

فيا الغلامان اللذان فرَّا إياكما أن تعقبانا شرَّا

والأكثر في نداء اسم الله اللهم بميم مشددة معوضة من حرف النداء وشذ الجمع بين الميم وحرف النداء في قوله:

إني إذا ما حدث ألما أقول يا اللهم يا اللهما

وإنما لم يجز في سعة الكلام أن يقترن حرف النداء بما فيه أل لسببين: أحدهما: أن كلا من حرف النداء وأل يفيد التعريف، فأحدهما كاف عن الآخر، والثاني: أن تعريف الألف واللام تعريف العهد، وهو يتضمن معنى الغيبة، لأن العهد يكون بين اثنين في ثالث غائب، والنداء خطاب لحاضر، فلو جمعت بينهما لتنافى التعريفان. شرح ابن عقيل، (2/ 241؛ 242)

موضعين[1]، والأصل دائما: «رب إن قومي»، «رب اغفر وارحم»، «رب» أي «يا ربي»، حذفَ ياء النداء الأولى من أجل إشعارك بقربه، وكما حُذِفَتْ ياء النداء حُذِفَتْ ياء الإضافة لإشعارك أنك أنت إزائه ليس لك وجود، معنى ليس لك وجود إزاء وجود الله[2]، فلا تجد أبدا «رَبِّ» في مقام النداء مثبتة الياء في رسم المصحف، رغم أن أصلها «رَبِّي»، وهي لغة من اللغات في حذف ياء الإضافة، كما تقول: (عبدِي، عبدَيَّ، عبديَّ...) إلخ. كما هو في الإضافات[2]، واكْتُفي عنها بالكسرة التي تكون قبلها فقط.

---

(1) الآية التي فيها النداء بـ«يا» مع رب هي قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: 30]، وأختها في سورة الزخرف: ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الزخرف: 88]. وذلك بقصد إظهار الاستغاثة والتفجع من النبوة على عدم الإيمان، وهجران كتاب الهداية، ولذلك كان النداء بـ«يا» في كليهما. أما في غيرهما من الآيات فإنه يكتفى بالكسرة التي تغني عن الانكسار، فيجيء: رب اغفر وارحم، رب إن قومي كذبون، رب لا تذرني فردا، وغيرها. (من توضيح الشيخ حفظه الله، مع بعض التصرف في العبارة).

(2) هذا من لطائف الإشارات التي تحتاج إلى مستوى من الذوق والإدراك حتى لا تضيع لأنها من باب ما يشم ولا يفرك.

(٣) وليتضح المعنى أنقل هنا ما قاله ابن عقيل رحمه الله في شرح ألفية ابن مالك، في باب المضاف إلى ياء المتكلم (2/ 83، 84، 85):

آخر ما أضيف لليا أكسر إذا ... لم يك معتلا كرام وقذى
أويك كابنين وزيدين فذى ... جميعها اليا بعد فتحها احتذى
وتدغم اليا فيه والواو وإن ... ما قبل واو ضم فاكسره يهن
وألفا سلم وفي المقصور عن ... هذيل انقلابها ياء حسن =

[رابعاً: ومن خصائص الاسم الجليل «الله» تفخيم لامه في الأداء]:

اللامات لا تفخم لأن أصلها مستفلة، وإنما تغلظ في رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، في مواطن معينة، لما يسمى بمراعاة الجوار، مثل «الصلاة»، «مصلى»، أي لمجاورتها للمستعليات الثلاثة أو الأربع.

غلظ ورش فتحة اللام يلِي طاء وظاء ولصاد مهملي[1]

= يكسر آخر المضاف إلى ياء المتكلم إن لم يكن مقصورا ولا منقوصا ولا مثنى ولا مجموعا جمع سلامة لمذكر كالمفرد وجمعي التكسير الصحيحين وجمع السلامة للمؤنث والمعتل الجاري مجرى الصحيح نحو غلامي وغلماني وفتياتي ودلوى وظبيي.

وإن كان معتلا فإما أن يكون مقصورا أو منقوصا فإن كان منقوصا أدغمت ياؤه في ياء المتكلم وفتحت ياء المتكلم فتقول قاضي رفعا ونصبا وجرا وكذلك تفعل بالمثنى وجمع المذكر السالم في حالة الجر والنصب فتقول رأيت غلامي وزيدي ومررت بغلامي وزيدي والأصل بغلامين لي وزيدين لي فحذفت النون واللام للإضافة ثم أدغمت الياء في الياء وفتحت ياء المتكلم وأما جمع المذكر السالم في حالة الرفع فتقول فيه أيضا جاء زيدي كما تقول في حالة النصب والجر والأصل زيدوي اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء ثم قلبت الضمة كسرة لتصح الياء فصار اللفظ زيدي وأما المثنى في حالة الرفع فتسلم ألفه وتفتح ياء المتكلم بعده فتقول زيداي وغلاماي عند جميع العرب.

(1) في الدرر اللوامع للإمام أبي الحسن علي بن محمد ابن علي بن محمد بن الحسين التازي الرباطي، الشهير بابن بري، (المتوفى سنة 730 هـ) باب اللامات، الأبيات من 186 إلى 192. مجموع المتون في القراءات والتجويد، (ص 112).

ويسمى تغليظ اللام تغليظا، أما في إسم الجلالة فيسمى تفخيما[1]، تأدبا مع اسم الجلالة، لأن التغليظ يشعر بالقبح، وهذا فيه تفخيم لفظ الجلالة، لأن الفخامة لا تستعمل إلا فيما يُحمد، بينما الغلظة بخلافها ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ ﴾ لا نقول فخيم، وهذا أيضا من الخصوصيات الأدائية في الاسم الكريم، وفخمت لامه إثر فتح وإثر ضم وعند الافتتاح، أما مع الكسر فيُرجع إلى الأصل، لبشاعة يُراد دفعها خشية أن تسيء إلى رونق اللفظ، وهو الذي أشار إليه الشاطبي[2] رحمه الله في حرز الأماني[3]:

وكل لدى اسم الله من بعد كسرة ... يرققها حتى تروق مرتلا
كما فخموه بعد فتح وضمة ... فتم نظام الشمل وصلا وفيصلا [4]

---

(1) قال ابن بري رحمه الله في خاتمة باب اللامات، البيت 192 ص113:

وفُخِّمَت في الله واللَّهُمَّه ... للكل بعد فتحة أو ضمَّة

(2) أبو القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الشاطبي الرعيني الأندلسي، (ت590هـ) ترجمته في كتاب «فتح الوصيد في شرح القصيد» (1/ 6-60)، وسير أعلام النبلاء (261/21) ومعرفة القراء للذهبي، الورقة 178، وياقوت في إرشاد الأريب: 184/5، وغيرهم كثير.

(3) حرز الأماني، باب اللامات، ص37.

(4) لكن إذا كان قبل الكسر، (بسم الله) فيها جمال، فرجعنا إلى الأصل، حفاظا على جمال الاسم وكماله، فقال سيدنا الشاطبي الضرير البصير، وكل لدى اسم الله، من بعد كسرة، يرققها حتى تروق مرتلا، ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ﴾ ﴿ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾. ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾. أما عند الفتح ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ تفخم اللام ومعها الألف، لأنها =

= تابعة لما قبلها وهذا تعرفونه، حرف ليس له وصف، فهو تابع لما قبله، ومن قبله مفخم، هو الألف الهوائية (الله). ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ لأن التفخيم يقتضي تصعدا، والكسرة تقتضي تسفلا، جمع بين النقيضين في النطق، معيب، وهو ما أشار إليه بقوله: «فتم نظام الشمل». هذه بعض الخصوصيات الأدائية في الاسم الجليل «الله»، وسيجيئنا إن شاء الله تباعا مع اسم الجلالة، على امتداد الرياض إن شاء الله، بقدر ما يسمح به الوقت والاستحضار، (أدرجت هذه التوضيحات في هذا الهامش رغم طولها نسبيا لأنها من إملاء الشيخ حفظه الله في أثناء الدرس مع بعض التصرف اليسير).

فصل في بيان حيثيات الحمد في فاتحة الكتاب، مع بيان صفة الوجود العلي وأدلته

وفيه مسائل

المسألة الأولى: في بيان صفة الوجود العلي وأدلته

المسألة الثانية: في تقسيم موضوعات فاتحة الكتاب إلى الثناء والولاء والدعاء

المسألة الثالثة: في تفصيل حيثيات الحمد

[المسألة الأولى:
في بيان صفة الوجود العلي وأدلته]

وبعد هذا الذي ذكرناه فيما يتعلق باسم الله الجليل في جانب معانيه الاشتقاقية وأصولها، وبعض ما يتعلق بخصوصياته في الرسم والأداء، ننتقل إلى أدلة هذا الوجود الذي نبحث عنه، -الوجود المحمود- لأن وجود الباري هو أول الصفات التي يبنى عليها الوجود، ورب قائل يقول: وما في الوجود من كمال حتى يحمد عليه؟ قال أهل العلم إن هذا الوجود الإلهي هو السبب في كل موجود، سبب في الوجود، وفيض الجود على الوجود كله، لولا الله ما قامت الموجودات، لو تصورنا أن الذات العلية أفلت مرة -تعالى ربنا عن ذلك علوا كبير وهذا مستحيل- لانتهى الوجود، ولسحب وصف الوجود عن كل موجود، لأن الإيجاد والإمداد به وإلى اللحظة، ومن استغنى عن ربه طرفة عين كفر، مجرد توهم الاستغناء، وهذا من جمل الطحاوية[1]: «من استغنى عن الله طرفة عين كفر»، بمعنى أنه يظن أنه مستقل في شيء عن الله، نعوذ بالله من الكفر والضلال.

---

(1) متن العقيدة الطحاوية، ضمن «متون في العقيدة» ص101. وقال في نظمها الشيخ حفظه الله:

فَهْو القريب والمجيب بيقين وَفَقْرُنا بادٍ لرب العالمين

الوجود كله مستَمَدٌّ من جوده، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴾ [فاطر: 41]، إن زالتا فَرَضًا من يمسكهما؟، وهذا لا يُتَصَوَّرُ إلا إذا غاب الله، وهذا افتراض فقط، تَصَوَّرْ أن ربك غاب عن الوجود، وهذا التصور لا يخدش في العقيدة، لأن سيدنا رسول الله ﷺ رويت عنه أحاديث منها أن سيدنا موسى عليه السلام قال في نفسه: هل ينام الله؟ قال يا موسى خذ هاتين الآنيتين، كانتا مملوءتان بالماء، فأخذهما وانتظر، فطال عليه الانتظار، ولمَّا يأمرْهُ الله بالانصراف، فأخذته سنة من نوم، فضرب أحد القدحين بالأخر، فكسرا، فقال: سبحانك تبت إليك؛ فَهِمَ المراد، قال يا عبدي يا موسى، لو أخذتني سِنَةٌ من النوم لراح الوجود كله، وهذا تنزل إلهي لإفهام الكليم[1]، والتنزل من أجل الإفهام كثير في القرآن الكريم[2]، ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾. إن هنا نافية، في إشارة إلى أن الجناية منا لا تجعل الباري يقطع العناية عنا، لأنه غير محتاج إليها، ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [إبراهيم: 10]، إن تتواتروا على ترك الحمد، فإن الله هو الغني الحميد.

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، هو محمود حمده الحامدون أم لم يحمدوه، وإنما يتشرفون بهذا اللون من الحمد ليندرجوا في أهل الطاعة.

---

(1) القصة في جامع البيان للطبري رحمه الله، المجلد الثالث، ص09.

(2) أسلوب التّنزُّل والتنزيل في القرآن الكريم ضروري لحل مجموعة من الإشكالات العقدية، ولولاه لطاح الخلق في التشبيه والتجسيم، فيكون التنزُّل من المخاطِب لإفهام من قُصدوا بالبلاغ، والتّنزيل من المتلقي للفهم عن صاحب الخطاب.

فالله موجود ومحمود على وجوده، وهذا الوجود أولا، وجودٌ قمةٌ في الظهور، وقمةٌ في التفرد، ذاتيٌ غير عرضي، مطلقٌ غير مقيدٍ، لا يتصور له ابتداء ولا انتهاء، وصفات السلب تعطينا خصائص هذا الوجود العلي.

رُبَّ قائل يقول، ألا تسعفنا بأدلة على وجود الإله العلي؟ نستحي أن نقول: أي دليل على هذا الوجود؟ لأن وجودك أنت، وكل ذرة في الوجود، وكل خلية في نسيج الحياة، وكل نبتة، وكل تجلّ مهما صغُر، حتى الحشرات الصغيرة، تحمل بصمات[1] الوجود الإلهي، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ [الحج:71]، هؤلاء الذين تنصبوهم آلهة وتعطوهم صفة الإله ﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا﴾، وليس لم يخلقوا، هذا ما صح ولا كان، والآن مع التحدي المستمر في الباقي، ﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا﴾، هذه الحشرة التي تعتبر ضارة وضئيلة، وخسيسة ونريد التخلص منها، ولا تكلفنا شيء، ﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾، وهذا التحدي بالخلق، كالتحدي بالقرآن، ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88]، التحدي بالأمر كالتحدي بالخلق، وهو مستمر ومفتوح، وأقول أنا تنزلا في نظم رجزي:

أدِلَّـــةُ الوجـــودِ لا تنْحَصِـــرُ فهـــو نـــورٌ ظـــاهرٌ وبـــاهرُ
وقـد يَجِـي الخَفَـا مـن ظُهـورِ فاعْجَـبْ لسِـرِّ ربنـا المسـتورِ

(1) استعمال لفظة «بصمات» للتقريب فقط لأن اللغة في قمة بيانها عاجزة عن بيان الكمال الإلهي جل في علاه.

ونَكْتفي بأربعٍ هي العُمَدُ حُدوثُ[1] عالمٍ كذا التجدُّدُ[2]
إبداعُهُ[3] والقصْدُ في الوجود آيُ اعْتِنَا[4] بشأنِهِ المَشْهُودِ

- دليل الحدوث،
- دليل الحركة،
- دليل الإبداع والقصد،
- دليل العناية،

إلى أي جهةٍ الْتَفَتَّ، وجدْتَ أدلة قائمة منصوبة، على صفات الله العلي، ومنها وجوده السني جل في علاه. الآية التي سبق وأن ذكرتها وهي قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: 33]. الأسئلة المُسكتةُ والمُبكِّتَةُ للذين يتشككون اتجاه الوجود العلي، ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾.هل كان الوجود بهذا التألق من غير فعل فاعل؟!، كأنك تقول: هذه الجوهرة خرجت من صفر، وهذا شيء لا يقبله العقل، لأن وجود فعل من غير فاعل، لا يُسوِّغُه العقل، أيُّ عقل. ويُنظَر هذا في تعاملنا، نجد حدثا ما، فأول شيء نقول: من فعل؟، وحين لا يجدون، ماذا يقولون؟ يقولون: الفاعل مجهول، ولا يقولون وجد صِدفة، عقولهم لا تقبل الوجود بالصِّدفة، إذن هم يقولون الفاعل موجود، لكنه مجهول لم نعثر عليه، فكيف إذا كان الوجود متميزا.

ولذلك نجد الذين يبحثون في الآيات بصدق، يصلون إلى هذه الحقائق، قال أهل العلم: الإيمان لا يخشى البحث ولا العلم، بل على العكس يفتح الباب للعلماء، بشرطين: أن يكونوا علماء فعلًا، وأن تكون مقاصدهم محررة، ويريدون الوصول إلى الحقيقة.

[المسألة الثانية: في تقسيم موضوعات فاتحة الكتاب إلى الثناء والولاء والدعاء]

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، الآيات الثلاث الأولى في فاتحة الكتاب ثناء على الله جل وعلا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ ووسطاها ولاء: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وخاتمتها دعاء ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ...﴾، والكل ينتظمه معنى واحد، الثناء لمن؟ لله. الولاء لمن؟ لله، الدعاء لمن؟ لله جل جلاله، إهدنا الصراط المستقيم، وكلها ترجع إلى أن هذا المحمود جل في علاه بدءًا بوصف الربوبية – التي هي أول تجلٍ من تجليات الأفعال وأعظمها، وأظهرها في الوجود، دلالةً على استحقاق الحمد – إلى خصوص التعلق به في مقام الاستهداء، «إهدنا» طلب مدد الهداية، هذا المدد الخاص، وهو أجلُّ مدد في الربوبية، المدد أنواع، مدد الغذاء، ومدد الشفاء، ... ومدد الاهتداء، وهذا الأخير أعلاها وأشرفها، نقول مثلا حاجتك إلى القرآن، أجلُّ من حاجتك إلى الغذاء، والكساء، والنساء، والماء وقل ما تشاء، فلذلك ختم، بـ«اهدنا»، مدد الاستمرار، ومعه الاتقاء من سلوك طريق الأشقياء، كل ذلك تعرض للألطاف وتوقٍّ من الانحراف، ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، التعوذ تحصن، واللياذ في باب الاستقامة، أنت في حاجة إلى

مدد الله جل في علاه لكي تستقيم، ورأس الهداية معرفته، ومظهرها حمده، فرجع طلب الهداية إلى الأول حمدا، اهدنا إلى سبيل حمدك، وهذا من انعطاف المقاطع على المطالع، ورد الأعجاز على الصدور، وهو مطرد في سور الكتاب، وهو من أشكال التسوير في نظري، لأن السور والسوار تنعقد أسواره على بعضها، فيرجع أوله إلى أخره، وكل شيء له ادارة يرجع أوله إلى أخره، فالسور والسوار والإحاطة واللقيا منها، وفي الكتاب منها انعطاف المطالع على المقاطع، إهدنا إلى صراطك المستقيم، ورأسه حمد الله، وتوحيده والثناء عليه. وأنت بحاجة إلى مدد من المعرفة يجعل الهداية بكل صورها ابتداءًا بالبيان، وانتهاءًا بالتوفيق إلى قمة العرفان، من المعرفة إلى الاكتساء بالصفة، بمعنى أن تكتسي بصفة المُوَحِّدِ الحق.

❊ ❊ ❊ ❊

[المسألة الثالثة:
في بيان حيثيات الحمد في فاتحة الكتاب]

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾:

الحمد كما سبق أن قلت عنوان الكمال في جنب الله، وعنوان التوحيد منا، فالحامد موحِّد، ولِمَ؟، لماذا استحق الله استحقاقا ذاتيا أن يُوَحَّدَ ويُعبد؟ أو قل: ما هي حيثيات الحمد؟

[أولُّ حيثيات الحمد: ربوبيته للعالمين أي للكل]:

والكل هنا أُبرِز بصفة خاصة مهمة جدا ولافتة، وهي العالمون، أو العالمية، عوالم، جمع عالم، والعالم ما سوى الله[1]، فاندرجت فيه كل قطاعات الوجود، من الذرة إلى المجرة، قطاعات الجماد، والنبات، والحيوان، والإنسان، والجان، وملائكة الرحمن، كل هؤلاء عوالم، لا يخرج أحد عن اندراجه ضمن عالم من هذه العوالم، والعالم كما قال أهل العلم، هو الذي يُعلم به الشيء، ومأخذه من العلم والمعرفة، والصياغة في العربية تعيننا على ذلك، يقال قالب لألة التصوير، التي يصور بها الحجر

---

(1) «حَدُّ العالم ما لوجوده أول، وإنما سُمي عالما؛ لأن في كل شيء منه علامة تدل على صانعه». الحدود الكلامية، ص 109.

والتراب ونحو ذلك، ويقال خاتم لألة الختم، والطابع لألة الطبع، والعالم لألة العلم، الله أكبر.

[فوائد في بيان سُبُلِ التّعرُّف إلى ربوبية الله للعالمين]:

[السبيل الأول: ملاحظة العناية بالموجودات بداء من إبرازها إلى تخصيصها وامتيازها]:

ما السبيل إلى أن تعرف ربوبية الله للعالمين؟ الجواب هو أن كل موجود ضمن عالم من العوالم يحمل أثارًا مُعْلِمَةً ومجليةً لربوبية الله فيه وله، وهذا يحيلنا على معنى الربوبية، والربوبية كاسمها، رباه وربَّه بدون ألف بمعنى اعتنى بشأنه إلى أن بلغ قمة ارتقائه، بداءً من وجوده، إلى إمداده، إلى إسعاده، يقال رب: مربي، ورب: مصلح، ورب: مالك، ورب: سيد، ورب: مدبر، ومرجعها إلى هذا القول الذي قلت لكم، وهي صنوف العناية بالموجودات بدءا من إبرازها، إلى تخصيصها وامتيازها، تقرأ في كل عالم من عوالم الوجود أثارًا لربوبية الموجد، انظرها في الأجنة في الأرحام، أنظرها في حركة الأفلاك، أنظرها في الألوان والأضواء الموجودة في عالم الوجود، تجدها في عالم الحشرات، حتى التي تبدو في ظاهرها بخلاف ذلك، كالحشرات السامة والضارة، والعلماء اليوم يبحثون ويقولون إن الحيوانات الغريبة والتي تُهَدَّدُ بالانقراض فتثير عطف بعض أهل العلم، فيُسْأَلُ لماذا تبحث عن نوع من الفئران يكاد ينقرض في بعض الجهات؟ يقولون لا بد من أن نعمل على إبقائه قبل أن ينقرض، لأن وجوده ضروري في التوازن، وهو يبدوا لنا حيوان يجب أن يطرد من الوجود.

[السبيل الثاني: ملاحظة التسوية سمة الخلق الإلهي، والهداية سمة القدر الإلهي]

﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: 03] وقُرئ من تفوُّت[1]، ما ترى فيه من خلل، وحيثما تجد «خلق»، تجد بجنبها «سوى» وحيث ما تجد «قدر» و«دبر»، تجد معها «هدى»[1]، والتسوية سمة الخلق الإلهي، والهداية سمة القدر الإلهي، والذي لا يرى التسوية في الخلق، والذي لا يرى الهداية في الأقدار، وأنها هداية مسددة إلى غايتها التي خلقت لها، فالعيب في آلته، معناه أنه فاقد للإبصار، فصار تبعا لذلك فاقدا للاعتبار.

[السبيل الثالث: ملاحظة تمييز الإنسان بخاصيتي التعلم والمتاب؛ الأولى مخصصة والثانية مخلصة]:

ربوبية الله للعالمين إذًا هي أول الحيثيات لحمد الله تعالى، وهذا حمد ذاتي على وجه الكمال، وهو في الكتاب إشارة إلى أنه لا يمكن

---

(1) قال الشاطبي رحمه الله في الحرز:

وَضَمَّ نصُوحًا شُعْبَةٌ مِنْ تَفَوُّتٍ على القصر والتشديد شقَّ تَهَلُّلَا

في قوله تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: 03] حيث قرأ حمزة والكسائي بتشديد الواو من غير ألف والباقون بالألف وتخفيف الواو. فتح الوصيد (1281/4).

(2) من ذلك قول الله في طالعة سورة الأعلى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾.

معرفة الله إلا من خلال معرفة العوالم، ودائما نستثني النخبة الذين لُقِّنوا الأسماء ابتداء، مثل سيدنا آدم لما علمه الله الأسماء كلها: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 30]، وأبرزها اسمه الكريم، أسمائه الكريمة هي الأولى، ثم عرضهم أي عرض مسميات، وليس الأسماء كلها، عرض مسميات منها، وهذا عطف الخاص على العام، وأساليبه كثيرة في الكتاب، فلذلك سبق أن بَيَّنْتُ في غير ما مرة أن في قصة أدم - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - في القرآن في السورة الطولى وهي البقرة، وهي أول السور باعتبار الطول، نجد أول قصة، وهي قصة الابتداء، ونجد فيها تنويها بالإنسان في جانبين:

- علمه الله الأسماء وهي ميزة مُخَصِّصَة: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾، وهذا اللون هو أيضا بحث في التوحيد، فالله عَلَّم آدم الأسماء كلها، وهذه خاصيته، الملائكة قالوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ الإنسان هو الوحيد الذي يترقى في المعرفة وهذه خاصيته الأولى.

- ولقاه الكلمات وهي عطية مُخَلِّصة: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ وعنده شيء أخر اسمه تلقي المتاب، يصحح به خطأ الانحراف عن صراط المعرفة، عُلمت وتتعلم، ينبغي أن تكون خطواتك على الصراط، لكن حين يعروك الانحراف، الله يعرفك فيفتح لك باب الكلمات، وفي قصة أدم تقرأ سر سيرتك وصورتك، حقيقة امتيازك، الله علَّمَ أباك المعرفة، ورزقه فرصة هي

خاصية المتاب، فالذين لا يعلمون، أو يوصدون باب المعرفة، والذين يغلقون في وجوههم أبواب المتاب، بعيدون عن الصراط، وبعيدون عن اقتفاء أثار الوالد، وفاقدون حتى لرتبة الآدمية.

[ثاني حيثيات الحمد، رحمانية الله ورحيميته:]

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ حيثية أخرى مرتبطة بالربوبية، كأن سائلا يسأل: هل خلق الله الوجود وربَّ هذه الموجودات ومنح هذه الصور وهذا الجمال، وتلكم الصنوف من الاقتدار لغرض يريده ويستكمل به؟ تعالى الله عن ذلك، وإنما كل ذلك لمحض رحمانيته ورحيميته، وهما من أجلِّ مظاهر كماله العلي، وهذا الكمال هو الذي اقتضى أن يكون ربًّا لهذه العوالم، يقول علماء الاعتقاد: أفعال الله منزهة عن العلة[1]، أي عن الغرض الذي يعود عليه منه نفع فيكتمل به، أبدا، الله

---

(1) جاء في الفكر السامي للثعالبي رحمه الله بخصوص هذه المسألة وهو البحث التاسع عشر (2/569-570): وقع لكم في الربع الأول من «الفكر السامي» في مبحث أصل القياس وأسرار التشريع، وفي الثانية في ترجمة أبي حنيفة، وفي الثالث في ترجمة داود الظاهري أن الأحكام الشرعية لها علل، ولتلك العلل حكم ومصالح إلخ وهذا يوهم أن أحكام الله وأفعاله قصدت منها أغراض وعلل غائية، ويوهم وجوب مراعاة الصلاح والأصلح والتحسين والتقبيح العقليين، فنرجو من مكارمكم إيضاح المقام بما عودتمونا من مضاء القريحة، وفضل البيان حتى يزول كل إيهام، فبأفكاركم تزول الغياهب، وبقلمكم يستجلى كل ضباب.

وجوابه: إن أفعال الله منزهة عن الأغراض والبواعث والغايات والعلل، كما هو مذهب السنة، وليس في كلامنا أفعال الله، بل في كلامنا التصريح بنفي ذلك في غير ما موضع عن أفعال الله، وانظر عدد 362 من الجزء 1 وعدد 318 =

يَربُّ العوالم لمحض رحمانيته ورحيميته، وهذا مقتضى ربوبيته، وهذا فيه نوع من التعليل لربوبية الله للعالمين. لماذا هذا المدد؟ لماذا نتنفس هذا الأكسجين باستمرار، وبدون عوض؟ لماذا وجود هذا الغلاف النباتي الذي معك؟ هو الذي يعطيك الأكسجين ويأخذ ما تنفثه أنت من غازات سامة، من الذي جعل هذا التوافق؟ كل ذلك صور من صور الربوبية، ومرجعيتها رحمانية الله، فالرحمن واسع الرحمة وصفا، والرحيم كامل الرحمة فعلا، ولذلك كُرِّرَ الاشتقاق من الرحمة، من الصفتين، على خلاف في باقي

= منه ففيهما مقنع وشفاء والذي ذهبت إليه في الكتاب كله وهو مذهب أكثر الفقهاء، وبعض الأشاعرة أن أحكام الشريعة الخمسة من حلال وحرام وندب وكراهية ووجوب، لها علل، بمعنى أن الشرع جعل لها علامات وأمارات تسمى في عرف الفقهاء والأصوليين علل الأحكام مثل الإسكار الذي جعل علة لحرمة الخمر حيث يفضي إلى الفتن والعداوة والبغضاء، ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة بتغطيته العقل، ولتلك العلل حكم ومصالح تترتب على تلك الأحكام، كصون العقل والمال والبدن والعرض المرتب على تحريم الخمر إلى غير ذلك مما سبق في عدد 81 من الجزء 1 ولا يلزم من إثبات ذلك إثبات ما يسميه المعتزلة غرضا وعلة عقلية لأفعال الله التي لا بد عندهم أن تكون تابعة للأصلح أو الصلاح وجوبا عليه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. فما نسميه نحن علة إنما هو أمارة وعلامة نصبها الشرع على الحكم للمجتهد لتتبع كل ما وجد فيه العلة، فيكون فيه الحكم، وإنما هناك اشتراك في مجرد لفظ العلة التي وقع التواضع عليها بالإصطلاح حتى إن السبكي اعترض على الإمام الآمدي حيث سماها باعثا لما يوهمه من مذهب الاعتزال مع أن كتابه «الأحكام» الذين بين أيدينا ما عبر فيه إلا بالعلة والعلامة والأمارة، ولعله في غيره، أو في محل لم نقف عليه.

الصفات، إلا ما يرجع إلى الرحمة فإنه يتكرر كالمغفرة، غفار وغفور وغافر، فإنه يتعدد لتعدد الموارد، تنبيها إلى أن رحمة الله سابقة وغالبة، وهي الممسكة بهذا الوجود وفيها سر استمراره.

يروى في بعض الأحاديث، أن رجلا كان يحتضر، فعُقل لسانه عن الشهادة، وكان رجلا فاضلا بحسب الظاهر، فأخذ الناس يسألون ماذا حصل لهذا الرجل، وهو على أبواب الآخرة، والأعمال بالخواتيم، فقال في رواية تنسب إلى النبي ﷺ، أله والدة؟ قيل: نعم، قال: أين هي؟، فإذا هي سيدة عجوز عمياء، قيل لها ولدك يحتضر، قال: فدعت عليه، قيل ولما تدعين عليه؟ قالت لطمني ففقأ عيني، فقال النبي ﷺ في هذه الرواية، اجمعوا الحطب، فقالت له: وماذا تصنع به؟، قال نحرقه هنا بالنار قبل أن يحرق هناك، قالت كيف تحرقه؟ فرجعت إلى فطرة ما جُعلت عليه من رحمة الوالدة، قالت أللنار حملته تسعة أشهر، أللنار أرضعته سنتين، أللنار كنت أحمله وأغذيه وأطهره؟ لا تفعلوا. فالله ربنا أرحم بنا من هذه الأم بولدها[1]. وتذكر هذه القصة في المرفوع ولكن في تصحيح الرفع كلام، قال أهل العلم في التعليق عليها، «الرحمن هو الذي لا تدفعه الجناية إلى قطع العناية»[2]، أنظروا إلى كثيرين من المخالفين، والمنحرفين، ومدد الله الدنيوي مستمر لهم، وهذا لا يدل على نوع من أنواع الرضا، ولكن يسمى رحمة الله العامة الشاملة. فلذلك كُرِّرَ اشتقاق

---

(1) القصة أوردها الرازي رحمه الله في التفسير الكبير (1/ 223) والنيسابوري في غرائب القرآن ورغائب الفرقان (1/ 99).

(2) هذه من العبارات الخاصة بالشيخ وهو صاحب التعليق.

هذا الاسم الكريم، فأخذ من الرحمة وصف الرحمن لمعنى، وأخذ وصف الرحيم لمعنىً آخر، وسيجيئنا إن شاء الله ما ننبه به على أصل الصيغتين، وأيهما حسب الصيغة اللغوية أبلغ وأكثر تعلقا وأوسع دلالة وما يرجع إلى الفعل أو الوصف. وهو ما تقرر به أن من أعظم حيثيات الحمد في سورة الحمد ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ والاسم لافت بتكراره وبصيغته.

[ثالث حيثيات الحمد: عظمة مرجعيته]:

قلنا فيما مضى ونؤكد أن حمد الله لنفسه بما حمد به نفسه في الأزل، يدل على معان تعتبر قواعد فيما يرجع للإلهيات، منها أن هذا الحمد أو أن هذا التوحيد يقال فيه هو حمد منه له[1]، ويسمونه بـ«التوحيد القديم» بمعنى الأولي الأزلي، فالله حمد نفسه منذ الأزل، والحمد يرجع إلى المعرفة والمحبة، فلا يمكن أن يحمد أو يقال هذا حامد إلا إذا عرف محبوبه وأحبه تعلقا، ولا يصح منك حمد بغير حب، ولا حب بغير معرفة، وإفراد الله نفسه بالكمال في الأزل قولاً يدل أيضًا على قدم الكلام، وأن ربنا جل وعلا له الكلام أزلا، وبيننا وبين أن نعرف هذه الصفة رفع سُتُرِ الغيب، ولو رُفِعَ الحجاب تقديرا لسمعنا ربنا متكلما، ولكنه جل في علاه أسدله لعدم قدرة هذا المخاطب على أن يحمل صفات الكمال أو يتلقاها عن الله جل في علاه، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ﴾[الشورى: 48]،

---

(1) ومنه قول الجعبري رحمه الله في عقود الجمان في تجويد القرآن:

والحمد منك عليك أنت كما ... رُوي أثنيت لا أحصيه بالحسبان

ولذلك حين نقرأ في حيثيات الحمد أن الله عز وجل حمد نفسه، وأخبرنا بذلك تلقينًا، وأضمر المعربون كلمة «قل»، أو «قولوا»: الحمد لله، إضمار إعرابي، وذلك حتى يتناسق هذا الخطاب مع قول الله لنا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ قولوا «الحمد لله» فيبقى الخطاب من أول الفاتحة ولا نحتاج أن نقدر الالتفات، كما قدره الكثير من البلاغيين، وإن كان في المسألة نكتة أو نِكَات معروفة في الباب[1].

* * * *

(1) من الذين قدَّروا الالتفات في الآية الكريمة، الامام العكبري رحمه الله تعالى في كتابه «إملاء ما من به الرحمان من وجوه الإعراب والقراءات في القرآن» (ص12) حيث قال: «فإن قيل: إياك خطاب والحمد لله على لفظ الغيبة، فكان الأشبه أن يكون إياه، قيل: عادة العرب الرجوع من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة، وسيمر بك من ذلك مقدار صالح في القرآن». وقد ذكر سيدي مصطفى في تفسير سورة الفاتحة ضمن دروس «الكراسي العلمية» أنه الفتات للتجلية والتخلص.

ومما له علاقة بدرس العقيدة ما قاله ابن عطية رحمه الله في المحرر الوجيز (1/ 72): «وقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، نُطقُ المؤمن به إقرارٌ بالربوبية، وتذلل وتحقيق لعبادة الله».

والشيخ سيدي مصطفى سماها آية إخلاص وسر، وسيأتي مزيد تفصيل في المسألة عند بيان أن الحمد المطلوب منا يتحد مع العبادة في قمة ارتقائها.

فصل في بيان بعض صور المثنوية في فاتحة الكتاب

وبيان ذلك في مسائل:

المسألة الأولى: من صور المثاني في الفاتحة؛ الربوبية ومظهرها

المسألة الثانية: ومن صور المثاني في الفاتحة؛ الرحمة وأثرها

المسألة الثالثة: ومن صور المثاني في الفاتحة؛ الملك ووظيفته

[المسألة الأولى: من صور المثاني في الفاتحة: الربوبية ومظهرها]

نقرأ سورة الحمد فنجد أن الله محمود على وجه التفريد، لأنه جمع المحامد كلها، كمالا في الذات، وحكمةً في القَدَرِ والفعل، وجمالا وجلالًا في الوصف والقدْر، لِمَ؟ لأنه رب العالمين، وهو الرحمن الرحيم، وهو ملك يوم الدين، وأنبِّه إلى أن هذه من المثاني، وهذه السورة تسمى (السبع المثاني)، وخذ صفة من صفات المثاني، يعني صورة من صور المثنوية في أساليب الكتاب، كيف أن ربنا سبحانه وتعالى جمع بين الربوبية ومظهرها، وبين الرحمة وأثرها، وبين الملك وغايته، وهو إقامة الجزاء.

فالربوبية بمعنى الملك أو المالكية، ومعنى الإصلاح، ومعنى السيادة، ومعنى التدبير، وكل هذا من معانيها، وهي ترجع ل «رب» «مربي»، «مصلح» «المالك» «المدبر»، بمعنى: الذي دبر الأمر على حكمة الإصلاح تدبيرًا مطردًا ومتصلًا، ولو فرضنا قصوره طرفة عين، انعدم الوجود، لأنه بانعدام المدد يَنْعدم السند، ويحصل البدد؛ يتبدد الأمر، فالوجود مستمد من عين الجود، ولو انقطع فيض الجود عن هذا الوجود انهد كل موجود.

[بيان أن العوالم هي مظهر الربوبية]:

أين ترى ربوبية ربك؟ الكُنْهُ لا يتصور، وصفات الكمال على هذا النحو العلي، ليس لنا من سبب إلى ملاحظتها في العوالم، فهذا إرشاد من الاستدلال بالمصنوعات للوقوف على ربوبية الله للعالمين، بدءًا من إيجادها، فإمدادها بكل صور الإمداد، فإعدادها لما أعدت له من مظاهر الخلود والكمال، إلى إسعادها في الجوار الكريم إذا كانت مِمَّن كُلِّفَ بالاستخلاف، أو وُضِعَ لأن يكون مظهرا للألطاف، وقلنا إن العوالم تحمل هذا الاسم في الكتاب المعجز لتقول إنها علامة على ربوبية الله، وفي كل شيء له آية، كل شيء، والشيء هنا يطلق على أقل وجود وأكبره، أنكر النكرات، في كل شيء له آية تدل على أنه الواحد، في كل شيء له آية تدل على انه الماجد، في كل شيء له أية تدل على أنه المرفد، الذي أرفد الوجود وأمده.

يقول أهل العلم: الوجود الإلهي أظهر وجود، ولذلك كان أخفى وجود، وعلى لسان رسول الله «وأنت الظاهر فليس فوقك شيء (يعني ظهورا) وأنت الباطن فليس دونك شيء»، والشيء بقدر دنوه يغيب ويحتجب، الباطن يعني الداني، أقرب إليك من نفسك ومن حبل وريدك، وهو الحبل الذي ترده الروح، وهذا تمثيل من أجل الفهم، لا تُمثِّل ربك، إذا كان الشيء الذي هو أقرب إليك يحجبك القرب عن رؤيته، فيقولون لك مثلا: هل ترى عينك؟ وهي قريبة جدا منك، فكيف ترى روحك التي بها ترى، لا يمكن، رغم أنك متأكد من وجودها، فعدم الرؤية لا ينفي الوجود، بل ولا يشكك فيه، لأنه ليست الرؤية هي الوسيلة الوحيدة للعلم.

[المسألة الثانية: في بيان أنه من صور المثنوية في الفاتحة: الرحمة وأثرها]

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، لِعلماء التفسير والبلاغة، والباحثون في أسماء الله وصفاته مباحث في هذه الصيغة، لأن كلاهما مشتق من صفة الرحمة، لكن الصيغة مختلفة، وفيها تكرار المأخذ والاشتقاق، لبيان أن الرحمة غالبة، ولبيان أن الله تبارك وتعالى رحمته الفعلية متمثلة في الرحيم، ولذلك عُدِّيَ فعل الرحيمية في القرآن «وكان بهم رحيما» ولم نجد «كان بهم رحمانا»، التعدية جاءت بالرحيم، ولم تجيء بالرحمن اطّرادا في القرآن، لأن الرحمن بهذه الصيغة يدل على تحقق بالصفة -صفة الرحمة- على وجه الكمال والاتساع، و«فعلان» في اللغة تدل على الامتلاء، يقال شبعان وريان بمعنى مُمتلئ، ولو استصحبناها في دلالة الصيغة تقريبا للمعنى نقول: الذي رحمته وسعت كل شيء، فهو رحمانٌ وصفًا وشأنًا، ثم هو بهذه الرحمة رحيم، كما تقول فلان غني وجواد، لأنه قد يكون غنيا مليئا ولكنه لا يصل من أثر غِنَاهُ أن يجود على غيره، فالله رحمانٌ ذاتا، ورحيمٌ فِعْلًا، وهذا قَرْنٌ بين الصفة وأثرها، ولذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾ [الروم: 49]، لتقف على رحيميته، وتنتقل إلى أن تقف بحسب طوقك لذوق معنى رحمانيته العلية، لأننا ننتقل كما

تعلمون - وهذا شيء محكومون به - من الأثر إلى الفعل، ومن الفعل إلى الصفة، ومن الصفة إلى ما شاء الله للإنسان أن يصل إليه من إدراك بعض أنوار الذات العلية معرفةً، والله لا يحيط بكنهه أحد، «لا يعرف الله إلا اللهُ فاتئدوا» كما قال الجنيد رحمه الله تعالى[1]، والشأن إيمان، والإيمان علم، والعلم إدراك، وقد يتجاوز الإنسان حدود العلم، فيقع في الإشراك، ومن ثم وقعت طوائف كثيرة في وضع صور لله لا تليق بذاته تجسيما، أو تعطيله عن وصفه، فحار هؤلاء لأنهم كأنما تعلقوا بعدم، وأولئك كأنهم تعلقوا بشبه صنم، لأنهم جسدوا الله، وتعالى الله عن أن يشبه خلقه في شيء.

[من معاني الرحمة دفع المضارّ وجلب المسارّ]:

هناك معان كثيرة لرحمانية الله ورحيميته، ونحن اخترنا بالنسبة للرحمان الرحيم، أن الرحمان يرجع إلى دَرْءِ المضارّ، والرحيم يرجع إلى جلب المسارّ، فالله تعالى حين يرحم الإنسان يبدو أثر الرحمة مختلفا، فهو برحمانيته يدرأ البأساء، وبرحيميته يجلب النعماء، وعليه يكون كِلا الصفتين مبالغة في أثرهما وفي متعلَّقِهما، أما الصفة باعتبار الموصوف فواحدة، وهذه مبالغة من أجل أن نعرف نحن، ولذلك أنا دائما أقول بأن تصريف الأسماء الإلهية كتصريف الآيات، الغرض منها أحيانا ترسيخ معنى الصفة، أنظرها في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: 07]، ومرة: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾،

---

(1) قال في الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (1/ 42): ولا تُعرَف حقيقة ذاته على الأصح خلافا للجمهور، وأطلق الجنيد القول في عدم المعرفة ولم يقيد بالصفة وقال: لا يعرف الله إلا الله.

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾، وكل له نكتة في بابه، وبحسب سياقه، ولكنه تصريف للآيات، ومرجعها صفة المغفرة.

[دلالات أسماء الله العلية تضمنا والتزاما ومطابقة]:

معلوم أن لأسماء الله العلية دلالات ثلاث كما يقول علماء التوحيد، ويذكرها أيضا علماء اللغة حين يبحثون مبحث الدلالة، وهي دلالة التطابق، ودلالة التضمن، ودلالة الالتزام.

«دلالة اللفظ على ما وافقه ... يدعونها دلالة المطابقة»

«وجزئه تضمنا وما لزم ... فهو التزام إن بعقل التزم»[1]

فالاسم يدل بالمطابقة على ذات موصوفة بالصفة التي منها الاشتقاق، تقول «الرحيم» تدل على ذات موجودة موصوفة بصفات الرحمة تطابقا، فهي تدل على الذات، وتدل على الرحمة وتسمى هذه دلالة تضمن، لأنها دلت على جزء معناه، وتدل دلالة أخرى بالالتزام على غيرها من الصفات، كدلالة العليم على الحي، لأن العلم يتعلق بذات مدركة، لا نقول هذا عليم وغير حي، وكدلالة القدير على المريد والعالم، ودلالة السميع البصير على الحي، لأن هذه صفات كمال لا تكون في الجماد، ولا تكون في فاقدٍ للحياة، فيقال لكل اسم من أسماء الله دلالة ثلاثية.

[صفات الله الأزلية لا تتغير، ومن ذلك أن الرحمانية لا تتغير بالرحيمية]:

لذلك نقول هنا: الرحمان دلّ على اتصاف الله أزلًا بوصف الرحمة التي هي وصف كمال بلغ غايته، ولكن هذه الصفة الأزلية التي لا تتغير؛ لا تتغير بأثرها، ولا يتصور نفاد لها، فكما أنها أزلية فهي أبدية، وحدة

---

(1) الميسر لفهم معاني السلم. ص 32.

الوصف تدل على أنه لا يدخله التغير ولا يختلف، وهذه الأشياء تنفعنا إن شاء الله في باب تقريب معرفة الله، لأننا لا ندعي بأننا نستطيع أن نصل فيه إلى شيء، فبحر المعارف الإلهية بحر لا ساحل له، والله المستعان وعليه التُّكلان، وعليه، فوصف الرحمة لا يؤثر فيها الرحيمية، وإن كانت أصلا لها، وهذا يوضحه لنا درس من دروس التوحيد على لسان سيدنا رسول الله ﷺ حين يقول الله جل جلاله في الحديث القدسي.... «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، وبركم وفاجركم، كانوا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل واحد مسألته، (يعني كاملة) ما نقص ذلك مما عندي[1] إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل في البحر؟»[2] إبرة أدخلتها في الماء، ماذا حملت؟، هذا نقص في حكم العدم[3]، «فأعطيت كلا

---

(1) علق سيدي المصطفى على هذا المثال بقوله: كان ممكن أن يقول: ما نقص مما عندي شيئا، لكن التمثيل أحيانا يكون أبلغ في البيان كما هو مطرد في أساليب الكتاب وأساليب العربية.

(2) هذا أسلوب التمثيل، وهو من أساليب الكتاب وأساليب العربية، والحديث من جوامع كلِم رسول الله ﷺ وعلى آله، أخرجه الإمام مسلم رضي الله عنه في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، تحت رقم 2577.

(3) وما صوره الخضر في الحديث الذي رواه البخاري في مواضع مختلفة من صحيحه منها في كتاب العلم، باب ما ذكر في ذهاب موسى ﷺ في البحر إلى الخضر، برقم 74، وفيه بيان أن علم الله أيضا لا يتغير كباقي صفاته التي لا تتغير بالأثر الناتج عنها، فالخَضِرُ حين ركب في السفينة مع موسى، كأنه لاحظ في عين موسى استعظاما لأمره وأن الله أثنى عليه وقال «بَلى عَبدُنا خَضِر أعلمُ منك» إذًا في قلب موسى تصور عن الخضر غاية في الكمال فقال له انظر ذلكم الطائر الذي ينقر من البحر قال هل رأيت؟ إن علمي وعلمك، علم زائد علم، علمك يا موسى الذي علمك الله والذي عندي في =

مسألته»، بمحض الرحمة، قال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: 29]، أي من شؤون السائلين، يعطيهم ويُمِدُّهم ويَرْفِدُهم، وهم في حاجة إليه وهو الغني الحميد، وقبل آية ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ آية الغنى الإلهي الذي يدل على كمال الله الصمد، وهو قيام الله بنفسه كما هو مصطلح أهل العلم بالاعتقاد، وافتقار الكل إليه بمقتضى هذا القيام المطلق، فلا حاجة به إلى محل، ولا إلى مخصص، ولا إلى فاعل، تعالى ربنا، وتقدير هذه الأشياء لدفع الشبه، وهي مصطلحات في علم الاعتقاد الصناعي في كتب الكلام وغيرها،والآية هي: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿24﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 24 - 25] أي سيفنى، ولو قدرنا أنه الآن فانٍ لَصَحَّ[1]، ولكن هذا شيء لا يرقى له إلا أهل العرفان[2].

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ لأنه ليس له مدد من نفسه، لم يكن ثم كان، فوجوده عارض، وقواه عارضة، والعارض كاسمه عارض لا ثبات له من ذاته، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾، وبقاء الله المطلق في مقابل هذا الفناء المطلق لكل ما سواه ومن سواه، هو هو سر: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾،

= نسبته ومقداره إذا وضع إزاء علم الله، مقدار ما نقص من ماء البحر من منقار الغراب أو منقار الطائر، معنى لا شيء. (من استطراد المؤلف أثناء الإملاء مع بعض التغيير في بعض العبارات).

(1) ما في الوجود إلا الله، وكل عارض زائل، لأنه عندهم الوجود الحق هو الذي يقوم بنفسه، وليس ذلك إلا لله، أما غيره فوجوده عارض، والعارض كاسمه عارض.

(2) وهذا كما في قول الله تعالى في القرآن: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ بمعنى سيأتي تحقيقا.

يعني هذا الوجود إنما قام ببقاء الله، ولولا بقاء الله جل وعلا ما بقي وجود، ولولا قيام الله بنفسه ما أقام الوجود، ولذلك كانت أول صفة عند علماء العقيدة هي الوجود، ويزيدون كما جاء على لسان الأشعري وغيره أنها صفة نفسية؛ ويعنون بالنفسية أنه لا تُعقل الذات بدون الوجود، فيقولون وجوده عينه بمعنى عين ذاته، وذلك ضدا على الاعتزال الذي يقول بشيئية المعدوم، فكأنهم يثبتون الذات قبل الوجود لمسائل، وهذا يجر إلى القول بقدم العالم، وإن كانوا لا يقولون به فهو يلزمهم[1]، وإن كنا في باب التعاطي لا نحاسب باللازم، خصوصًا في موارد الاشتباه.

[وجود الله أظهر وجود انطلاقا من قول الله: «رب العالمين»]:

يقولون الوجود ظهر في الموجود، فهو ظاهر فيه، وظاهر له، وهو أظهر من كل موجود، ظاهر فيه ويسميه البعض ظهورًا في الأكوان، بمعنى هذه الموجودات شبه المرايا، رب العوالم المعلمة بوجوده، هذه لغة الكتاب، وهذه العوالم هي التي يسميها القرآن: «آيات الله»، وقلت بأن

---

(1) أنْقُلُ هنا ما قاله أبو منصور الماتريدي رحمه الله، بخصوص شيئية المعدوم عند المعتزلة والإجابة عليها في كتاب التوحيد، (ص: 86): «قال الفقيه رحمه الله: ثم نذكر طرفا مما يدل العاقل على مذهب الاعتزال في أصوله ومضاهاتهم أهل الأديان ليعلم المتأمل أن مذاهبهم نتيجة مذاهبهم، قالت المعتزلة المعدوم أشياء، وشيئية الأشياء ليست بالله، وبالله إخراجها من العدم إلى الوجود. قال أبو منصور رحمه الله: فعليهم في ذلك تحقيق الأشياء في الأزل لكنها معدومة ثم وجدت من بعد، وفي تقديمها نفى التوحيد لما كانت الأشياء بعد معدومة فاختلفا في الخروج والظهور، وإلا فهي في القدم أشياء معدومة فصيروا مع الله أغيارا في الأزل وذلك نقض للتوحيد».

الآية هي الدليل الكامل على ما نصب للدلالة عليه، كل كمال في بابه وفيما نصب عليه في باب الدلالة، يقال له: «آية»، عينك آية، وكل عرق فيها آية، وأنفك وكل أجزائه آية، على من؟ على الذي صنعك، واطْرُدْهُ في الوجود كله، عَمِّمْه، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الروم: 19]، أصلكم من تراب، فإذا بعد عنك الأصل فانظر إلى القريب، لأن مسافة التراب إلى الحي كمسافة النطفة إلى الحي، حتى بشهادة المختصين الذين ينظرون في كيفية تطور هذه الخلايا المتحركة، ولذلك وجب الانتباه إلى السنن حتى لا تكون حجابا لِقَيومِيَة الله، هذا الاطِّراد في سنن الله القدرية أجراه الله تعالى حتى لا يكون الكون مقدرا بخوارق، بل بصوادق مستقرة، رحمة بنا، وتجيء المعجزة استثناءًا لترُدَّكَ إلى الأصل، لأن الأصل في الفعل الإلهي أنه فعل خرق.

والباحث عن التفريد يقرأ آيات الله في إبرازه الموجودات، يقرأ فيها قدرة الله، وعلم الله، ويرى في تخصيصها بما خُصت به، إرادة الله، وحكمة الله، ويرى في مآلاتها حكم الله في قدره، إذِ الوجود كتاب مفتوح لآيات الاعتقاد والمعرفة.

[تصدير الحديث عن المعتَقَد بالحمد يدل على أن الاعتقاد عنوان حب أثمرته المعرفة]:

تصدير الحديث عن المعتقد في أول سور الكتاب بالحمد -عنوان كمال في المحمود، وعنوان حب من الحامد- يدل على ما ينبغي أن يكون عليه الاعتقاد، وهو أنه عنوان حب منك أثمرته المعرفة، رب قائل

يقول: هذا حديث بمصطلحات ما هي في القرآن، وهي عَيْن القرآن، قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: 52]، يعلموا، فيؤمنوا، فتخبت قلوبهم، العلم مقدمة الإيمان، والإيمان مدرجة ووُصْلةٌ إلى الإخبات، وهو قمة الاطمئنان، ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ من عرفان إلى إيمان إلى عيان، يقال: عِيَّانُك ما تشاهده، ويقينك ما تعتقده، وهو من أعلى درجات المعرفة، وهو مستوى من مستويات اليقين شهودًا، إيقان، وليس إدراك إحاطة، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: 107]، لكماله ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 104]، هذه من محكمات الكتاب، لأن نفي الإدراك لا يعني نفي الرؤية كما سيأتي بيانه إن شاء الله، وذلك حتى لا تختلط المسائل، فأنت ترى ولا تدرك، ترى آيات الله ولكن لا تدرك الموصوف بها، لان الإدراك تحصيل، تقول: هل أدركت هذه المسألة؟ بمعنى: هل حصلتها؟، ويقال أدرك الزرعُ إذا طاب، أدرك الثَّمَرُ أو التَّمْرُ إذا انتهى إلى غاية كماله طيبا، هذا لا يمكن أن تصله المعرفة بالله، والنبي ﷺ علمنا مما يقوله ويكرره في مناجاته: «سبحانك لا أحصي ثناء عليك»[1]، وتعلمون أن مقام المناجاة غير مقام التعليم، ولذلك نجد حتى العارفين بالله جل في علاه، تجد عندهم في كتبهم مناجاة، وهي غير نطق العارف في باب الحِكَم، كحِكم ابن عطاء الله مثلا: الحكمة نطق العارف، والمناجاة بيان حاله، والنبي ﷺ يقول: «سبحانك لا أحصي ثناء

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، (رقم: 486).

عليك» ؛ ثناءك لا أستطيع إحصاءه ، أي لا أقدر على أن أحمدك بكل المحامد ، وبيانها في حديث القيامة واضح ، قال حين يجيء الخلق إلى رسول الله ﷺ يستغيثون به يقولون: اشفع لنا عند ربنا ، يقول لهم ﷺ وعلى آله : «أنا لها ، أنا لها»[1] ، لأنه وُعِد بمقتضى قول الله عز وجل: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: 79] ، وعسى من الله واجبة كما يقول أهل التفسير ، لأنها وعد صدق ، وكونها واجبة بمعنى ثابتة لا واجبة عليه ، لأن الله لا يجب عليه شيء ، ثابتة منه لأنه وعد بمقتضى بما كتب من الرحمة القديمة على نفسه ، ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ [الأنعام : 54] قال ﷺ: «أنا لها» فيسجد عند ساق العرش ، يقول : «يلهمني الله من المحامد ما لم يسبق إلي أو لم يكن مني على بال» ، يعني يصل إلى مقام من المعرفة وينفتح له باب من الإدراك بالنسبة للمعرفة لم يكن عليه لمَّا كان في حال الدنيا ، وإيمان الأنبياء يزيد ولا ينقص .

[أقسام الإيمان باعتبار الزيادة والنقصان:]

ينقسم الإيمان باعتبار الزيادة والنقصان إلى أقسام ثلاثة:

1 - إيمان لا يزيد ولا ينقص وهو إيمان الملائكة ، ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ﴿164﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿165﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: 164 - 166] .

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (رقم 7510) . ومسلم في كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة ، رقم 193 .

2- وإيمان يزيد وينقص كإيماننا[1]، وسيجيئنا أسباب نقصه، والمستوى الذي يمكن أن نقول فيه لا يزيد ولا ينقص، وإذا نقص انتقض، وإذا زاد فباعتبار من غيره، ونفصل هذه المسألة حين نصل إليها، لنبين الأصل الذي لا يحتمل النقص ولا يقبل الزيادة ومعنى ذلك.

3- وإيمان يزيد ولا ينقص وهو إيمان الأنبياء، أنظر ذلك مثلا في القرآن نفسه، سيدنا موسى عليه السلام وهو على أبواب البعثة يقول: ﴿ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١١﴾ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي ﴾ [الشعراء: 12، 13]، المخاوف حاضرة، والله يقول له اذهب: ﴿ قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴾ [الشعراء: 15]، لكن أنظروا إليه في مقام أخر وهو يريد أن يقطع البحر، وقد أُيِّد، واليهود يقولون له ولقومه، وفي نفس السورة: ﴿ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴾ والغبار القريب منه يثور، ومن ورائه العدو يريد التربص، يعني يريد مؤاخذته، وهو يعلم أن فرعون قاصد الإجهاز عليهم، فيقول لهم موسى في اطمئنان ووثوق بصلته بالله وقربه: «كلا»، وكلا أُم الزواجر، كلا هذا لم يكن، ولن يكون ولا يجوز أبدا ﴿ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾ [الشعراء: 62] وفيه نكتة التقديم

---

(1) بوب الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه للمسألة بقوله في كتاب الإيمان: باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله، (رقم 57) وأورد تحته ستة أحاديث، منها قوله ﷺ: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن).

والتأخير، كما يقول أهل العلم بالبلاغة: لم يقل لليهود أن ربي معي، قالوا:لو قال إن ربي معي لأُزهقت أرواحهم من الخوف، هَلعُهم وخوفهم لا يتركهم حتى يُتِمَّ موسى الخبر، فقال: إن معي، فأحسوا بأن شيئا معه، وهم يعلمون انه مؤيد من الله، قال «معي» ليطمئنوا، ثم قال معي ربي سيهدين، كأنه راعى مقامهم حتى يطمئنهم، وخطاب الأنبياء بلغ الغاية والتمام في مراعاة مقامات الإدراك عند المخاطبين.

❊ ❊ ❊ ❊

[المسألة الثالثة: ومن صور المثاني في الفاتحة: الملك ووظيفته وغايته الجزاء]

سبقت الإشارة إلى أن الفاتحة تسمى «سبع مثاني» لأن المعاني تثنى فيها، وليس كما يقول البعض من أنها تثنى قراءتها في الصلاة، وسبق أنه من صور المثاني في سورتنا أن ربنا سبحانه وتعالى جمع بين الربوبية ومظهرها، وبين الرحمة وأثرها، وبين الملك ووظيفته.

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٣ ﴾

المِلك هو المتفرد بالتصرف في القول والفعل، أو في الإمرة نهيا ودعوة، أمرا ونهيا «ملك» وقُرأت «مالك»[1]، ولأهل العلم في التفسير والعقيدة مسائل في مبحث الأسماء أيهما أبلغ، «ملك» أم «مالك»، والقراءتان متواترتان، والقراءة كالآية في المصحف الكبير، مصحف القراءات[2]، وما بنا حاجة إلى أن نضيق فنقول هذه تحمل على تلك، وأن إحداهما أصل للأخرى،

---

(1) قال الشاطبي رحمه الله في حرز الأماني سورة أم القرآن، (ص11): «ومالك يوم الدين راويه ناصِر»، والبيت فيه رمز لمن قراء ملك ومن قراء مالك. الراء في «راويه» رمز الكسائي والنون في «ناصر» رمز عاصم، قراءتان بالمد «مالك»، والخمس من السبعة «ملك».

(2) بمعنى القرآن الكريم بكل المتواتر من طريق الطيبة؛ أي: القرآت العشر.

نقول الله «مالك» و«ملك»، وكلاهما صادق على المولى جل في علاه، ومن الوفاء للوحي الذي نزل بالأحرف السبعة، أن تقرأها مرة مالك ومرة ملك، وأن تتعبد لله بالصفتين.

يقول أهل العلم أن المالك ملك، والملك قد يكون مالكا وقد لا يكون، فهذا الذي يقتضي الآخر عندهم أشرف في مقامه، لا للمفاضلة بين القراءات في باب الإثبات، لا، وإنما هذا للتوجيه بعد الثبوت، ولذلك قال أهل العلم: توجيه القراءات فرع عن ثبوتها وليس أصلا لإثباتها، الملك يتصرف بالإمرة في الأحياء وفي الأشياء، والمالك يتصرف في الذّوات التي يملكها، وإذا تصورنا ربنا جل في علاه، كما في صريح الآيات، مالكا للكل، فهذا يدل على اختصاصه، اختصاص ملكيته للكل، فإذا هنا تلتقي المالكية والملك، يعني صفة المُلك وصفة المِلك، المـَلِك أقرب إلى أن يكون متصرفا بالإمرة، والمتصرف بالفعل يرجع إلى صفة المِلك، فالله يملك الذوات ويملك الحكم عليها، يملك الحكم والتصرف فيها بالأقضية تدبيرا، فإن الملك تلاحظ فيه معنى المدبر، والتدبير هنا يطال وينسحب على مسألة ما سمي «إفراد الله بإمضاء الجزاء»، وهو صريح القرآن، وعنوانه في سورة الفاتحة هو: «ملك يوم الدين»، هو الذي يمضي الجزاء، لا أحد يحكم معه هناك، وربما قال قائل: وهل هو هنا ليس ملك؟ بمعنى أن كلمة ملك يتأخر التعبد بها إلى هناك، أو هذه الصفة لاحقة لله هناك، لا، هي لله شأنًا ومُلك الله كمِلكه، نافذ وفي الآن، لكن بعض الصور محجوبة عنا من مثل كيف تنفذ الأجزية حتى اليوم، لكن هناك، لا يبقى أحد ينكر مُلك الله وتفرده به، ولذلك خُص به في الآية، وإلا فنفاذ الملك

ماض هنا وهناك في الأزل وإلى الأبد، ومن صور الملك في الدنيا قوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العنكبوت: 40]، هل يوجد جزاء دنيوي أو لا يوجد؟ يوجد، وعُجِّلَتْ منه نماذج يُسْتَدل بها على جزاء الغيب الكلي، حتى قال بعض أهل العلم باللغة: العقاب هو عذاب يعقب الذنب لنفوذ الجزاء من مالك الجزاء، لكن عيون الخفافيش أمثالنا لا ترى هذا، ولا تقدره مقداره، وتدخل أشياء من الحكمة في معنى الإمهال والتأخير ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: 44] وآية أخرى ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[السجدة: 21]، هذا في العذاب مؤاخذةً، وفي الجزاء بالخير: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: 17]، يضاعف لهم هنا، يعني جزاء معجل يجد معه المنفق الخلف هنا، ولهم أجر عظيم هناك في الآخرة، الجزاء إذًا له صور هنا في الدنيا، ولذلك الله يملك الجزاء وينفذه لمن يشاء هنا، وله ملك الجزاء الأخروي؛ لأنه فاصل في الباب، ولأنه ينتهي إلى خلود في الشقاء في سواء الجحيم، أو خلود في النعماء في الجوار الكريم.

[يوم الدين يومٌ يبدأ بالنشر إحياءً وينتهي بطي الأمر قضاءً]:

قال الله تعالى في خاتمة سورة الزمر بعد عرض صور السَّوْقِ لأصناف أهل الأخرة، قال: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزمر: 72]، فرجع هذا إلى أن المُلك من الربوبية، لأن الربوبية أوسع، والأسماء منها أسماء مراجع، ويتسع بعضها بحسب مرجعيته لمعاني

وأسماء وصفات، فمُلك الله راجع لربوبيته، وراجع أيضا لرحمته، بدليل الحديث النبوي «إن لله مئة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة، وادخر تسعة وتسعين ليوم الدين»[1]. وحتى مُلْكُ الجزاء هناك فهو لظهور عدل الله، وفضل الله، فكان بذلك مظهرًا من مظاهر رحمانيته، ولذلك المُلك في القرآن تجده مع الرحمة مذكورا، ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان: 26]، ملك مع الرحمن هنا، وفي سورة الحشر: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿22﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ [الحشر: 22، 23]، صفة الملك بعد وصفه بالرحمن الرحيم، وتلاها من بعد الملك ما يدل على تجليات الرحمة، لأن القدُّوسية صفة سلب[2] في باب الاعتقاد، تعني أن الله منزه عن أن يظلم أو يجور، الملِك قدوس لا يتصور منه جور، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ [يونس: 44]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: 46]، «قدوس» مقدس في ملكه، «سلام» يُسَلِّم عباده من بأسه إذا شاء، أو إذا أخذوا بسببه[3]،

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب: جعل الله الرحمة مائة جزء، رقم: 6000. ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله، رقم: 2752.

(2) يعنون بصفات السلب: «دَفْعُ كل نقص مستحيل في حقه جل وعلا، كصفات القدم، والبقاء، والمخالفة للحوادث، والقيام بالنفس، والوحدانية. الدر الثمين شرح المرشد المعين، ص43.

(3) فيه إشارة إلى أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا. وقد حفظنا من شيخنا حفظه الله على منبر الذكر في خطبة الجمعة قوله: «ثلاث لا يفعلهن الله، لا يضيع أجر المحسنين، ولا يصلح عمل المفسدين، ولا يهدي كيد الخائنين».

فالمؤمنون يحصل لهم الأمان، ورجع الكل إلى أن مُلك الله الذي هو صفة من صفاته، له تجليات هنا، وله تجليات هناك، والكل يُسلِّمُ بها هنا وهناك، ولكن أضيف على وجه التخصيص ليوم الدين لتناهي تجلِّيه، فالله يملك يوم الدين ويملك يوم التكليف، والوجود يومان، يوم ابتلاء ويوم جزاء، والله يملكهما معا، وقد بعث الرسل، وأنزل الكتب، وأمد بالتوفيق وسدد إلى الطريق، والله له ألطاف ومدد للسائرين والسائلين والباحثين عن الحق من أجل الوصول إليه جل في علاه.

* * * *

فصل في بيان دلالة

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

على أن الحمد المطلوب منا يتحد بالعبادة

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: اتساق السياق ونكتة الالتفات في آية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

المسألة الثانية: في بيان أن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تدل على الإخلاص و ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تدل على سر الإخلاص

المسألة الثالثة: في بيان أن الوجود الإلهي مُتَجَلٍّ للأكوان وَمُتَجَلٍّ فيها ظهورا من خلال الآيات

المسألة الأولى: اتساق السياق ونكتة الالتفات في آية: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ إلى هنا تطلع علينا الفاتحة بالآية التي تسمى عند البلاغيين بالالتفات، إذا لم يقدروا فعل الخطاب «قل» أو «قولوا»، ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ورب قائل يقول: أليس في الآية تكرار؟، أبدا، وبيانه أنه من إفراد حمد الله لنفسه، إلى إفراد العباد ربَّهم بالعبادة، وهو الحمد المطلوب منهم، فالحمد المطلوب منك هو العبادة، والعبادة حمد، والحمد رأس الشكر، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الزمر: 66]، ويقول النبي الكريم ﷺ: «أفلا أكون عبدا شكورا» فصح أن العبادة شكر، وهي حمد، و﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ يعني إخلاص الحمد لله في صورة تَعَبُّد، وهي انقياد عن اعتقاد، العبادة انقياد عن اعتقاد، ولكن بصفة لا تقبل الشرك، ولذلك قالوا: العبادة إعطاء غاية التذلل منك، لمن له كمال التفضل عليك، وأنَّى للواحد منا أن يصل إلى هذه الغاية في العبادة، ولذلك النبي ﷺ حينما تكلم عن الإحسان باعتباره جزاء على الإحسان منه، الإحسان مقام عبادة وإفراد، بإزاء الإحسان الواصل من الله إليك قال «بأن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه

يراك»، من أقرب ما يمكن أن نفسر به أنك لا تستطيع أن تحسن العبادة على الوجه المطلوب منك، حتى تكون ملاحظا لمسألتين، إما أن الله يراك، أم أنك تراه، وهما مقامان، مقام مراقبة، ومقام مشاهدة، وأنت في الحقيقة تبدأ بالأولى لتنتهي إلى الثانية، وهي أرقى، وتستعين بذلك في صلاتك، وهي من عبادتك، وفي صدقتك، وفي حجك، تقول سأقوم بهذا وكأنني بين يدي ربي، وتحاول أن ترتقي كأنك تراه، وهذا اللون من ألوان التشبيه الذي يعلمنا به النبي ﷺ يريد منا أن نقتحم، لا أن نقف متسائلين، ندور حول أنفسنا في أبواب من التساؤل الشَّكِّي والمتحير، وتَقَدَّم أنه إذا خطر شيء في بالك إزاء ربك فقل: الله فوق ذلك وبخلاف ذلك، فكُلُّ ما يخطر في بالك فالله بخلاف ذلك، وإذا مال بك الخاطر إلى جهة التشبيه فسلط عليه آيات التنزيه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

قال أهل العلم: نكتة الالتفات أن الإنسان يبدأ بالمعرفة في هذا الباب ذاهلا أو جاهلا أو غافلا، ثم حين يلتفت إلى كمال الله ربوبيةً ورحمةً وملكًا، فيعرف ويتوجه فيصبح مقبلا على معروفه، أي على ربه الذي أصبح منكشفا لوجدانه ولمداركه، وذلك بقدر مستواه وطاقته ليُقبل عليه بكمال تفريده بالعبادة. فجاء التعبير على هذا السر بالانتقال من أسلوب الغيبة إلى أسلوب الخطاب والحضور.

* * * *

[المسألة الثانية: في بيان أن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تدل على الإخلاص، و﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تدل على سر الإخلاص[1]]

قال أهل العلم ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تنفي الرياء وتثبت الإخلاص ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تنفي الكبرياء حتى لا ترى أن توحيدك منك، وأنك وصلت بجهدك المستقل عن الله إلى هذا التوحيد، كما أنهم قالوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ الإخلاص، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ سر الإخلاص، وهو ألا ترى الإخلاص منك، وإنما الله هو الذي أعانك، دليل ذلك ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: 53]، لا تلاحظوها من أنفسكم، هو الذي أعانك، وهيأك، وألهمك، ووفقك، ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ

---

(1) ممن أفاض في بيان ما تضمنته هذه الآية الكريمة من معان ولطائف وإشارات؛ ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين، حيث جعل جميع منازل السائرين ومدارج السالكين مندرجة تحت هذين المطلبين: إياك نعبد، وإياك نستعين. ومن خلال ما سطره رحمه الله يظهر جليا كيف يلتقي علم التوحيد والعقائد بعلم السلوك والتصوف، وهو ما انتحاه صاحب روض الإلهيات وجعله من أهم مقاصده؛ وذلك ما سنبينه بإذن الله تعالى في مقدمة الجزء الثاني من هذه السلسلة والذي يتضمن ما أملاه سيدي المصطفى حفظه الله في تناوله للمقاطع التالية: المقطع الكلي من آية الكرسي، ومقطع الاستهلال في سورة الآل، ومقطع الفلاح بما لاح من أسرار آي فالق الإصباح، ومَقْطَعَا المجد من سورة الرعد. والذي سيصدر قريبًا بحول الله ذي الحول والطَّوْل.

عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح: 4]، ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ [النور: 21]، ولا توجد أية غاية في الاستغراق في النفي مثل هذه الآية.

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ سند، ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ مدد، وإذا لم يكن لك سند صحيح إلى ربك فإن المدد قد ينقطع عنك، خصوصا المدد الخاص، ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ على هذه العبادة وفي كل شيء.

يقول أهل العلم: «المعونة على قدر المؤونة»[1]، والمؤونة في باب التوحيد وفي باب العبادة عالية، كيف تتزكى؟ كيف تترقى؟ كيف؟ اللهم لا زكاة لنا إلا بك، ولا مدد لنا إلا منك، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[2]...

---

(1) القائل هو سيدي المصطفى البحياوي حفظه الله.

(2) ولسر بديع جعل النبي الكريم ﷺ هذه العبارة كنزا من كنوز الجنة كما في صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، رقم: 4205 : عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: لما غزا رسول الله ﷺ خيبر، أو قال: لما توجه رسول الله ﷺ، أشرف الناس على واد، فرفعوا أصواتهم بالتكبير: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «اربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إنكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم»، وأنا خلف دابة رسول الله ﷺ، فسمعني وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال لي: «يا عبد الله بن قيس». قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «ألا أدلك على كلمة من كنز من كنوز الجنة» قلت: بلى يا رسول الله، فداك أبي وأمي، قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله». وأخرجه في مواطن أخرى من الصحيح، رقم 6384، 6610، 7386. وعند مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب استحباب خفض الصوت بالذكر، رقم 2704.

[المسألة الثالثة: في بيان أن الوجود الإلهي متجل للأكوان ومتجل فيها ظهورا من خلال الآيات]

وأعود إلى مسألة أخرى ترجع إلى قضية الوجود الإلهي في باب التجلي، وهي من مسائل التوحيد، وذلك ببيان «الوجود لِ»، «والوجود في»، فالله متجلٍّ للأكوان كما تجلى فيها، وهذا التجلي نوع من الظهور، ولا تشويش في الباب، هو نوع من الظهور من خلال الآية، وليس تجلي بمعنى الحلول، تعالى ربنا، قال أحد أهل العلم يقرب معنى التجلي للذي لا يفهمه: لو نظرت في المرآة فرأيت صورتك مجلوة فيها أكنت تعتقد أنك حالٌّ في المرآة؟!

[فوائد في بيان أن التسبيح بالحمد معرفة، والسجود انقياد وإذعان]:

[الكون يسبح بحمد الله لأنه عرفه]:

التجلي «لِ»، معنى أن الله تبارك تعالى متجل للكون كله، ودليلها من الكتاب أن الكل يسبح بحمده، ويسجد له، والتسبيح بالحمد لا يكون إلا من عارف، إذ كيف تسبح وتحمد من لا تعرفه؟[1] معنى التسبيح تنزيه الله

(1) من بين أهم الخلاصات التي تستفاد من الدرس العقدي عند الشيخ سيدي مصطفى حفظه الله أن الحمد والتسبيح هما ركنا التوحيد الصحيح. والتسبيح مقدمة الحمد ومدرجة إليه، فالذي لا يَعرف الله منزَّهًا عن كل نقص وموصوفًا =

عما لا يليق، والحمد تحقيق الصفات التي تليق بذات الكمال الإلهي، وهذان لا يمكن أن يكونا من جاهل، هل يمكن أن تسبح ربك وتحمده وأنت لا تعرفُ لا ما ينزه عنه ولا ما يوصف به؟ أبدا، هذا لا يتأتى، فقول الله تبارك وتعالى ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ دليل على أن الكون يعرف الله معرفة أنطقته بالتسبيح بحمد الله جل في علاه، لأنه مُتَجَلٍّ له وهو يعرفه.

[في بيان سجود الاختيار وسجود الاضطرار بالآثار]:

الله عز وجل يخبرنا في القرآن وهو يؤسس للاعتقاد الصحيح، أن الكون كله مسبح بحمده، وليس فقط تسبيح معرفة بل يوحده إذعانا وسجودا، وهو المنصوص عليه في قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الرعد: 15][1]،

= بكل كمال ولا يستحضر ذلك في كل أحواله وأحيانه، فإن توحيده منقوص ولو حفظ جميع كتب الجدل.

(1) هذه من سجدات التلاوة في القرآن الكريم. وأورد هنا مواطن السجود تبركًا؛ لأن طريق القرب وباب الحب هو السجود، لقول الله تعالى في خاتمة سورة العلق: واسجد واقترب؛ قال ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله في الرسالة (ص: 47): باب في سجود القرآن: وسجود القرآن إحدى عشر سجدة، وهي العزائم ليس في المفصل منها شيء في النص عند قوله: ﴿وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: 206] وهو آخرها فمن كان في صلاة فإذا سجدها قام فقرأ من الأنفال أو من غيرها ما تيسر عليه، ثم ركع وسجد وفي الرعد عند قوله ﴿وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الرعد: 15] وفي النحل ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: 50] وفي بني إسرائيل ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: 109] وفي مريم ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا =

يسجد طوعا أهل الإيمان والمعرفة، وكرها في حال الاضطرار، ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: 67]، الكافر ينسى آلهته وشركائه في وقت المحنة، وحتى الواحد منا، ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: 106]، تجيء المحن أحيانا فتجد الواحد يستغيث بالله وينسى كل شيء كرها، «وظلالهم» ظلك هو سوادك حين تكون في الشمس مقابل الضوء، أي شبحك، والمعنى آثارك، والظلال آثار، والمخلوقات ذوات وظلال، والكل يسجد لله، إن لم تسجد بذاتك سجدت بأثرك، ومعنى السجود بالآثار جريان المقادير عليك، فلا يمكن أن تخرج عن قدر الله أبدا، لا يمكن أبدا حين يجيء قدر الله أن ترُدَّه، إذ تجري عليك المقادير مرضا وموتا ونزول مصائب، وتجري أشياء لا تريدها ولا ترغب فيها، فإن كنت مؤمنا رددت الكل إلى قضاء الله وقدره، وإن لم تكن مؤمنا كيف تفسر هذا؟ كله إذعان بالظل للذي أقام عمارة الوجود جل في علاه.

= سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم: 58]، وفي الحج أولها ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الحج: 18] وفي الفرقان ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ [الفرقان: 60] وفي الهدهد ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النمل: 26] وفي (الٓمٓ تَنزِيلُ): ﴿ وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[السجدة: 15] وفي ص ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: 24] وقيل عند قوله ﴿ لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ [ص: 25]، وفي (حمٓ تَنزِيلُ): ﴿ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت: 37] ولا يسجد السجدة في التلاوة إلا على وضوء.

التسبيح بالحمد معرفة، والسجود انقياد وإذعان، والكون كله إذًا عارف وساجد، يقول الله تعالى في آية أخرى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحج: 18]، ولم يذكر فيها هنا لا كرها ولا ظلالهم»، ما يدل على أن هؤلاء حتى ولو لم يسجدوا بالاختيار، فإنهم ساجدون بالآثار والاضطرار، ولكن الله تعالى لا يدخل في ميزان اعتباره إلا ما كان طواعية، الله تعالى يريد منا عبادة عنوانها الحمد، والحمد معرفة ومحبة وتحرك عن اختيار، يريد الله منك عبادة إرادية، وهنا السر، ولذلك عنوان الحمد هنا مهم جدا، ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: 95]، يريكم آيات حمده فتعرفونها، ويبقى لك الاختيار هل تحمد أو لا تحمد، أي هل تُقِرُّ بجلال هذا المحمود وكماله واستحقاقه للمحامد أم لا، ثم هل تذعن له في إفراد العبادة ومدِّ اليد للمدد بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أم لا تفعل[1].

ثم نقف مع آية الهداية التي ختمت بها سورتنا، آية الهداية والدعاء ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿5﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿6﴾ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، وهو مضمن الفصل الموالي.

(1) بهذا النوع من البيان تصير مقاطع الفاتحة الثلاثة راجعة كلها على معنى الحمد، فالمقطع الأول فيه حمد الله لكونه جمع المحامد كلها ربوبية ورحمة وملكا، والمقطع الثاني فيه إفراد الله بالعبادة وهو تمام الحمد المطلوب من العباد، والمقطع الأخير فيه طلب مدد الهداية والنجاة من سبيل أهل الغواية، وهو دعاء، والدعاء هو العبادة، والعبادة هي الحمد، فرجع الكل إلى الحمد.

فصلٌ على مشارف الختم

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: في أن الدعاء عبادة وحمد

المسألة الثانية: في بيان انعطاف مقطع الفاتحة على مطلعها

المسألة الثالثة: الخوف والرجاء جناحا المؤمن في سيره لربه

المسألة الرابعة: بيان طريق الهداية ونهج السعداء وسبيل الغضب وطريق الأشقياء

المسألة الخامسة: تنبيه الفاتحة على أصول الاعتقاد

المسألة السادسة: القول في «آمين»

[المسألة الأولى:
في بيان أن الدعاء عبادة وحمد]

معلوم أن الدعاء عبادة وحمد، ستقول كيف هو عبادة وحمد؟ قال تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:60]، معظم المفسرين يقولون في تفسير «عن عبادتي»، عن دعائي، يقول ﷺ: «الدعاء هو العبادة»[1]، لأنه سرها، أنظر الصلاة مثلا، الصلاة لا يختلف أحد في أنها عبادة، ولكن كلها قائمة على الحمد، فاتحة الكتاب سورة الحمد، وهي أعظم الأركان القوليَّة، والركوع ماذا فيه؟ سبحان ربي العظيم وبحمده، وفي الرفع من الركوع: سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، وفي السجود حمد، كلها قائمة على الحمد، ولذلك لا صلاة لمن لم يقرأ

---

(1) أخرجه الترمذي ضمن أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة، رقم: ٢٩٦٩ النعمان بن بشير، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ﴾ (غافر: 60) قال: الدعاء هو العبادة، وقرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ﴾ [غافر: 60]- إلى قوله - ﴿دَاخِرِينَ﴾ [غافر:60]: هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجه في السنن ضمن أبواب الدعاء، باب فضل الدعاء، رقم 3828، وابو داود في السنن، باب الدعاء، رقم 1479.

بالحمد، وهذا ليس مجرد مبحث فقهي صغير، بل المراد منه فهم المعاني، بمعنى أن الذي لم يقرأ بالحمد، ما استحضر أن هذه الصلاة عبادةُ حمد، لأن هذه الألفاظ لا تراد لذاتها حتى في الشرع، أي أن هذه الكلمات لا يتعلق بها حكم حقيقي يقيني، فالتسبيح يراد لمعناه، والحمد يراد لمعناه، والقراءة تراد لما وراءها من مقاصد ومعاني، يراد منها التحقق والتخلق والتعلق، وهي أشياء لا بد أن تنطلق إليها لتتحقق بها.

❊ ❊ ❊ ❊

[المسألة الثانية: في بيان انعطاف مقطع الفاتحة على مطلعها]

الدعاء عبادة وحمد، قال ﷺ وعلى آله «أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله»[1]، فصَيَّرَ النبي ﷺ الحمد دعاء، وأُورِدُ هذه المسألة هنا لأبين بأن سورة الفاتحة تعود بالحمد على الحمد، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ولذلك الدعاء الأخير «حمد»، ولماذا كان الحمد دعاء؟ لأن فيه تعريضا بمسألة، وهو ألطف ما يكون في أدب الاستمداد، لأن الذي يدعو بالتلميح، أقرب لأن يعطى من الذي يستصرخ وهو فاقد لكثير من صفات الأدب، لاحظوا سيدنا ذا النون، كيف كانت استغاثته وهو في الضيق المضاعف في الظلمات الثلاث، ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 86]، يعني ليس فيها عبارة صريحة بالطلب والغوث لإخراجه، ولكنها غاية في الطلب، لسان حاله يقول: أنت مُسبَّحٌ ومُنزَّهٌ عن الخطأ والخطيئة، وأنا عبدك المسكين ظالم لنفسي، معناه فإن تشأ فهذه يدي وهذا اعترافي، والأدب في قرع الباب هو سبيل الاقتراب والاندراج في مصاف الأحباب.

---

(1) أخرجه الترمذي رحمه الله في سننه، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، رقم 3383، وابن ماجه رحمه الله في سننه ضمن أبواب الأدب، باب فضل الحامدين، رقم 3801.

حين تقول الحمد لله وأنت بصدد نعمة بل ومحنة، فإن الله تعالى سيغيثك، ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 09]، والحمد رأس الشكر وقمته، يقول الشاعر:

إذا أَثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرضه الثناء[1]

كفاك من تعرضه ثناؤه، إذا تعرض لك بالثناء، كفاه لتتعرض له بالعطاء، تقول للواحد وأنت تريد رِفْدَه: ما أكرمك، وما أكرم الأصول التي منها انحدرت، فلا يشك في أنك تستدر عطاءه، ولكن بلطف، وهذا لا يعني أن التصريح بالطلب لا يجوز، ولكن لكلٍّ مقامٌ بحسبه، النبي ﷺ مرة قال لأحد الصحابة «ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأل شسع نعله إذا انقطع»[2] هذا مقام آخر، يربطك بالله في كل شيء،

---

(1) البيت لأمية ابن أبي الصلت. أورده ابن كثير في تفسير سورة الفاتحة: (1/ 41)، وابن القيم في التفسير القيم (ص: 250) قال: إن الذاكر متعرض للنوال وإن لم يكن مصرحا بالسؤال، فهو داع بما تضمنه ثناؤه من التعرض، كما قال أمية بن أبي الصلت في ممدوحه:

أأذكر حاجتي، أم قد كفاني حباؤك؟ إن شيمتك الحباء
إذا أثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرضه الثناء

وعلى هذه الطريقة التي ذكرناها نفس الحمد والثناء متضمن لأعظم الطلب وهو طلب المحب، فهو دعاء حقيقة، بل أحق أن يسمى دعاء من غيره من أنواع الطلب الذي هو دونه. والمقصود أن كل واحد من الدعاء والذكر يتضمن الآخر ويدخل فيه.

(2) أخرجه الترمذي في السنن ضمن أبواب الدعوات باب: ليسأل الحاجة مهما صغرت، رقم (3607).

وفيه نفي الكبرياء، لأن الإنسان حين يتعاطى مع الأسباب يخطئ فينسى رب الأسباب ومسببها، انقطع شِسْعُ نعلك، وراح الحذاء، وأصبحت الرجل منها إلى الأرض، وهذا خطر، فقبل أن تبحث عن الإسكافي المصلح، نبينا ﷺ يعلِّمك، قل: ربي شسع نعلي انقطع، وأنت صاحب الغوث والمدد، ثم خذ بالأسباب إذا وجدتها، وقد كان عليه السلام إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة[1]، إلى الأصل، وهذه الألوان من التصرف الإيماني هي التي تعلمنا التوحيد.

ولذلك لا تستغربوا حين نفتح القرآن نجد أن مطلعه سورة تعلمنا الإلهيات ،﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ...﴾ في بدايتها الحمد ثناء على الله بمحامد بلغت التمام، وفي نهايتها الحمد بالدعاء، وكيف يكون الدعاء حمدا؟ لأنك أولا اتجهت إلى الله وأنت تعتقد أن عنده طِلبتك، ما تريده عنده، وهو الوحيد القادر على أن يعطيك، وهو في محل الإعطاء لأنه جواد، دعاؤك لله يستقدم استحضارا لأصولٍ من الكمالات في الله الذي تدعوه وتخصصه، لا يمكن أن ترفع يديك طالبا للهداية، وأنت لا تعلم أنه عنده هدايتك، ولا عنده تخليصك من حيرة ضلالك، لا يمكن أبدا، ولذلك قيل لأحد أهل العلم من أحد السائلين: أليس اسم الجلالة هو الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب؟ قال بلى، قال وما لنا ندعوا به

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث حديفة، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، رقم (99- 1788) وأحمد في المسند برقم (23334)، والبيهقي في شعب الإيمان (رقم 2912) و أورده ابن جرير في تفسير قول الله تعالى في سورة البقرة الآية 44: « واستعينوا بالصبر والصلاة».

فلا يكون هذا الذي نطلب؟ قال قد يكون لتخلف الشرط، لأن هذه سنن الله تعالى، ومن الشروط حضور القلب، يريدك أن تكون حاضرا بكليتك وأنت في مقام تسأله فيه حاجتك، وفي الحديث: «إن الله لا يقبل الدعاء من قلبٍ غافلٍ لاهٍ»[1]، لم يستحضر هذه المعاني، ومنها «أي من الشروط» تحري الحلال، وفي ذلك يقول ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم: وذكر الرجل يطيل السفر ومطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك»[2]، قال لتخلف الشرط.

* * * *

(1) أخرجه الترمذي في السنن في أبواب الدعوات، برقم 3479 عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاهٍ»، والحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل، رقم 1817، وغيرهما.

(2) هذا الحديث هو الحديث العاشر من أحاديث الأربعين النووية.

[المسألة الثالثة:
الخوف والرجاء جناحا المؤمن في سيره لربه]

[وجهة الطمع والرجاء]

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ۝٦ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ الدعاء رجاء، والرجاء بقدر ما يكون المدعو عظيما في قلب الداعي يكون مفتاحا للباب، أضف إليه أن يكون الداعي راجيا وخائفا، لأن الله ينظر منا إلى قلوبنا، قال ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[1] أي أعمالكم الصادرة عن القلوب، أما عندما تنقطع عن القلوب لا يراها، يعني لا يراها رؤية اعتبار، قال عليه السلام: لا يراها وليس لا يعلمها، هذه رؤية الاعتبار، وليست رؤية الإبصار.

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾، رجاء أن أكون ممن خص بالإنعام، بالإعطاء والإكرام، وتحقيق الهداية المطلوبة، سواء كانت إنشائية أو إتمامية، يعني التثبيت عليها وأن تبقى عليها إلى آخر

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، ودمه وعرضه وماله، (رقم: 2564). وابن ماجه في السنن، كتاب الزهد، (رقم 4143) والإمام أحمد في المسند (رقم 7827).

الدار، إلى أن تلقى ربك، إذِ الهداية مستويات، من هداية هي هداية التعريف، إلى هداية التوفيق والتصريف، يهديك الله فيصرِّف قلبك على طاعته، وقد كان من أدعية المصطفى ﷺ: «اللهم مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك»[1] وهذا يسمى بمقام الحفظ للولي، الله أعطى مقام العصمة للنبي، وأعطى لوليه مقام الحفظ، وفيه قول للنبي ﷺ في الحديث القدسي «فإذا أحببته كنت سمعه»[2] أي مصرف سمعه على أحد التأويلات، كنت سمعه أي: مصرف سمعه، معناه سأتوَّلاهُ كلًا، كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به... يعني: كُنتُهُ[3]، وفي رواية صريحة في البيان والشرح «فبي يبصر وبي يسمع وبي يبطش وبي..» يعني أنه مسدد مني، ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: 11]، وإذا هُدي القلب دانت له الجنود لأنه سيدها ومالكها.

[وجهة الخوف والاتقاء]

الخوف مع الرجاء جناحانِ في الدعاء يطيران به إلى حيث يشاء الله له، فتُفَتَّحُ له السماء، وترفعه الملائكة ويُقَبَل، ويُثنى على صاحبه.

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء، من حديث عمرو بن العاص (رقم 2654).

(2) أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه في كتاب الرقاق، باب التواضع ،من حديث أبي هريرة، (رقم 6502). والبيهقي في الأسماء والصفات، باب ما جاء في التردد، من حديث أبي هريرة (رقم1029).

(3) وحتى لا نفتح بابا للشطحات، ينبغي أن تنتبه إلى المقام الذي وصلت إليه، كنْتُهُ في الرواية معناه كنت متوليه. (المؤلف)

كيف نستحضر الخوف في خاتمة الفاتحة؟ من قول الله: ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ أنت لا تستحضر الإنعام فقط، وإنما تستحضر حتى ما يمكن أن يقال فيه انتقام، ﴿ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة: 22]، ليس الانتقام بالمفهوم الدارج، والمفهوم الصِّحفي، لأنه نحن لا نتصور الانتقام إلا مع حقد وبغضاء وحنق، وهذه أشياء منزهٌ عنها كمال الله العلي الذي انتقامه مؤاخذة، وفي صورها الكثيرة تأديب، والله تعالى يقول: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [السجدة:21]، ما ينزل بالناس من صور الأخذ هو لمصلحتهم، لا تتصوروا ربكم على مقاس ذاتكم في الانفعالات، فتعبدوا إلها ليس هو الإله المحمود المعبود كما تقدمه آيات الكتاب.

إذن، ترجو الإنعام وتخاف من الانتقام أي من المؤاخذة، والخشية ثمرة المعرفة، وهو قول النبي ﷺ «أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية» فكانت بذلك الخشية أرَقَّ خوف لأرقى معرفة.

* * * *

[المسألة الرابعة: بيان طريق الهداية ونهج السعداء وسبيل الغضب وطريق الأشقياء]

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ولا الضالين، استحضار أن هذه الطريق التي هي طريق المعرفة والحمد، هناك من لا يحمدون بإصرار، وهناك من لا يعرفون الحمد أصلا، ضلوا عن أصل الحمد بجهلهم وعدم معرفتهم، وهناك من عرفوا وانحرفوا، والقرآن يحدثنا عن أنفس من هذه النماذج: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ﴾ [النمل:14]، قال تعالى في اليهود وهم أهل الغضب: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: 88]، قال تعالى: ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، وقال الله تعالى في آية أخرى: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: 108] فإذا رأيتم هنا في الجزاء تغليظا، اسمه الغضب، والجزاء الأخروي ظلام دون ذلك، فهو بحسب الانحراف، وهذا من عدل الله في الجزاء، ويرجع لملكه، ولم يفصح القرآن عنهم في الفاتحة قال: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وفُسِّر في آية النساء بقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69]. هذه مراتب السعداء، ولا بد أن هناك غيرهم، إشارة إلى النبوءة وتصحيحها، وهذا إثبات للنبوءة وإثبات الجزاء وهما من معاقد

الاعتقاد في الفاتحة، هناك جنة ونار، أليس كذلك، ولهما أسباب، ولهما أهل، وفي الحديث «خلقت هذه ولها أهل وخلقت هذه ولها أهل»[1] وكلمة «أهل» تنبئ على أنها متعلقة على أسباب من العدل الإلهي، بمعنى أنه يدخلُ كلَّ دارٍ من تأهَّلَ لها، أي كل متأهل لذلك.

---

(1) الحديث في شرح الشفا للملا علي القاري قال (1/ 118-119): «وفي كتاب القصص لوثمية بن الفرات يرفعه إلى أبي موسى الأشعري أنه قال: لما خلق الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام قال له يا آدم، فقال نعم يا رب، قال من خلقك؟ فقال أنت يا رب خلقتني، قال فمن ربك؟ قال أنت لا إله إلا أنت، قال فآخُذُ عليك الميثاق بهذا؟ قال نعم، فأخرج الله سبحانه وتعالى الحجر الأسود من الجنة، -وهو إذ ذاك أبيض ولولا ما سوده المشركون بمسهم إياه لما استشفى به ذو عاهة إلا شفي به-، فقال الله سبحانه وتعالى: امسح يدك على الحجر بالوفاء، ففعل ذلك، فأمره بالسجود، فسجد لله سبحانه وتعالى، ثم أخرج من ظهره ذريته، فبدأ بالأنبياء منهم، وبدأ من الأنبياء بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم، فأخذ عليه العهد كما أخذه على آدم، ثم أخذ العهد على الأنبياء والرسل كذلك، وأن يؤمنوا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم، وأن ينصروه إن أدركوا زمانه، فالتزموا ذلك، وشهد به بعضهم على بعض، وشهد الله سبحانه وتعالى بذلك على جميعهم، وأخذ بعد ذلك العهد على سائر بني آدم، فسجدوا كلهم إلا الكافرين والمنافقين لم يطيقوا ذلك لصياصي خلقت في أصلابهم، ثم أمر الله سبحانه وتعالى آدم فرفع رأسه ونظر إلى ذريته، فرأى الأنبياء والعلماء كالسرج والكواكب، فقال يا رب من هؤلاء؟ قال هم الأنبياء والعلماء من ذريتك، فقال يا رب ومن هؤلاء الذين أراهم بيض الألوان؟ قال هم أصحاب اليمين، وقد أعددت لهم الجنة والكرامة، وخلقتهم سعداء، قال ومن هؤلاء الذين أراهم سودا؟ قال هم أصحاب الشمال، وقد أعددت لهم الهوان وجعلتهم أشقياء، فقال يا رب لو سويت بين خلقك أجمعين؟ فقال يا آدم، خلقت الجنة وجعلت لها أهلًا، وخلقت النار وجعلت لها أهلا.

[المسألة الخامسة:
تنبيه الفاتحة على أصول الاعتقاد]

أصول الاعتقاد عند أهل العلم هي:

- الله: قطب أقطاب العقيدة،
- والنبي: النبوءة،
- والمعاد الأخروي،

والفاتحة نبهت على كل هذا، وصدرت بما يجب التصدير به؛ وهو وصف الله بما يليق به كمالاً وجمالاً وجلالاً.

[أولا: مآخذ إثبات النبوءة من الفاتحة؟]

نأخذ إثبات النبوءة من جوانب عديدة أوصلها بعضهم إلى أزيد من عشرين موضعا في الفاتحة وحدها.

وأنبه على بعضها: من اسم الله ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ربوبية الله للعالمين تقتضي رحمته بهم ورفقه بهم، لأن من معاني الرب: المصلح والمدبر، ومَن وَصْفُه الإصلاح، كيف يترك عباده دون نبوءة؟ كيف يبلغهم خطابه؟ وكيف يكلفهم ويعرفهم؟ وهو يعلم أنهم في حاجة لذلك، لأن العقل لا يعرف بنفسه، وإن عرف وأحس بوجود الله، لكنه لا يستطيع أن يضع صورة

لله كما ينبغي، فلذلك جاءت النبوءة، ولا يمكن أن يترقى ويتزكى ليصل فعلا إلى المقام الأرقى، إلا بإسعاف الوحي، فكان الوحي أعظم نعمة في باب الإعداد، لأنه عندنا الأنعم الكبرى أربعة:

- إيجاد، وذلك بفطر الوجود من عدم وخلق الخلائق كلها وتخصيصها بما شاء الله لها،
- وإمداد، مدد هذا الوجود،
- وإعداد، وهو الارتقاء بالوحي إلى أعلى مقام،
- ثم الإسعاد،في دار الخلود،

وهذه جلائل النعم الكبرى، ومردها إلى نعمة أن «الله رب العالمين». ولذلك كان بعض الصالحين يقول: الحمد منك عليك[1]. بمعنى الحمد لله على الله.

ونأخذها أيضا من ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٦ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ﴾ [الدخان: 4-5]، النبوءة من رحمته، من أثر رحمة الله، الله ما أرسل الرسول إلا ليرحمنا، ورحمنا بالمعرفة، وإلا نظل حيارى في الطريق.

ونأخذها أيضا من: «ملك يوم الدين» الدين جزاء، والجزاء يستقدم التكليف والابتلاء، لا يمكن أن تُجازى على غير تكليف، والتكليف يحتاج إلى وجود مُبلِّغ عن الله فيما يكلفك أمرا ونهيا، فاقتضى إثبات النبوءة.

---

(1) شطر بيت للجعبري رحمه الله في عقود الجمان وقد مضى قبل يقول فيه:

والحمد منك عليك أنت كما روى أثنيت لا أحصيه بالحسبان

ومن مآخذها أيضا: «الذين أنعمت عليهم» وفي قمتهم الأنبياء، إهدنا صراطهم، وهذا إنما يكون بالتعريف، ورجعنا إلى مسألة إثبات النبوءة.

[ثانيًا: مآخذ إثبات المعاد من الفاتحة؟]

أما المعاد فبيّنٌ بشعاره، «يوم الدين»، اليوم المخصص للجزاء، واليوم هو مقدار أمر ظاهر يتم فيه، وقد يتسع وقد يضيق، مقدار مخصص لأمر ظاهر يتم فيه يسمى يوما في لغة الكتاب، فقد يكون عاما، وقد يكون مدة حدث ما، ولذلك سميت مغازي النبي ﷺ: أيام النبوءة، قد تكون الغزاة أو الغزوة تمت في شهر أو أزيد أو أقل، وتسمى يوم من أيام رسول الله، يعني حدثٌ في زمنٍ يتم فيه من بدايته إلى نهايته، فيقال يوم بدر، ويقال يوم حنين، ويقال يوم الحديبية.

❊ ❊ ❊ ❊

[المسألة السادسة: القول في آمين][1]

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٥ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ۝٦ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ آمين، بمعنى استجب يا رب، وهو مما يسمى بأسماء الأفعال؛ صوت يدل على معنى الفعل، وهو مشتق من الأمن، كلمةٌ نقولها وليست قرآنًا، كما نتعوذ بلفظٍ غير قرآني، ألفاظ نبوية عُلِّمْنَاهَا، فالاستعاذة وهي من أوامر القرآن الكريم، ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: 98]، والختم بالتأمين هو أيضا من السنة، وكلاهما غير قرآني، ومعنى التأمين إشعار الداعي بأنه في أمانٍ من أن يُرْفض إذًا بدأ قارئ بالحمد ثناءً على الله، وعرَّجَ على صفات الكمال ذاتا وفعلًا، وتَصَرُّفَ مُلكٍ، وخوفًا من ربنا جل جلاله، ثم اتجه لخطابه (أي خطاب ربه) بإعلان توحيده في البابين، ثم رَفَع يديه بالدعاء ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ...﴾ فهذا حَرِيٌّ بالأمان والضَّمان، لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾ [غافر: 60][2].

---

(1) عقد ابن عطية رحمه الله في المحرر الوجيز عند ختام تفسير سورة الفاتحة فصلا تحت عنوان «القول في أمين» (ج1/ ص79و80)، وقد بين الشيخ سيدي مصطفى حفظه الله في مجالس التفسير أن هذا الفصل تضمن أربع مباحث هي: فضل آمين، وحكمها، واللغات التي وردت فيها، ومعانيها، يرجع إليها من أراد مزيد تفصيل في الموضوع.

(2) أخرج البخاري في الصحيح، كتاب الآذان، باب جهر المأموم بالتأمين، =

أمين آمين لا أرضى بواحدة فيها اسْمُهُ وَوَسْمُهُ للمُوَحِّدِ[1]

آمين وأمنا للأمين بسرها وإن عثرت فهو الأمون تحمُّلا[2]

أمين آمين وأَمِّنَا للذي قد أصلح الخرق برفقٍ فاحْتَذي[3]

= (رقم 782) ومسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين، (رقم 410) كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قال الإمام: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: 7] فقولوا: آمين، فإنه من وافق قولُهُ قولَ الملائكة غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه»، وورد أن التأمين كالطابع والختم على الدعاء، وذلك في أحاديث عن سيدنا رسول الله ﷺ منها عند الطبراني رحمه الله في كتاب الدعاء، باب التأمين بعد الدعاء برقم 218، عن أبي المصبح المقرائي، قال: كنا نجلس إلى أبي زهير النميري رضي الله عنه وكان من أصحاب النبي ﷺ فيتحدث فيحسن الحديث، فإذا دعا الرجل منا بدعاء قال: اختموه بآمين، فإن آمين في الدعاء مثل الطابع على الصحيفة، قال أبو زهير: وأخبركم عن ذلك، خرجنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة نمشي فأتينا على رجل في خيمة قد ألحف في المسألة، فوقف رسول الله ﷺ يسمع منه، فقال رسول الله ﷺ: «أوجب إن ختم» فقال رجل من القوم: بأي شيء يختم يا رسول الله؟ قال: «بآمين، إن ختم بآمين فقد أوجب» فانصرف الرجل الذي سأل رسول الله ﷺ فقال: اختم يا فلان بآمين وأبشر. وفي نفس الباب برقم 219 عن أبي هريرة، رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «آمين خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين».

(1) البيت في أصله:

«أمين آمين لا أرضى بواحدة حتى أبلغها ألفين آمينا»

والشيخ غير منه الشطر الثاني، وهو بمعنى أن آمين فيها إشارة إلى اسم الله تعالى وصفاته، فقد ورد أن آمين من أسماءه تعالى وذلك كما عند ابن عطية رحمه الله في المحرر الوجيز (1/79) حيث قال: (وقال قوم: هو اسم من أسماء الله تعالى، وبخصوص دلالتها على الوسم فإنها تدل على وصف الله تعالى بالقريب وبالمجيب.

(2) حرز الأماني: ص .

(3) هذا البيت ختم به الشيخ سيدي مصطفى منحة المهدي في نظم عقيدة الأزدي التي هي مضمنة في هذا الكتاب (ص 7).

وبالختم بـ«آمين» يستكمل القارئ والداعي آداب الدعاء الثمانية التي جاءت على عد أبواب الجنة الثمانية، وذلك لأن العارف لا ينفك عن اضطراره، ولا ينسى أنه منتهى قراره، وبه يتحقق سجوده مستحضرًا عزَّ الربوبية وذُلَّ العبودية، وذلك بالإجمال في الطلب، والتَّوَقِّي من الرَّهَب، والتفصيل في الرَّغَب، وقلت في ذلك نظمًا:

وَحُصِرتْ آدابُ داعٍ في ثمانْ ... على وِفاقِ عَدِّ أبوابِ الجنانْ
ثَلِّث وأَعْظِمْ وأَلِحَّ واجْزِمِ ... أَجْمِلْ وأَثْنِ عَمِّمَنَّ واخْتِمِ
بِطَابَعِ الرَّفعِ كَمَا قَدْ وَرَدَا ... فَلَنء يَخِيبَ سَائِلٌ تَجَرَّدَا

وبيان ذلك مع الإشارة إلى مآخذها من فاتحة الكتاب كما يلي:

1. أول آداب الدعاء تثليثه، وهو في الفاتحة: الثناء العظيم، وولاء التعظيم، وذكر الإحسان القديم ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

2. إعظام المسألة: وهو في سورة الحمد طلب الهداية، وذلك من تعظيم المسئول، وحسن الظن به، فتطلب منه التوفيق والإعانة على ما هو مطلوبه منك.

3. الجزم؛ وذلك بعدم التعليق واعتماد طلاقة المشيئة، وهو في الفاتحة بيِّنٌ بالتأكيد على طلب الهداية من غير تعليقٍ ولا استثناء.

4. الإلحاح؛ وذلك بالتكرار باللفظ وبالمعنى، وهو في الفاتحة بيِّنٌ جليٌّ، حيث جاء بإلحاحٍ ثلاثي: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝5 صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ۝6 غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

5 . الإجمال ، وذلك بعدم التفصيل المُسْتَقْصي الذي يُخرج الدعاء عن حدود الأدب ، لأن الله يعلم حاجتك وما به صلاحك ، ويظهر ذلك في أم القرآن بالاكتفاء بطلب الهداية إجمالًا ، فكل ما يدخل تحتها فهو من جملة المطالب ، ومن ترغيبه صلى الله عليه وسلم في الدعاء بالجوامع .

6 . الثناء ، وذلك لأن الذي تدعوه هو المالك والقادر على أن يجيبك ، وهو في الفاتحة إعلان أن الله جل جلاله هو الهادي والمنعم ، وهو أول مَعروفٍ ، لا يجحد ألوهيته إلا من ظلم ، وهم المغضوب عليهم ، ولا يَنْسُب إليه ما لا يجوز إلا من جهل قدره ، وهم الضالون .

7 . التعميم والطي والتلميح ، لأنه سُنّة الموفَّقين من صفوة الخلق كما سطر ذلك القرآن الكريم في غير ما موضع ، من مثل دعاء سيدنا يونس عليه السلام: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ، ودعاء سيدنا أيوب عليه السلام: رب ﴿ مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ ، وهي سنة المصطفى عليه السلام المطردة في أدعيته ﷺ الشريفة المليحة والملمحة .

8 . الختم ؛ وهو من تمام الأعمال وحسن إتقانها ، فلا يكون العمل تامًّا إلا إذا خُتم بما به تمامه ، وإليه أرشد النبي الكريم كما في الحديث ، وهو في الفاتحة قول «آمين» بعد إتمامها ، وقد ورد في الحديث أن الملائكة تؤمن على دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب بقولها: آمين ولك مثله .

وكان الفراغ من تبييضه بحمد الله وحسن توفيقه
في صبيحة السادس من محرم الحرام عام 1440
من هجرة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام
والحمد لله في في البدء والختام

لائحة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع (المصحف المحمدي)

1- الإبانة الكبرى ، المؤلف: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبري المعروف بابن بطَّة العكبري (المتوفى: 387هـ) ، تحقيق: رضا معطي ، وعثمان الأثيوبي ، ويوسف الوابل ، والوليد بن سيف النصر ، وحمد التويجري ، دار الراية للنشر والتوزيع ، الرياض.

2- أبجديات البحث في العلوم الشرعية «محاولة في التأصيل المنهجي» ، للدكتور فريد الأنصاري ، دار السلام للنشر والتوزيع والترجمة. طبعة 2009

3- الإتقان في علوم القرآن ، للحافظ جلال الدين السيوطي ، (م 849هـ (ت911ه) ، تحقيق محمد إبراهيم أبو الفضل. المكتبة العصرية. طبعة 1997 .

4- الأحاديث القدسية ، راجعه واعتنى به محمد أسامة الطباع ، دار الفيحاء دمشق- بيروت ، ط 2004 .

5- الأدب المفرد ، تأليف أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، (ت 256 هـ) ، تحقيق: أحمد عبد الرزاق البكري ، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، الطبعة الثانية 1425 هـ/ 2005م.

6- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ) ،المحقق: إحسان عباس ، الناشر: دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة: الأولى ، 1414 هـ - 1993 م.

7- أصول الدين (سلسلة إتمام الدراية لقراء النقاية) للإمام جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) تحقيق جلال الدين تيسير قنبس ، دار التقوى ط 2015 .

8- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، تأليف أبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، (ت 616هـ) دار الرشاد الحديثة ط 1986.

9- إيضاح الصغرى بالفوائد الكبرى (شرح صغرى السنوسي) تأليف العلامة يبورك بن عبد الله بن يعقوب السملالي (ت 1058هـ)، قام بخدمته والتقديم له عبد الكريم قَبول، دار الرشاد الحديثة، ط 2015.

10- الإيمان، تأليف تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة: الخامسة، 1416هـ/1996م.

11- البداية والنهاية، المؤلف: الإمام أبو الفداء الحافظ إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت774هـ)، تصحيح وعناية: محمد إبراهيم الطرابلسي ويوسف أحمد الأنصاري، الناشر: دار صبيح وإديسوفت، الطبعة الأولى 1427 هـ 2006م

12- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت.

13- تاريخ بغداد، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2002م.

14- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، المؤلف: ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: 571هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي -، بيروت، الطبعة: الثالثة 1404.

15- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تأليف القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، (ت 544ه) مؤسسة الرسالة ناشرون ط 2014.

16- التعريفات، تأليف السيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيمي الجرجاني الحنفي (ت 816هـ) دار الكتب العلمية ط 2000.

17- تعظيم قدر الصلاة، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (المتوفى: 294هـ)، المحقق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: مكتبة الدار - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1406.

18- تفسير الطبري، المسمى جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت 310هـ) ن دار الكتب العلمية ط 1999.

19- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م.

20- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، المؤلف: محمد رشيد رضا (المتوفى: 1354هـ)، الناشر: دار المنار، القاهرة ـ مصر، سنة النشر:1366 هـ/ 1947م.

21- تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي (ت 774هـ)، مؤسسة المعارف ومؤسسة الريان ط 2003.

22- التفسير القيم، تأليف الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت 751ه) جمعه محمد اويس الندوي، حققه محمد حامد الفقي، منشورات دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الثالثة: 1425ه/ 2004م.

23- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تأليف الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن ابن علي التميمي البكري الرازي الشافعي (ت 604هـ) حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية ط 2003.

24- تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، (ت 701هـ)دار القلم بيروت ط 1989.

25- تقريب التهذيب في رجال الكتب الستة، تأليف الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت 856هـ)المكتبة العصرية ط 2015.

26- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل لأبي بكر الباقلاني المالكي، (ت 403هـ) تحقيق عماد الدين أحمد حيدر مؤسسة الكتب القافية ط 1987.

27- تهافت الفلاسفة، تأليف الإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي (ت 505هـ). دار الكتب العلمية ط 2008

28- التوحيد: للإمام محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ) تحقيق: د. فتح الله خليف، الناشر: دار الجامعات المصرية - الإسكندرية.

29- التوحيد، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ)، المحقق: د. فتح الله خليف، الناشر: دار الجامعات المصرية - الإسكندرية.

30- توشيح الديباج وحلية الابتهاج لبدر الدين محمد بن يحيى بن عمر القرافي، (ت 1008هـ) تحقيق الدكتور علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط 2004.

31- التوشيحات الجلية على النصيحة الهلالية، إعداد أبي زكرياء محمد صغيري، طبعة دار النجاح الجديدة، الطبعة الأولى: 1434هـ/ 2014م.

32- التوقيف على مهمات التعاريف معجم لغوي مصطلحي، تأليف محمد عبد الرؤوف المناوي، (ت 1031هـ) تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية دار الفكر المعاصر ودار الفكر ط 2002.

33- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، للإمام زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين ابن رجب الحنبلي البغدادي، من علماء القرن الثامن الهجري، مؤسسة الكتب الثقافية ط 2003.

34- جهود المغاربة في خدمة المذهب الأشعري، بحوث، منشورات مركز أبي الحسن الأشعري التابع للرابطة المحمدية للعلماء، ط 2012.

35- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، المؤلف: عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (المتوفى: 775هـ)، الناشر: مير محمد كتب خانه - كراتشي

36- حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: 1069هـ)، دار النشر: دار صادر - بيروت.

37- الحبائك في أخبار الملائك للحافظ السيوطي، صفحة 231 .تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1405 هـ - 1985م.

38- الحدود الكلامية والفقهية على رأي أهل السنة الأشعرية ومعه مسالة الشارع في القرآن، تأليف أبي بكر محمد بن سابق الصقلي (ت493هـ)، تحقيق محمد الطبراني، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الأولى 1429هـ/ 2008م.

39- حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، نظم أبي محمد القايم بن فيره بن خلف بن أحمد الشاطبي الرعيني الأندلسي (538- 590هـ)، تحقيق وضبط وتعليق أيمن رشدي سويد، مكتبة ابن الجزري دمشق سورية، الطبعة الأولى 1434هـ/ 2013م.

40- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني الشافعي، (ت430هـ)، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية لبنان، طبعة 2007 .

41- خطبة الحاجة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: 1420هـ)، الناشر: مكتبة المعارف، الطبعة: الطبعة الأولى 1421هـ- 2000م.

42- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المؤلف: محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (المتوفى: 1111هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت.

43- الدر الثمين والمورد المعين شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين المسمى ب ميارة الكبير، تأليف: العلامة محمد بن أحمد ميارة المالكي (ت 1072هـ)، الناشر: دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء المغرب، طبعة 1432 هـ - 2011م.

44- درة الحجال في أسماء الرجال، تأليف أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضين تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث القاهرة.

45- الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، تأليف الإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي رحمه الله (ت 505هـ)، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1428هـ- 2008م.

46-الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ) المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند، الطبعة: الثانية، 1392هـ/ 1972م

47-الدعاء للطبراني، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1413 هـ - 1993.

48-دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار صلى الله عليه وسلم، تأليف أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي السملالي الحسني (ت 870هـ)، دار الرشاد الحديثة، طبعة 1437هـ/ 2016م.

49-الدليل العلمي للدورة العاشرة للمنتدى الإسلامي بالشارقة، تحت عنوان الفقه الأكبر، منشورات المنتدى الإسلامي، ط 2010.

50-الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، المؤلف: إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (المتوفى: 799هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

51- ديوان إبراهيم ناجي: المؤلف: إبراهيم ناجي، الناشر: دار العودة بيروت، طبعة 1980.

52-ديوان أبي إسماعيل الحسن بن على الطغرائي (ت 515هـ)، تحقيق علي جواد الطاهر ود يحيى الجبوري، مطابع الدوحة الحديثة، قطر. الطبعة الثانية: 1406هـ/ 1986م.

53-رد التشديد في مسألة التقليد تأليف الشيخ أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي (ت 1155هـ) دراسة وتحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية ط 2001.

54-رسالة ابن أبي زيد القيرواني، تأليف: أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت 368هـ)، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، طبعة 1438هـ - 2017م.

55-رسالة استحسان الخوض في علم الكلام، تأليف الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت 324هـ) دار الكتب العلمية ط 2012.

56-الرسالة القشيرية في علم التصوف، تأليف العارف بالله أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري (ت 465هـ/ 1703م)، تحقيق معروف مصطفى زريق، المكتبة العصرية صيدا بيروت، طبعة 1424هـ/ 2003م.

57-رسالة دكتوراه لجمال زكري تحت عنوان «نظم الفرائد ومبدي الفوائد لمحصل المقاصد للإمام أبي العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن المنجور الفاسي، (ت 995هـ)» دراسة وتحقيق، السنة الجامعية 2016 - 2017. بكلية أصول الدين بتطوان.

58-رسالة دكتوراه لخالد الدرفوفي في موضوع تحقيق شرح مراصد المعتمد في مقاصد المعتقد لمحمد العربي بن أبي المحاسن الفاسي (ت 1052هـ) والشارح أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر بن علي بن أبي المحاسن الفاسي (ت 1096هـ) الموسم الجامعي 2016 2017 بكلية أصول الدين بتطوان.

59-الروض الأنف للإمام أبي القاسم عبد الرحمن الخثعمي السُّهيلي (ت 581هـ)، دار الحديث القاهرة ط 2008.

60- الزهد، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999م.

61- سلسلة علماء في ضيافة المجلس العلمي، المجلد الثاني، منصورات المجلس العلمي المحلي بطنجة، 1435 هـ 2014م. طبعة 2014.

62- سلم الوصول إلى علم الأصول في توحيد الله والرسول، لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي، (ت 1377هـ) المكتبة الشاملة.

63- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تأليف شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن عمي الكتاني، دار الثقافة الدار البيضاء المغرب، الطبعة الأولى1425هـ/2004م.

64- سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد أبي عبد الله القزويني المتوفى سنة 273 هـ، دار ابن الجوزي القاهرة. الطبعة الأولى 2011.

65- سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ -1975م.

66- سنن النسائي (المجتبى) لأحمد بن علي بن شعيب أبي عبد الله النسائي (ت303هـ)، دار ابن الجوزي القاهرة. ط 2001.

67- سير أعلام النبلاء، تأليف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ) المحقق: مجموعة من المحققين

بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الثالثة ، 1405 هـ / 1985م. غاية النهاية في طبقات القراء ، تأليف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري ، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ) ، الناشر: مكتبة ابن تيمية ، الطبعة: 1351هـ .الضوء اللامع

68- السيرة النبوية لابن هشام ، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ، أبو محمد ، جمال الدين (المتوفى: 213هـ) ، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة: الثانية ، 1375هـ - 1955م.

69- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، تاليف: محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (المتوفى: 1360هـ) ، علق عليه: عبد المجيد خيالي ، الناشر: دار الكتب العلمية ، لبنان ، الطبعة: الأولى ، 1424 هـ - 2003م.

70- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: تأليف قاضي القضاة بهاء الدين ابن عقيل الهمداني المصري المتوفى سنة 769 هـ. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، طبعة 1428 هـ - 2006م.

71- شرح السنة ، المؤلف: محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 516هـ) ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش ، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق ، بيروت ، الطبعة: الثانية ، 1403هـ - 1983م.

72- شرح الشفا للقاضي عياض. تأليف علي بن (سلطان) محمد ، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الأولى ، 1421 هـ.

73- شرح الكافية الشافية ، المؤلف: محمد بن عبد الله ، ابن مالك الطائي الجياني ، أبو عبد الله ، جمال الدين (المتوفى: 672 هـ) ، المحقق: عبد المنعم أحمد هريدي ، الناشر: جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة ، الطبعة: الأولى.

74- شرح رياض الصالحين ، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ) ، الناشر: دار الوطن للنشر ، الرياض ، الطبعة: 1426 هـ.

75- شرح محصل المقاصد مما به تعتبر العقائد ، للإمام إبراهيم بن محمد الجزولي التمنارتي (ت.971هـ) ، دراسة وتحقيق ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه من كلية أصول الدين بتطوان ، المملكة المغربية ، من إنجاز الطالب الباحث محمد أيمن العتكي ، تحت إشراف الدكتور محمد الشنتوف ، السنة الجامعية: 1438/ 1439هـ-2017/ 2018م.

76- شعب الإيمان ، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ) ، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي ، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند ، الناشر : مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ، الطبعة: الأولى ، 1423 هـ - 2003م .

77- صحيح البخاري ، تأليف أبي عبد الله محمد ابن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي رضي الله عنه وارضاه (ت 256 هـ) ، ترقيم وترتيب الشيخ محمد فؤاد عبد الباقين مكتبة العلوم والحكم مصر ط 2011 .

78- صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 264هـ) مؤسسة زاد للنشر والتوزيع ط 2012 .

79- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: 902هـ)، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.

80- طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: 771هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1413هـ، عدد الأجزاء: 10الإبانة عن أصول الديانة للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت 324هـ) دار الكتب العلمية ط 2011.

81- طبقات الصوفية، المؤلف: محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (المتوفى: 412هـ)، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1419هـ 1998م.

82- طبقات الفقهاء، المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (المتوفى: 476هـ)، هذبهُ: محمد بن مكرم ابن منظور (المتوفى: 711هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1970م.

83- العرف الشذي شرح سنن الترمذي، لمحمد أنور شاه بن معظم الكشميري الهندي المتوفي سنة 1350 هـ، تحقيق عمرو شوكت، دار الكتب العلمية. طبعة 2007.

84- العظمة، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني (المتوفى: 369هـ)، المحقق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الناشر: دار العاصمة - الرياض، الطبعة: الأولى، 1408 هـ.

85- غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: 850 هـ) ، المحقق: الشيخ زكريا عميرات ، الناشر: دار الكتب العلميه - بيروت ، الطبعة: الأولى - 1416 هـ .

86- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، (ت 856هـ) دار التقوى للتراث ، ط 2000 .

87- فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية ، تأليف: أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي الناشر: مكتبة الأسدي ، مكة المكرمة ،الطبعة: الأولى ، 1431 هـ - 2010م.

88- الفروق اللغوية ، تأليف الإمام أبي هلال العسكري (أحد أعلام القرن الرابع الهجري) ، تحقيق محمد إبراهيم سليم ، نشر دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع طبعة دت .

89- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ، تأليف محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي ، (1291هـ -1372هـ) ،بعناية أيمن صالح شعبان ، الناشر: دار الكتب العلمية ، لبنان ، طبعة 2007 .

90- الفهرست ، المؤلف: أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعروف بابن النديم (المتوفى: 438هـ) ، المحقق: إبراهيم رمضان ، الناشر: دار المعرفة بيروت - لبنان ، الطبعة: الثانية 1417 هـ - 1997م .

91- فهم القرآن ومعانيه ، المؤلف: الحارث بن أسد المحاسبي ، أبو عبد الله (المتوفى: 243هـ) ، المحقق: حسين القوتلي ، الناشر: دار الكندي ، دار الفكر - بيروت ، الطبعة: الثانية ، 1398هـ .

92- القاموس المحيط ، تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي ، (ت817هـ) . دار الحديث طبع نشر توزيع ، ط 2008 .

93- كتاب المنهاج في شعب الإيمان، تأليف: أبي عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي (ت403هـ) تحقيق: حلمي محمد فودة، ط: دار الفكر بيروت 1399هـ /1989م.

94- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ) تحقيق وتعليق ودراسة عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، ط 1997.

95- الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، (ت 1094هـ) مؤسسة الرسالة ط 1993.

96- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، تأليف الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت 324هـ) دار الكتب العلمية ط2012.

97- متن العقيدة الطحاوية، تأليف الإمام أبي جعفر الوراق الطحاوي (ت 239هـ) دار ابن حزم ضمن متون في العقيدة ط 2012.

98- مجموع المتون في القراءات والتجويد، تحقيق سعيد عبد الحكيم سعد، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى 1429هـ/ 2008م.

99- محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه - بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ.

100- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، (ت 546هـ) دار الكتب العلمية ط 2007.

101- المختصر الكلامي. تأليف أبي عبد الله محمد ابن محمد ابن عرفة التونوسي المالكي، (716 - 803هـ) تحقيق نزار حمادي، دار الضياء للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى 1435هـ - 2014م.

102- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تأليف الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكرابن قيم الجوزية، تحقيق عماد عامر، دار الحديث، القاهرة، طبعة 1426هـ 2005م.

103-المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، للعلامة عبد الواحد بن أحمد بن علي ابن عاشر الأنصاري الأندلسي، (ت 1040هـ)، دار الكتب العلمية ط 2009.

104- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2002.

105- المستدرك على الصحيحين:لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 - 1990.

106- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

107- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، المؤلف: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: 1377هـ)، المحقق: عمر بن محمود أبو عمر، الناشر: دار ابن القيم - الدمام، الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1990م.

108- المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين-القاهرة

109 - معجم الفروق اللغوية ،لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ) ، المحقق: الشيخ بيت الله بيات ، ومؤسسة النشر الإسلامي ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ«قم» ، الطبعة: الأولى ، 1412هـ.

110 - المعجم الكبير ، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ) ، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة ، الطبعة: الثانية .

111 - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية ، الطبعة: الأولى 1417 هـ- 1997م .

112 - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تأليف الإمام ابن هشام الأنصاري (ت761هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر: المكتبة العصرية صيدا بيروت ، طبعة 1424هـ - 2003م.

113 - المنقذ من الضلال ، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) ، الناشر: المكتبة العصرية بيروت ، الطبعة: 1430 هـ 2009 .

114 - المنهاج في ترتيب الحجاج ، لأبي الوليد الباجي ، (ت 474هـ) مكتبة الرشد ناشرون ط 2004 .

115 - منهج الشيخ مولاي مصطفى البحياوي في التفسير: (تفسير سورة الفاتحة نموذجا) ، رسالة لنيل شهادة الماستر من جامعة ابن زهر بأكادير بالمملكة المغربية ، للطالب البشير اندمين ، تحت إشراف الدكتور حسن حميتو ، السنة الجامعية: 2015/ 2016 .

116- الموسوعة المنتخبة من المتون الشرعية المتداولة، دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء، ط 2008.

117- موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المكتبة الشاملة، نسخة 2013.

118- موطأ الإمام مالك: مالك بن أنس بن مالك ابن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ) تحقيق: بشار عواد معروف - محمود خليل الناشر: مؤسسة الرسالة، سنة النشر: 1412 هـ.

119- الميسر لفهم معاني السلم شرح متن السلم المنورق في علم المنطق للأخضري، تصنيف سعيد عبد اللطيف فودة. دار الرازي، ط 2004.

120- الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الثانية، 1423هـ/2002م.

121- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تأليف عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: 577هـ)، المحقق: إبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، الطبعة: الثالثة، 1405 هـ - 1985م.

122- نزهة النظر في شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر: للإمام الحافظ أحمد ابن علي ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة 852 هـ. تحقيق عبد الكريم فضيلي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت. طبعة 2005.

123- نقض المنطق: تأليف شيخ الإسلام تقي الدين أحمد ابن تيمية (م 661هـ - ت728هـ). تحقيق محمد بن عبد الرزاق حمزة وسليمان بن عبد الرحمان الصنيع، تصحيح محمد حامد الفقي، المكتبة العلمية.

124 - النكت والعيون تصنيف أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت 450هـ) دار الكتب العلمية.

125 - هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ، المؤلف: عبد الفتاح بن السيد عجمي المرصفي المصري الشافعي (المتوفى: 1409هـ) ، الناشر: مكتبة طيبة ، المدينة المنورة ، الطبعة: الثانية.

126 -الوافي بالوفيات ، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: 764هـ) المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت ، عام النشر:1420هـ- 2000م.

فهرس الموضوعات[1]:

إهداء على استحياء 5

تقديم الشيخ سيدي المصطفى حفظه الله للكتاب تحت عنوان «على أعتاب الروض البهي» 7

استهلال وابتهال 13

المقدمة 16

دوافع الاختيار 16

لماذا روض الإلهيات؟ 19

الدراسات السابقة 20

فصل في التعريف بصاحب روض الإلهيات وأثره العلمي والدعوي والتربوي 23

تقدمة بين يدي هذا الفصل وفيها ذكر كيف تعرفت على سيدي المصطفى حفظه الله 25

أول جلوس مع الشيخ في «الزاوية» 28

المبحث الأول: ترجمة مختصرة للعلامة سيدي المصطفى البحياوي .. 30

---

(1) ارتأيت في هذا الجزء من كتاب «روض الإلهيات» أن أكتفي بفهرس الموضوعات دون سائر الفهارس الأخرى، وستكون بحول الله من ملاحق الجزء الأخير منه.

المطلب الأول: اسمه ونسبه ونشأته 30
المطلب الثاني: بعض شيوخه 32
المطلب الثالث: سيرة ومسار 35
المطلب الرابع: مكانة الشيخ سيدي مصطفى من خلال بعض الشهادات في حقه 39
شهادة الدكتور محمد جميل مبارك حفظه الله 39
شهادة الدكتور سيدي محمد التمسماني حفظه الله عميد كلية أصول الدين وعضو المجلس العلمي لطنجة 40
شهادة الأستاذ سيدي المختار محمد التمسماني حفظه الله أستاذ باحث بطنجة 41
شهادة الدكتور عدنان أجانة أستاذ بكلية الآداب بتطوان 42
شهادة الدكتور هشام اغبالو حفظه الله 43
قصيدة الشاعر فيصل الأمين البقالي في مدح الشيخ سيدي المصطفى حفظه الله 44
المبحث الثاني: الأثر العلمي والدعوي والتربوي للشيخ سيدي المصطفى حفظه الله 48
المطلب الأول: درس العقيدة 49
نظم تراجم كتاب الإيمان من صحيح البخاري رضي الله عنه 49

نظم تراجم كتاب التوحيد من صحيح الإمام البخاري رضي الله عنه ... 50

نظم عقيدة الإمام الطحاوي المسمى «منحة المهدي في نظم عقيدة الأزدي» 51

فصل في أن التوحيد لله: تسبيح وتحميد وتقديس وتمجيد إذ مرده إلى: إثبات الكمال لله المتعال ونفي ما يضاد كماله بكل حال ... 52

العقائد الكبرى في الوحي والنبوة الخاتمة وبعض ما خصت به من صور الاجتباء: كالحوض المورود ومعراج الصعود 54

ميثاق التوحيد المأخوذ في الأزل والمقادير فيما مضى وما لم يزل 55

العرش والكرسي مربوبان لله جل جلاله 56

مسائل تتصل بالإيمان والكفر وأن لكل منهما أصلا تصح به التسمية وغاية هي معقد التنويه أو التدسية 56

رؤية الله في دار كرامته ثابتة بالنص المنزل الذي عليه المعول في درك حقائق الغيب فلا تتأول 57

الولاية والكرامة وشروط قبولها 58

تحرير ما يتصل بالتبديع والتكفير 59

العقائد في الإمامة الكبرى والصغرى والجماعة والمتابعة 59

سمعيات يجب الإيمان بها غيبا 60

أفعال العباد من خلقه وتكليفهم من أمره ورفقه، وهو في الأمر والخلق قائم بالقسط والحق جل في علاه 61

عدالة صحب رسول الله ﷺ وخلفائه وأهل البشارة والسلف من أئمة الفقه وأصحاب الأثارة 61

أشراط الساعة وخصائص الدين الخاتم 62

خاتمة وابتهال 63

المطلب الثاني: درس التفسير 64

نظم بطاقات التعريف بسور المصحف الشريف 65

بطاقة التصنيف 66

بطاقة التوصيف 66

بطاقة التوظيف 66

المطلب الثالث: درس القراءات 68

المطلب الرابع: درس الحديث 69

نظم تراجم كتاب العلم من صحيح البخاري 70

المطلب الخامس: درس السيرة 71

المطلب السادس: درس الأصول 73

المطلب السابع: درس التزكية 75

المطلب الثامن: نهج سيدي المصطفى في خطبة الجمعة 79

نموذج من خطبه الجُمْعِية بعنوان «مقصد العبادة والمعرفة من خلال الآيات المُعرِّفة» 80

خطبة الحاجة.....80

الخطبة الأولى.....81

الخطبة الثانية.....88

أدعية الختام 91

المطلب التاسع: مكانة العلم عند الشيخ سيدي المصطفى حفظه الله من خلال سيرته.....93

فصل في تعريف روض الإلهيات والمنهج المعتمد في تنزيله من خطاب مسموع على كتاب مطبوع والسبب في الاقتصار على الفصل التمهيدي ومقطع الحمد.....95

المبحث الأول: في التعريف بروض الإلهيات.....97

وجه التسمية بـ«روض الإلهيات» 97

المقاطع المنتخبة من سور الكتاب الكريم مرتبة 98

مقطع الحمد وحيثيَّته من أمِّ الكتاب وفاتحته 98

المقطع الكلي من آية الكرسي.....99

مقطع الاستهلال في سورة الآل.....99

مقطع الفلاح بما لاح من أسرار آي فالق الإصباح 100
مقطعا المجد من سورة الرعد 101
مقطع الأنباه في آية المشكاة 102
مقطع الاستدلال المستأصل لأوهام الشرك المضلل 102
مقطع الكمال الموسوم من سورة الروم 103
مقطع التمام في التنويه بخصائص الكلام 104
مقطع التفريد في آيات المقاليد 104
مقطع تفرد المهيمن في سورة المؤمن 105
مقطع التسبيح والتوحيد من صدر سورة الحديد 105
المقطع الأمثل من خاتمة الحشر الأول 106
مقطع أنفس الأعلاق بختم سورة الطلاق لبيان الغاية من الخلق
والأمر بإطلاق 106
مقطع التحصين من الشر الخفي والمستبين في سورتي المعوذتين .. 106
المبحث الثاني: أهم المسائل والقضايا التي شكلت محور الاهتمام
على امتداد دروس روض الإلهيات 107
المبحث الثالث: المنهج المعتمد في تنزيل نص «روض الإلهيات»
من مسموع إلى مطبوع 109

الخطوة الأولى: التوضيب 109
الخطوةالثانية: الترتيب 109
الخطوة الثالثة: التبويب 109
الخطوة الرابعة: التقريب 109
الخطوة الخامسة: التوثيق 110
الخطوة السادسة: التعليق 110
صعوبات في الإنجاز: 110
المبحث الرابع: ذكر السبب في الاقتصار على الفصل التمهيدي
ومقطع الحمد من روض الإلهيات 114

نص روض الإلهيات

نوافذ إطلالة على روض الإلهيات وفيها الأصول الضابطة لجادِّ
الاعتقاد 119
أولا: أصول ما يجب في الإيمان بالله الحنان المنان 119
ثانيا: معاقد الاعتقاد في الإلهيات 119
ثالثا: أنموذج مآخذ معاقد العقائد من الأسماء الحسنى 120
القسم التمهيدي وفيه مدخل إلى علم العقائد 118
ديباجة الحمد والصلاة 125

بين يدي الموضوع 127

ليس الغرض من درس الأصول التفتيش عن عقائد الناس ولا التشويش عليها 130

فصل في ذكر المنهج المعتمد في دراسة موضوعات روض الإلهيات 133

المسألة الأولى: المصدر الأساس في علم الاعتقاد هو القرآن الكريم 135

مقاصد القرآن الكريم..... 135

القلب في أسلوب القرآن كاسب للمعارف..... 137

المسألة الثانية: في بيان أن مباحث العقيدة كلها إلّهية 140

فصل في بيان المبادئ العشرة لعلم الاعتقاد 143

المسألة الأولى في بيان المقصود بالمبادئ العشرة وأن منها ما هو لتمييز العلم، ومنها ما هو للتحفيز إليه 145

أولا: في المقصود بالمبادئ العشرة وذكر من نظمها 145

ثانيا: في بيان أن من المبادئ ما هو للتمييز ومنها ما هو للتحفيز.... 147

المسألة الثانية: في تفصيل القول في المبادئ العشرة كل على حدة . 149

أولا: في أسماء هذا العلم وأن كثرتها تدل على جلالته وعلو مكانته. 149

في وجه تسميته بـ«الفقه الأكبر »..... 150

في وجه تسميته بـ «علم التوحيد»..... 154

بيان وجه تسميته «علم العقائد» 154

فائدة في الفرق بين كلمة «دِين» وكلمة «دَيْن» 162

ثانيا وثالثا: في الحد والحكم وأنه يختلف باختلاف الناظر في هذا العلم وإليه 167

فائدة في بيان خطورة التكفير وخصوصا تكفير المعين 173

رابعا: في موضوع علم العقائد 177

خامسا: في ثمرة علم الاعتقاد 180

سادسا: واضع علم الاعتقاد 182

ذكر بعض المسائل الخلافية بين الأشاعرة والمعتزلة 187

في مسألة الرؤية 187

في مسألة القدر 188

في مسالة الكلام الإلهي 188

فائدة: في أن العقيدة «أمة» وهي «حبل الله» ، وأنها جامعة ويجب أن لا تكون ميدانًا للاحتراب بدل الاقتراب 189

سابعا: استمداد علم الاعتقاد 191

شكوى بعض التابعين لابن عباس من الوسواس في العقائد وجوابه على ذلك 193

فصل في بيان الآيات موضوع الدراسة ووجه تسميتها بـ«روض الإلهيات» ومعيار اختيارها 197
المسألة الأولى: في تسمية الآيات موضوع الدراسة بـ«روض الإلهيات» 199
المسألة الثانية: هل في القرآن فاضل ومفضول 200
المسألة الثالثة: في بيان المقصود بمقاطع الجلالة ومعايير اختيارها . 202
أولا: التصدير باسم الجلالة 202
ثانيا: المفصلية والمقطعية 203
ثالثا: التمام والوفاء بمطالب البحث العقدي 204
المسألة الرابعة: في فصول المعالجة في مباحث الإلهيات 205
فائدة في أن ذكر الآخرة يثمر دوام التعلق بالله 207
فصل في بيان بعض ما يختص به اسم الجلالة الكريم: «الله» جل جلاله 209
المقطع الأول من روض الإلهيات: «مقطع الحمد وحيثيته من أم الكتاب وفاتحته» 215
مدخل أولي وفيه مسألتان 217
المسألة الأولى: في آسامي سورة الفاتحة وسر تعددها 219
المسألة الثانية: في تسمية الفاتحة بـ "سورة الحمد" ووجه ذلك.... 222
فصل في ذكر بعض جوانب العظمة في فاتحة الكتاب وفيه مسائل .. 225

المسألة الأولى: في بيان أولية الفاتحة 227

المسألة الثانية: إشعار فاتحة الكتاب بكون القرآن رسالة كاملة وخاتمة . 228

الأمر الأول: الكمال 228

الأمر الثاني: التذكير بطليعة البدء والإشعار بالختم..... 229

المسألة الثالثة: جلالة الموضوع في سورة أم القرآن 230

أولا: التعريف بالله جل جلاله..... 230

ثانيا: التعريف بطريق الوصل بالله جل جلاله 230

ثالثا: ذكر التزكية في بابي التوكل والتوسل 231

1: التوكل 231

2: التوسل 232

المسألة الرابعة: براعة الاستهلال وبراعة الإكمال في سورة الحمد.. 233

فصل في بيان بعض ما يتصل بالعقائد الإلّهية في طالعة سورة الحمد البهية..... 235

المسألة الأولى في بيان سر مجيء الحمد بصيغة الخبر وهل يصح أن يراد به الإنشاء؟..... 237

من أسرار مجيئ الخبر بصيغة الإنشاء أن يكون للتفاؤل 237

من أسرار مجيئ الخبر بصيغة الإنشاء أن يكون للتعليم..... 238

فائدة في بيان دلالة جملة الحمد على أمور عظيمة منها: قدم الكلام الإلهي، وثبوت الحمد لله أزلا، واستحقاقه جل جلاله لجميع المحامد على أكمل وصف وأتمه 238

فائدة في بيان إفادة جملة الحمد لما يسمى عند علماء العقيدة بالتوحيد القديم 239

المسألة الثانية: في بيان أركان الحمد الذي تضمنته سورة أم القرآن . 241

الركن الأول «الحامد» 241

الركن الثاني «المحمود» 242

الركن الثالث: «محمود به» 242

ما يكون به الحمد ثلاثة: قول وفعل واعتقاد 242

الركن الرابع: المحمود عليه 244

الركن الخامس: صيغة الحمد 245

بيان أنواع التوحيد التي تدل عليها جملة الحمد: «الحمد لله رب العالمين» 245

أولا: التوحيد المعرفي أو العلمي 245

ثانيا: التوحيد الإشهادي 245

ثالثا: التوحيد الإرادي 246

المسالة الثالثة: في وجه تعلق الحمد بالاسم الجامع «الله» لكونه تُستحضر معه كل الصفات 247

فصل في بيان بعض ما يتعلق باشتقاق الاسم الكريم الله جل جلاله وبيان معانيه وخصوصياته 251

المسألة الأولى: في بيان كون الاسم الكريم مشتق غير جامد 253

المسألة الثانية: في بيان معاني كلمة «إله» في اللغة ووجوه دلالتها .. 255

نظم معاني كلمة «إله» 257

المسألة الثالثة: في جوانب من خصوصيات اسم الجلالة الكريم ... 261

أولا:أنه يوصف ولا يوصف به 261

ثانيا: وهو خاص لا يطلق على غيره 261

ثالثا: ومن خصوصياته أن علماء اللغة يسوغون مناداته بغير واسطة «أي» رغم أنه مصدَّر بـ«آل» 261

رابعا: ومن خصائص الاسم الجليل «الله» تفخيم لامه في الأداء ... 264

فصل في بيان حيثيات الحمد في فاتحة الكتاب، مع بيان صفة الوجود العلي وأدلته 267

المسألة الأولى: في بيان صفة الوجود العلي وأدلته 269

المسألة الثانية: في تقسيم موضوعات فاتحة الكتاب إلى الثناء والولاء والدعاء 273

المسألة الثالثة: في بيان حيثيات الحمد 275
أولا: أول حيثيات الحمد: ربوبيته للعالمين أي للكل 275
فوائد في بيان سبل التعرف إلى ربوبية الله للعالمين 276
1 : السبيل الأول: ملاحظة العناية بالموجودات بداء من إبرازها إلى تخصيصها وامتيازها 276
2 : السبيل الثاني: ملاحظة أن التسوية سمة الخلق الإلهي، والهداية سمة القدر الإلهي 277
3 : ملاحظة تمييز الإنسان بخاصيتي التعلم والمتاب «الأولى مخصصة والثانية مخلصة» 277
ثاني حيثيات الحمد، رحمانية الله ورحيميته 279
ثالث حيثيات الحمد عظمة مرجعيته، أي مرجعية الحمد 282
فصل في بيان بعض صور المثاني في فاتحة الكتاب 285
المسألة الأولى: من صور المثاني في الفاتحة؛ الربوبية ومظهرها ... 287
بيان أن العوالم هي مظهر الربوبية 288
المسألة الثانية: ومن صور المثاني في الفاتحة: الرحمة وأثرها 289
من معاني الرحمة دفع المضارّ وجلب المسارّ 290
دلالات أسماء الله العلية تضمنا والتزاما ومطابقة 291

صفات الله الأزلية لا تتغير ، ومن ذلك أن الرحمانية لا تتغير بالرحيمية 291

وجود الله أظهر وجود ، انطلاقا من قول الله: «رب العالمين» 294

تصدير الحديث عن المعتقَد بالحمد يدل على أن الاعتقاد عنوان
حب أثمرته المعرفة 295

أقسام الإيمان باعتبار الزيادة والنقصان 297

المسألة الثالثة: ومن صور المثاني في الفاتحة: الملك وغايته الجزاء 300

يوم الدين يوم يبدأ بالنشر إحياءً وينتهي بطي الأمر قضاءً 302

فصل في بيان دلالة «إياك نعبد وإياك نستعين» على أن الحمد
المطلوب منا يتحد بالعبادة 305

المسألة الأولى: اتساق السياق ونكتة الالتفات في «إياك نعبد
وإياك نستعين» 307

المسألة الثانية: في بيان أن «إياك نعبد» تدل على الإخلاص ،
و«إياك نستعين» تدل على سر الإخلاص 309

المسألة الثالثة: في بيان أن الوجود الإلهي متجل للأكوان ومتجل
فيها ظهورا من خلال الآيات 311

فوائد في بيان أن التسبيح بالحمد معرفة والسجود انقياد وإذعان 311

الكون يسبح بحمد الله لأنه عرفه 311

في بيان سجود الاختيار وسجود الاضطرار بالآثار 312

فصل على مشارف الختم وفيه مسائل ست 315
المسألة الأولى: في بيان أن الدعاء عبادة وحمد 317
المسالة الثانية: في بيان انعطاف مقطع الفاتحة على مطلعها 319
المسألة الثالثة: الخوف والرجاء جناحا المؤمن في سيره لربه 323
وجهة الطمع والرجاء..... 323
وجهة الخوف والاتقاء..... 324
المسالة الرابعة: بيان صراط الهداية ونهج السعداء، وسبيل الغضب
وطريق الأشقياء..... 326
المسألة الخامسة: تنبيه الفاتحة على أصول الاعتقاد 328
أولا:مآخذ إثبات النبوءة من الفاتحة 328
ثانيا: مآخذ إثبات المعاد من الفاتحة 330
المسألة السادسة: القول في آمين..... 331
لائحة المصادر والمراجع 335
فهرس الموضوعات..... 353